وقود النار

الكاتبة: ايمان رياني

السلام هو ليس غياب القوة....

السلام هو حضور الحب...

-هنري غريتشو-

الجزء الاول

"الحرب لا تقضي على الالاف او مئات الالاف من الشباب فحسب...

بل على شيء ما في الشعوب لا يمكن استعادته مرة اخرى"

- جون ويليامز-

كعادتي ...كنت اجلس الى تلك الطاولة المستديرة في الركن الشرقي من المقهى ...اجالس قهوتي وسيجارتي ووقتا من فراغ ...تعودت على موعدي اليومي معه كل صباح من صباحات بغداد...مذ اتيت قريتي الصغيرة النائية تلك التي تجردت من كل اشكال الحياة وخلت من جميع مقوماتها الاساسية...تركت فيها اهلي وطفولتي وذكرياتي ووسادتي ...دفاتري المدرسية وصوري الصغيرة وقصتي مع نهر الفرات واصدقاء الطفولة....تركت دعوات امي وأمل ابي ...وجئت هنا للعاصمة باحثا عن عمل...كغيري من شباب القرى النائية تركت قصة فشلي في نيل عمل في قريتي واتيت العاصمة آملا منها ان تمنحني ما حرمته في وطني الصغير ذاك الذي اخذت فيه شهيقي الاول والذي لم اجلب شيئا معي منه غير ثيابي وذكرى ذلك اليوم الاخير الذي قضيته هناك....

هنا في بغداد.....الجنة الخضراء في عاصمة لا يحسب اقتصادها حسابا لشباب عاطل عن العمل حامل لشهادات عليا وصاحب كفاءات ....في وطني الذي لا مكان فيه للشباب ...تولد الاحلام ميتة تأثرا بأول بصيص أمل يبعث في قلوبنا ....

هنا في وطني انت فاقد لقيمتك ما دمت برتبة شاب ...هنا انت مكرم في شعارات الاحزاب السياسية ومبجل في مشاريعها الانتخابية مع وقف التنفيذ.....في وطني يقتات الجميع على فتات الشعارات الحزبية في الحملات الانتخابية ليولدوا بأحلامهم بين يدي من يبيعهم وهما ليحظى بحكمهم....وليستفيقوا متأخرين عن احلامهم بخيبة....لحظة يدركون ان مرشحهم قد اشترى بأصواتهم منصبه...فقط في وطني وفي الوطن العربي....يعيش الشباب على احلام مبجلة...على ماض من الخيبات ومستقبل مبرمج سلفا واقفين على ناصية الوهم صبرا....فقط في وطني نبتدأ الحياة من الستين فما فوق....فقط في وطني الحلم جرم والشباب جريرة....فقط في وطني يبعث الشباب وقودا للحرب لتنتفخ بطون المشايخ ثراء....وتواري العراق خيرة ابنائها تحت الثرى ليقبر اسيادها الفقر....

لطالما كنا امة تكافئ عظمائها بما لا يستحقون ...لطالما كان لنا تاريخ طويل في اذلال أعلامنا وسحق كفاءاتنا واحتقار علمائنا وتهجير ادمغتنا ...لطالما حرمتنا دولتنا من كل شيء عدا الجهل والفقر...

كافئنا مؤخرا الشخصية الوطنية المناضلة رشيد عالي كيلاني قائد ثورة ايار 41 باتهامه بالتخطيط لانقلاب التاسع والخمسين ....

مازلنا نذكر رده الساخر وقتها حين قال :لم انتظر يوما قط وأنا في المنفى بعيدا عن الوطن ان يقدم لي احد مكافأة على ما فمت به من دور وطني في سبيل تحرير العراق وقد استبشرت بقيام الثورة وعدت لبلدي الحبيب ...لم اتوقع أن اكافأ بهذه الطريقة وقد بلغ بي العمر 84 عاما"....

نسي وقتها ان العرب لا يوقرون رجالاتهم ومناضليهم وشخصياتهم حتى لو بلغوا ارذل العمر...ففي وطننا تبقى عرضة للمساءلة والاستجواب عن ماضيك النضالي وان بلغت سرير الموت شكا في صدقك....دوما تبقى بطلا وطنيا وعلما عظيما من اعلام الوطن مع تأجيل التنفيذ الى حين موتك....حيث يمكن لروحك ان تحصل على تكريم متأخر يقضي بتسجيل اسمك ضمن الموتى الجليلين والمغفور لهم في هذا الوطن ...حيث يكرمونك بتلك الجملة الساخرة : ستبقى روحك حية فينا 3...دون ان يدركوا ان روحك رحلت ساخطة على كل من في وطنك وسعيدة بترك اولئك اللذين سيغفرون لك كل شيء عدا خطيئة نجاحك...

مذ تلطخت ارض العراق بدم عبد الكريم قاسم في تلك الصورة التي لن ينساها التاريخ عندما ارتطم رأس قاسم بالحائط وسال دمه تحت قدميه بعد ان اعدم رميا بالرصاص اثر القبض عليه بعد يومين من انقلاب 8 شباط 63 في رمضان ليترك خلفه مؤلفه "مبادئ ثورة 14 تموز " يخبر فيه الاجيال القادمة انه لم يكن يوما خائنا للعراق ولم يعمل لحساب الولايات المتحدة والcia كما تم اتهامه من قبل اعدائه ...

مذ تلك اللحظة والعراق لا يغفر لمن يخطئ بحقه ويتعسف على ترابه ...وسيدفع الثمن غاليا كل من جار على هذه الارض بطغيانه وجبروته ...والتاريخ منذ هولاكو يخبرنا بذلك...

كعادتي ...كنت جالسا على نفس المقعد المعتاد ...في نفس المقهى ..في نفس الشارع من بغداد التي اتيتها منذ اكثر من عشر ايام لتقديم مطلبي في تلك الشركة التي امل ان اعمل فيها ...

كان اخر يوم لي في "تكريت" قريتي الصغيرة...ككل ايامي منذ اشهر ...اغادر البيت صباحا باكرا ولا اعود الا عند الغروب يائسا ...لا عمل ولا مال .... دخلت البيت اجر اذيال خيبتي وفشلي في ايجاد وظيفة تكسبني قوت يومي وتفتح لي طريق المستقبل..قلت :"مرحبا امي" فاجابتني :

-أهلا يا ابني ...ماذا فعلت اليوم؟

- كالعادة لم احصل على شيء . وجلست منهكا :لا ادري الى متى سيتمر هذا الحال لقد مللت.

- لا تيأس يا عزيز سيرزقك الله من حيث لا تحتسب ...اذهب يا ابني الى بيت صديقك حاتم لقد اتاني اليوم صباحا وقال لي انه يريد قول شيء لك.

- الم يقل لك ماذا يريد مني؟

- لا إذهب ستعلم.

طرقت باب بيته متسائلا :اهلا حسين .

- مساء الخير حاتم لقد اخبرتني والدتي انك اتيت صباحا لتحادثني .

- اجل لماذا لم نعد نراك ؟ ما اخبارك؟

- في الحقيقة امضي يومي كله في البحث عن عمل بلال جدوى منذ شهرين تمر ايامي على نفس الوتيرة

- جيد ...اذا سيسرك خبري.

- حقا؟ وما هو؟

- هذا عنوان شركة بترولية ايرانية مقرها في بغداد ...لقد وجدت اعلانا عن طلب موظفين في الجريدة واردت ان اخبرك عنه بما انني اعلم انك تتقن اللغة الايرانية جيدا....وبالتالي بامكانك ان تعمل فيها.

- اتراهم يقبلون بي ؟

- حظوظك وفيرة ليتم قبولك فشهادتك تفيدهم وإتقانك للغتهم يسهل عليك العمل معهم...لا تخف انا متأكد أنهم سيقبلون بك موظفا لديهم وسيعينونك ايضا فقط لا تنسانا بمكافأة ولا تنسى العودة الى تكريت بعد ان تتعود على شوارع بغداد.

اجبت مبتسما متفائلا ..."لا تقلق وكيف لي ان انسى صاحب فضل كهذا ؟شكرا جزيلا لك حاتم.

- ليس معروفا على الاطلاق ...انت صد"يق طفولتي وأشبه بأخي لقد انقذ اباك حياة والدي في الحرب ضد الانكليز في الاربعينات وأبي مازال حتى الان يحدثني عن شهامة والدك ومواقفه البطولية خلال العسكرية منذ ثلاثين عاما ...لعلي ارد لكم القليل من معروفكم معنا.
- حفظك الله وحفظ جارنا "ابو حاتم" اشكرك جزيل الشكر
- العفو فلتقبى بخير
- في حفظ الله

عدت في تلك الليلة آملا ان يكون مجيئي الى بغداد بداية حياتي المهنية...استيقظت فجرا مستقلا الحافلة من تكريت الى بغداد لاقدم مطلب عمل الى تلك الشركة البترولية الايرانية الخاصة وها انا ذا منذ عشرة ايام انتظر اجابتهم التي وعدوني انها ستكون في غضون اسبوع باتصال هاتفي يخبروننني فيه موافقتهم من عدمها بعد النظر في ملفي...هاهو الاسبوع الثاني قد دخل ومرت منه ايام ثلاث ولا اجابة ولا اتصال تلقيته...فقررت مؤخرا انم اعود الى الشركة وانظر في مسألة قبول ملفي بمفردي علهم قد نسوا امر المطلب والملف...

كنت في قاعة الانتظار...حين اتى مساعد مديرة الشركة ليخبرني ان اسمه "ايهم" ويسألني عن طلبي وحين اجبته اخذ ملفي من السكرتيرة ودخل مكتب المديرة وطلب مني الانتظار في قاعة الاستقبال ...فانتظرت

طرق ايهم الباب ثم فتحه قائلا:"سيدتي"

- نعم ايهم؟
- سيدتي هناك موظف جديد اقصد طالب عمل جديد اتى شركتنا
- طالب عمل؟ايهم انت تعلم انوضع شركتنا في هذا الوقت لا يسمح بقبول موظفين جدد تعلم جيدا ان شكرتنا في ازمة
- اجل اعلم سيدتي لكنه قدم لنا ملفا ينم عن كفاءة عالية لديه...انه حاصل على شهادة عليا في الاقتصاد والتصرف وقال ان له خبرة في مجال التنقيب عن المواد الطاقية واستخراجها والتصرف في ارباح تكريرها عوضا عن انه يتقن اللغتين الايرانية والانكليزية وذلك سيساعدنا في التعامل مع الحرفاء .
- لا اعلم
- الا تريدين رؤيته سيدتي؟ انهه في الخارج ينتظر.
- لا ...لا اقدر لدي عمل كثير ووقتي ضيق اذهب انت وأتم الاجراءات اللازمة له.
- انقبل به لدينا سيدتي؟
- اجل
- جيد فليجعله الله وجه خير على شركتنا..وفقك الله سيدة زينب عن اذنك.

- شكرا ايهم

خرج ايهم من كتبها وقال لحسين مبتسما

- تفضل معي علي ان اطلع على ملفك جيدا قبل ان اوقع على الموافقة
- هل سنلتقي بالمديرة؟
- لا لن تراها لقد وافقت على قبولك مسبقا شريطة ان تتوفر في ملفك الشروط المطلوبة.
- هذا يعني انني سأعمل معكم هنا واصبح من موظفيكم؟
- اجل لم لا؟ تفضل هذا مكتبي.
- شكرا.

جلس حسين قبالة ايهم وهو يطلع على صفحات ملفه بإهتمام ودقة وبعد دقائق ...ابتسم اليه وقد وقف ومد يده لمصافحته

- مبارك لك لقد تم قبولك
- حقا؟ شاكرا لك
- اهلا بك بإمكانك ان تباشر عملك غدا صباحا ..كن هنا الساعة الثامنة ستجد مفتاح مكتبك عند هالة في الاستقبال اما عن العمل فلا تقلق لاشيء صعب هنا...ستتعلم بسهولة ولن يقصر معك احد من زملائنا
- باذن الله سأتقن عملي ..عن اذنك سيدي وشكرا لشركتكم
- اهلا بك

عدت الى البيت محتفلا بما تحقق لي من نجاح في نيل هدف طال انتظاره بعد سنوات من البطالة.

...مرت ايام بدأ خلالها حسين باتقان عمله في الشركة التي كانت تعيش الايام الاكثر صعوبة في تاريخها...بعد ان اقام في بناية تابعة للشركة يقتطع حق اجارها من راتبه كل شهر...

"في مواجهة الحب كما في مواجهة الموت نحن متساوون لا يفيدنا شيء لا ثقافتنا ولا خبرتنا ولا ذكاؤونا ولا تذاكينا...نذهب نحو الاثنين مجردين من كل الاسلحة ...من كل الاسئلة..."

-احلام مستغانمي-

...مساء ...خرج حسين من المكتب مغادرا الشركة فنادته هالة في الاستقبال :

- سيد حسين
- نعم؟
- سيد حسين غدا الساعة الثامنة صباحا ستعقد مديرة الشركة السيدة "زينب حميدي" اجتماعا بموظفي الشركة وحرفائها لإيجاد حل للازمة التي تتعرض لها شركتنا وحضرتك بالطبع مدعو لهذا الاجتماع بصفتك احد موظفي هذه الشركة.
- حسنا سأكون عند الموعد.

كانت ساعة الاجتماع ...وكان حسين واقفا في الشركة مع بقية الموظفين والحرفاء ينتظرون حضور المديرة...قال لايهم:

- اتعلم انني لا اعرف السيدة زينب صاحبة هذه الشركة حتى الان وانني فقط اسمع باسمها
- حقا؟
- اجل اليوم سيكون اول لقاء لي بها
- على كل ستذهل بقوة شخصيتها وقدرتها على السيطرة على من حولها انها تتمتع بكاريزما فائقة واسلوب رائع في الكلام.
- اجميلة؟ لم ارى حسنها في حياتي...انها صاحبة وجنتان ورديتان وعينين لوزيتين
- يقولون انها ايرانية اصحيح ذلك؟
- اجل هي كذلك...انها من طهران وهي تعيش وتعمل هنا منذ سنوات ...

فتحت هالة قاعة الاجتماعات ونادت في الحاضرين ان يدخلوا ...فأخذ كل منهم مقعده وجلسوا منتظرين قدومها وقد عمت القاعة بضجيجهم وكل منهم يخوض في حديث ما...

احدهم يتحدث عن اوضاع البلاد السياسية واخر يبحث في حلول لازمة الشركة واخرون يتباهون بمشاريعهم وثرواتهم ...جلس حسين الى جانب ايهم وقال:

- تراها لماذا تركت بلادها وجاءت لتقيم هنا؟
- لا اعلم حقيقة الامر ولا احد يعلم ...انها لا تتحدث عن بلادها او عن نفسها مطلقا
- وهل سنتحدث اليها بالإيرانية؟
- لا طبعا انها تتقن العربية واللهجة العراقية ايضا
- جيد

صمت حسين على شوق لرؤيتها ...منتظرا ان يرى السيدة التي يتحدث عنها الجميع ...متخيلا كيف يمكن لها ان تكون ؟ اتراها ستعجب بحله الذي سيقدمه في هذا الاجتماع وتقبله ؟ لا يزال بصدد التساؤل والتفكير لحظة دخلت زينب ...رفع رأسه فجأة فرآها وصدم بما رآه...وقفوا جميعا اثر دخولها احتراما بعد ان قالت بابتسامة ساحرة "صباح الخير جميعا" ...بقي حسين مذهولا حتى انه لم

يقف ثم تدراك نفسه ووقف كالجميع محييا اياها ...همت بالجلوس وقالت "اهلا بكم تفضلوا بالجلوس ...اهلا بالجميع" جلست ثم واصلت "شكرا لحضوركم اتمنى ان اكون غير متأخرة في قدومي" ...عادت به الذاكرة اشهرا الى الوراء ...انها تلك التي كان يراها يوميا على الساعة السابعة والنصف صباحا في تلك الطاولة المقابلة لطاولتها بمفردها تحتسي القهوة لنصف ساعة على نفس الكرسي يوميا...تلك التي اضحى لقاؤه هبا موعدا صباحيا منذ اتى لبغداد دون ان تأخذ علما بأنه يحفظ تفاصيلها مع كل جلسة لها قبالة الطاولة المعتادة في ذلك المقهى....هو الذي بإمكانه سرد تفاصيلها عليها بكل سهولة وماذا تفعل كل صباح منذ دخولها وحتى الخروج بعد نصف ساعة...

طلتها الساحرة انوثتها الصارخة..مشتها المالكية...ملامحها الهادئة..صوتها المنخفض الذي تحيي به النادل كل صباح ليأتي اليها بالقهوة التي تحتسيها في فنجان ابيض تمسكه بطرفي اصبعيها دون ان تنزع النظارات الشمسية منه على عينيها كأنها تتخفى ...هي ذي امامه جالسة كمديرة للشركة التي يعمل بها وهو قبالتها احد كموظفيها وكما يتوقع دائما ان ما لا يتخيله يحصل وما لا يضعه في حساباته يأتيه على عجل ...هاهي ذي تأتيه على عجل من حيث لم يتوقع...هاهو ذا يكتشف انه يعمل موظفا لديها دون ان يرسم ذلك في مخيلته ....

هو لا يدري ماذا له ان يفعل امامها الان ...ايضحك من سخرية القدر...ايصرخ فرحا ..ايخبرها انه مذ اتى بغداد وهو على موعد صباحي يومي معها في ذلك المقهى المطل على الفرات حتى ارتداه متعمدا من اجلها ولفضول منه لاكتشاف غموض جلستها وسر صمت عينيها ...اتراه يسألها السؤال الذي لطالما اراد طرحه عليها في ذلك المقهى "من انت؟" ...تجلد وصمت امام لحظة ولقاء لم يقرأ لقاء شبيها به من قبل حتى في الادب...

جلس محدقا بها وبداخله ثورة من مشاعر لم يفهمها...استغرب فرح تعجب صدم وكان عليه فقط ان يجلس صمتا ويستمع اليها ...

كان يتأملها وكأنه على لقاء اول بها ...بدت جذابة عن قرب...بنظرة براقة وصوت مخملي ناعم وملامح حادة مختلفة عن هدوئها ذاك في ذلك الكرسي من تلك الطاولة المعتادة ...تبدو مسيطرة حازمة وعملية ..تمالك نفسه امام صدمته وقد ازداد عزما على ان يعرض حله الشخصي لازمة الشركة عله يعجبها وتقبل به....

قالت : انتم تعلمون ان شركتنا تمر بظروف صعبة نوعا ما هذه الفترة ...دعنا نقول انها تمر بأزمة حقيقية خليقة بأن نجد لها حلا بصفة فورية وعلينا ان ننفذ الامر في اقرب وقت ...فلهذه الشركة تاريخها وسمعتها في تعاملها مع حرفائها التي عليها الا تخيب ظنهم بها...وكما تعلمون ان شركتنا من اولى الشركات المصدرة لمادة النفط في الشرق الاوسط...اذا ماذا عن حلولكم واقتراحاتكم؟

بدأ ايهم وقال:

- سيدتي لدي اقتراح
- تفضل ايهم
- وفقا للمعطيات التي لدينا عن هذه الازمة الاقتصادية التي تعيشها الشركة فعلينا ان تقوم بتخفيض الاسعار والعمل على ترويج المنتوج البترولي بصفة اكبر وبسعر اقل كي يباع ويتم ادخال اموال ضخمة للشركة ليتم رفع ميزانيتنا...

كانت تنصت بانتباه له ثم قالت بهدوء:جيد..ماذا عنكم البقية؟

ادلى كل برأيه في المسألة حتى بلغت بسؤالها دور حسين الذي كان جالسا قبالتها على الطرف الاخر من الطاولة ...قالت له وقد نظرت في عينيه :

- ماذا عنك حسين ؟ ما الحل الانسب الذي تراه مناسبا لهذه الازمة الاقتصادية الخانقة؟
- انني ارى ان المشكل الاساسي هو نقص المادة الاولية وهي النفط ولهذا هنالك نقص في الانتاج وارتفاع في الاسعار بالتوازي مع كثرة الطلب نتيجة لكثرة الحرفاء من الشركات التي تتزود من عندنا لذا فانني ارى ان الحل الانسب للتخلص من هذه الازمة واستعادة الانتعاش الاقتصادي واعادة النشاط الانتاجي لطبيعته هو اما بالتوقف عن تزويد الحرفاء لمدة معينة الى حين اعادة الانتاج الى حجمه الطبيعي او ان نقوم بالتداين لاجل شراء المادة الاولية لتكريرها بكميات اكبر وبيع نسبة ضخمة للحصول على ارباح هامة.
- لكن الا ترى ان في عدم تزويدنا الحرفاء بالانتاج لفترة معينة سيجعلنا نخسر حرفائنا وسيفقدنا ذلك ثقتهم بنا؟
- لا طبعا فنحن سنخبرهم اولا وسنعلمهم بان ذلك جاء جراء الازمة التي نتعرض لها كي يتزودا خلال تلك الفترة من شركة انتاج اخرى ثم يعودون الينا او نعوضهم بآخرين
- يعني ان نتخلى عن حرفائنا بأنفسنا ونبيعهم للمنافسين ؟ ثم ان فكرة التداين غير ممكنة اطلاقا فالشركة على باب افلاس وعلى عاتقها ديون كثيرة لتسددها ونحن منذ فترة لم نعد نتلقى الا ارباحا ضئيلة لا تفي بالحاجة ...هل هذه هي حلولك التي تراها مناسبة ؟ اتمزح؟
- لا سيدتي انا لا امزح في عملي ...اقتراحاتي جيدة ومناسبة اذا فكرت فيها جيدا وقارنتها مع بقية الاقتراحات ...في النهاية انت مديرة الشركة ولك القرار الحاسم لكن هذا لا يعني ان منصبك يخول لك اتهامي بعدم جديتي ...انا اصبحت من موظفي هذه الشركة ومن هذه العائلة وكل ما اصبو اليه هو مصلحة الشركة وموظفيها وحرفائها (وقف وحمل ملفاته)اعتذر سيدتي اظن انه علي الانسحاب !قالت بغضب:
- تفضل

غادر واغلق الباب وسط ذهول الحاضرين:

- غير معقول !انه لا يزال موظفا جديدا في شركتي كيف يقول هذا؟ ماذا يظن نفسه؟ أي غرور هذا؟ اظن انني كنت مخطئة حين قبلت به للعمل هنا معنا...انت السبب يا ايهم لقد كان قبوله بتحفيز منك
- اعتذر سيدتي لم اظن انه بهذه الوقاحة
- حسنا لا بأس سانظر في امره لاحقا ...ايهم ان ان حلك هو الانسب اتخذ كل الاجراءات الازمة للقيام بما اقترحته ...امل ان تكون هذه الخطوات طريقنا للخروج بهذه الشركة من هذه الازمة الخانقة والا فان العواقب ستكون وخيمة ...نحن في منطقة عائمة على النفط والمنافسون كثيرون لو زاحمونا في السوق وسمحنا لهم بأخذ مكاننا لاسقطونا واطردونا من قائمة اهم الشركات الانتاجية في المنطقة...علينا ان نحافظ جميعا على سمعة الشركة واسمها بالحفاظ على الحرفاء لا بالتخلي عنهم...حرفائنا رهاننا ...هذا رايي ولن اتنازل عنه...شكرا لحضوركم جميعا...انتهى الاجتماع ...يمكنكم العودة الى مكانكم.

كان في غرفته ليلا ..في ذلك البيت الذي منحته الشركة اقامة فيه ضمن بناية تابعة لها ..كان في يده كتاب "الحرب والسلم" للكاتب الروسي تشيخوف يتابع بعينيه الكلمات وعقله يتذكر تفاصيلها...يستحضر تقاسيم وجهها...هي بذاتها تلك التي رآها طويلا في ذلك الركن الايسر من الطاولة الاخيرة في شرفة "مقهى الفرات" المطلة على النهر منذ مجيئه لبغداد...كيف لم يدرك انها هي نفسها مديرة الشركة الا لحظة دخلت الاجتماع ..كيف لم يعلم بذلك إلا متأخرا جدا...لماذا تصرف بتلك الطفولية امامها...لماذا لم يوافقها على رأيها؟ اتراه اخطأ بما فعله؟ اتراها لم تتنبه الى انه نفس الرجل الذي كان يجلس قبالتها على الطاولة المقابلة لطاولتها لساعات ينظر اليها دون اهتمام منها؟اتراها انتبهت لوجوده اصلا في ذلك المقهى؟

"لطالما كنت تتأملين الفرات بشغف واضح في عينيك وكأنك تنتظرين قدوم شيء ما من خلفه...ولطالما خبأت شغفي بك خلف الجريدة التي اغطي بها وجهي لأترك المجال لعيناي فقط لتأملك ..لعشقك...ولاكتشاف السر في خضرة عينيك اللتان تشبهان نخيل العراق...

كم تذكرني عيناك بالبيت الشهير **"عيناك غابتا نخيل ساعة السحر**

او شرفتان راح ينأى عنهما القمر"

للسياب ...وكأنه قد قاله في وصفك ...ليته كان واياي في تلك اللحظة التي دخلت فيها المقهى لتقذفي فيها بقلبي على شطآن عشقك ولا اعرف طريق العودة منذ ذلك الحين...ليته رأى جمالك وجمال عينيك كي يكتب فيهما قصيدة اجمل عن الجنة الخضراء التي لن تكون بغداد بعد الان بل مقلتيك...لن تضيعي مني يا زينب كما ضاعت مني تكريت ...ستكونين لي وحدي ...سأكون قدرك كما كان قدرك ان تعملي في بغداد وتتركي ايران...

كان الصباح ...قرر حسين الذهاب لمكتب زينب والاعتذار منها فوجد ايهم امامه لحظة هم بطرق الباب :

- صباح الخير حسين كيف انت؟
- صباح النور ايهم انا بخير اراك هنا باكرا
- اجل اظن ان عملي سيتضاعف هذه الفترة ...السيدة زينب قد قبلت اقتراحي وطلبت مني اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذه لذا سأشرف على ذلك بنفسي
- جدي اما انا فشعرت بالندم لانني فعلت ذلك وقررت ان اعتذر منها قبل مباشرة العمل ربما كان علي الا اقول ما قلته
- لا اظن ان عليك فعل ذلك
- حقا ؟ لماذا؟
- اقتراحاتك لم تكن مخطئة لكنها فقط كانت مخالفة لوجهة نظر السيدة زينب ...انت لم تخطئ بحقها في ما قلته ...هي من استهزأت بك والاجدر انها لم تفعل ...انها لا تزال غاضبة دعها تهدأ اياما معدودة وحاول ان تغيب وجهك عن انظارها ..انا سأتحدث معها بشأنك علها تنسى غضبها وتقتنع بأنك كنت فقط تبحث عن مصلحة الشركة
- هل حقا ستفعل؟
- طبعا لا تهتم دع الامر عندي

- اشكرك جزيل الشكر ايهم
- لا داعي لهذا حسين ...نحن اصدقاء ...لا فقط زملاء ...اطمئن من ناحيتها...ستعود الى هدوئها وربما تبادر بنفسها بالاعتذار منك
- (ضاحكا) اتظن ذلك ؟
- طبعا السيدة زينب طيبة القلب ومتواضعة رغم صرامتها في العمل فقط لحرصها على ان تكون انسانة ناجحة
- شكرا ايهم ساذهب الى مكتبي الان
- وفقك الله

انتظر ايهم حسين حتى يدخل مكتبه ويغلق الباب ثم طرق باب مكتب المديرة ...قالت:

- ادخل
- صباح الخير سيدتي
- صباح النور سيد ايهم تفضل
- شكرا
- اجلس ايهم
- شكرا سيدتي
- اخبرني هل شارفت الازمة على الانتهاء
- امل ذلك سيدتي لقد اتخذت كل الاجراءات اللازمة لتنفيذ اقتراحي ...الكل يعمل على اشده في الشركة موظفونا مجتهدون ويحافظون على الامانة....شركتك امانتنا كلنا سيدتي
- انها شركتنا كلنا لا شركتي ...لعلم ان موظفينا كذلك بما فيهم انت يا ايهم
- اشكرك على ثقتك سيدة زينب
- انا اثق بك كثيرا انت من الموظفين القدماء واللذين لم ارى منهم عدا الاجتهاد والامانة والطاعة على عكس موظفين جدد مغرورين يمنون علينا بعملهم معنا هنا.
- اتقصدين سيد حسين سيدتي؟
- اجل ذلك المغرور ماذا يظن نفسه؟ يظن اننا جميعا مخطئون ووحده على صواب ..يراهن على خسارتي لحرفائي ونحن نعمل على اخراج شركتنا من هذه الازمة حفاظا عليهم لانهم رأس مال عملنا واساس نجاحه ...لولا حرفائنا لمن ستبيع شكرتنا منتوجها
- كلامك على صواب سيدتي ...لكن لماذا تعقدين الامور؟ المسالة ليست على هذه الغاية من الاهمية
- ايهم انا لا اسمح لموظف يعمل لدي ان يملي علي اوامر انفذها ...لقد خلقت امرأة لانجب الرجال لا ليكسرني رجل...او يخالف امري احد موظفي وزملائي.
- كيف له ان يكسر كلمتك سيدتي؟ لقد كان اقتراحه مجرد وجهة نظر مخالفة لرأيك لماذا تكبرين الموضوع؟ ارى ان عليك الا تخرجي الامور من سياقها سيدتي ...انت جعلت الامر شخصيا بينكما بينما كل ما نفعله هو عمل متشارك للحفاظ على اسم الشركة في السوق...انا لم ارى شيئا منه عدا انه موظف متفان ف يعمله اراد ان يحافظ على الشركة وينهي الازمة وفق وجهة نظره وفي النهاية فالامر الحسم عائد لك بالنظر سيدتي.
- اتعرفين ان حسين لم يأت الى الشركة منذ ذلك اليوم؟ اظن انه يشعر بالذنب ..انه موظف متفان وعليك ان تحافظي عليه كي لا تخسره شركتنا ولو اخطأ اصفحي عنه

- وماذا علي ان افعل الان حتى لا تخسره الشركة ولا يشعر بالاهانة اذا عاد للعمل معنا؟
- ربما عليك ان تذهبي ال بيته وتتحدثي اليه او تعتذري منه
- ماذا ؟ وبماذا اخطأت كي اعتذر؟
- انسيت انك وبّختيه وأهنته امم الزملاء لقد اعتبر ذلك جارحا لكرامته
- لكنني لا اعرف عنوان بيته
- انه مدون في ملفه الشخصي اطلبي من السكرتيرة هالة ان تعطيك اياه

***

في اليوم التالي توجهت زينب الى العمارة القاطن فيها لم تتمكن من معرفة بيته...رأت احد الجيران فبادرت بسؤاله:

- عفوا سيدي اين هو بيت السيد حسين عابد...اتيت للبحث عنه وانا لا اعرف البناية جيدا
- انه البيت رقم 47 ستجدينه في الطابق الثالث على اليمين
- شكرا جزيلا
- اهلا بك

صعدت الدرج ودقت جرس الباب بينما كان جالسا على اريكة صالونه وحوله جملة من الكتب يمضي وقته بقراءتها وفي يده احد روايات "دوستفسكي" ولا يزال في صفحاتها الاولى نظر الى الساعة على الطاولة امامه...كانت تشير الى الحادية عشر صباحا ودقيقة ...بردت قهوته ولم يكملها بعد...لا يمكنه التسلي بقهوة يحتسيها على ضجر صباحي لم يتعوده...هو لم يتعود الجلوس بالبيت مذ اتى بغداد....كان الصمت مخيما على البيت....رن جرس بيته فجأة ...نظر باتجاه الباب...من تراه يأتي اليه في وقت كهذا...وهو لا يعرف احدا في بغداد غير زملائه من موظفي الشركة..لم يبرح مكانه حتى تكرر الرنين ثانية من الثقب رن الجرس مرة ثالثة لكنه لم يرى احدا ...فتح الباب ببطئ فوجدها واقفة امامه...ظل محدقا بوجهها لماذا تأتيه الى بيته وفي وقت يجب عليها ان تكون فيه في الشركة....ابتسمت له بلطف محاولة ابطال استغرابه...وقالت:

- الن تسمح لي بالدخول الى بيتك؟

رد عليها بإبتسامة واكتفى بالقول" طبعا تفضلي".

دخلت واغلقت الباب وراءها ..دعاها الى الجلوس:

- تفضلي اجلسي عذرا على هذذه الفوضى لم اكن على استعداد لاستضافة احد
- لا بأس عليك
- احاول تسلية نفسي بتقضية الوقت بالقراءة
- جميل اراك مغرم بالادب والمطالعة
- اجل قليلا كانت علاماتي جيدة في المواد الادبية اثناء دراستي
- ولماذا لم تدرس هذه الشعبة؟
- لانني ارى ان الادب تسلية ولحظة متعة وليس بعمل ربما كان مقدرا لي ان ادرس العلوم الاقتصادية كي اعمل في شركتك سيدتي

- حسنا ها قد بدأت الحديث عن الشركة بل ان افعل اولن....
- ما ستقولينه اعرفه جيدا يا سيدتي واعترض عنه
- لكنني لا ارى انني قد فعلت شيئا يثير غضبك كي تتغيب عن عملك بهذه الطريقة ودون اسباب واضحة
- ومن قال انك قد اثرت غصبي سيدتي؟
- اذن ما السبب الذي جعلك تعزف عن العودة الى الشركة
- سيدتي عذرا لم اسألك ماذا تشربين؟
- لا اريد شيئا لقد جئت الى بيتك بإرادة مني لان اعرف ماذا حصل لك؟
- على فكرة من الذي اعطاك عنواني؟
- عرفته من ملفك الشخصي في الشركة ثم انسيت ان شركتنا هي من اعطتك هذا البيت كي لا تجد صعوبة في هجرة يومية تمارسها بين قريتك الريفية البعيدة النائية وبغداد؟اصفر وجهه ونظر لها نظرة تعجب مليئة بحقده على غرور كلماتها ونرجسيتها ...استدرك قائلا:
- ابدا لم انسى ذلك وان شئت سأترك لكم البيت واعود الى قريتي البعيدة النائية
- ومن قال لك انني سأسمح لك بترك عملك اصلا؟
- لقد تركته منذ اليوم الذي غادرت فيه الشركة
- اذا لم يكن لغيابك سبب شرعي ستعود الى عملك
- ليس لغيابي سبب ومع ذلك لن اعود
- حسين لماذا تفعل هذا؟ انت كفاءة عالية تتشرف شكرتنا بان تشغل من هم مثلك ثقافة ومستوى الأجل ما حصل انت...؟
- سيدتي ما حصل قد نسيته ولم يزعجني هذا رأيك وحقك وانت اعلم بمصلحة شركتك.
- حسين...

رفع رأسه اليها...

- انني قد اتيت لك اليوم لاعتذر منك

طأطأت رأسها وقد احمرت وجنتاها واستعطفته وهو الدائم الانجذاب لخجلها الذي يغفر لها غرورها ونرجسيتها ...هو يعشق ازدواجيتها وانوثتها المختلطة كعطر ناعم في زجاجة حديدية نخفي خجلها ونعومتها تحت ستار من كلمات تخرج قوتها وعنفوانها الانثوي...وهو يحبها بكل حالاتها ويمارس معها المكابرة...استغربت نظرته

قال: - عما ستعتذرين سيدتي انت لم تخطئي

- لا ابدا لقد اخطأت اخطأت بحقك
- اخطأت بحقي؟
- اجل كنت متسرعة ولم اقدر تفكيرك بسبب صدمتي من الازمة التي مرت بها الشركة وبعد رحيلك تيقنت ان اقتراحك كان جيدا وكان سيحل جزءا من المشكل لكن...
- اكملي
- لا ادري ماذا اقول لك
- لا تقولي شيئا سيدتي شكرا على اعترافك بخطئك واعتذارك مقبول لكن لا عودة لي لشركتك سيدة زينب.

- لا تقل شركتي من فضلك انها شركتنا جميعا شركة كل من يعمل فيها بما فيهم انت لماذا تعاملني بهذه الطريقة يا سيدي لقد اتيت الى بيتك خصيصا لتقديم اعتذاراتي ولتعود الى عملك وارجاع المياه الى مجاريها اه نسيت تذكيرك الشركة بدأت تتخلص من ازمتها
- اذا قد اتيت لتعربي لي عن فرحتك سيدتي؟ هنيئا لك بكل الاحوال.
- اتيت لاخبرك ان فرحتي لن تكتمل الا بعودتك ورؤيتك في مكتبك.
- كنت اظن ان فترة غيابي ستجعلك تملئين فراغ مكتبي بأحد غيري
- لا انني لا افعل ذلك مع موظفي شركتي الا اذا استقالوا
- اذا انا اقدم استقالتي
- لن اقبلها.
- ماذا تريدين مني بالضبط سيدة زينب؟
- ما اريده واضح وهو ما اتيتك من اجله.
- وماهو؟
- عودتك الى الشركة ونسيان ما حدث
- حسنا لن اعدك بالعودة غدا
- اذا؟
- اعطني وقتا لافكر يمكن ان اعود بعد فترة...وقفت ...اتمنى الا تطول هذه الفترة وان تعود في اقرب وقت الى مكتبك كرسيك شاغر ينتظرك.
- شكرا سيدتي !

فتح الباب ...التفتت اليه وتأملته:

- سأنتظرك في امان الله
- الى اللقاء.

خرجت واغلق الباب وقد تمنى لو ذهب برفقتها لتوه واعتذر لها عن مكابرته وانحنى لها مقبلا يديها ..لكنها المخطئة وعليه ان يرفض اعتذارها ليشعرها بالذنب...

عاد للجلوس و التفكير ايعود غدا ام بعده ام بعد اسبوع ايجعلها تكرر زيارتها له؟..هو متأكد انها لن تفعل لانها مكابرة بامتياز...ما الذي دفعها للمجيء الى بيته؟ الم يكن يكفي اتصال هاتفي ؟ اكانت لتفعل ذلك لو كان غيره قد تغيب ؟ امهم هو لديها الى هذه الدرجة؟

قرر العودة في اليوم التالي.

***

"اتبع قلبك وسوف يأخذك حيث كنت بحاجة الى الذهاب"

جلال الدين الرومي

كانت في مكتبها كعادتها صباحا تحتسي قهوتها بين الاوراق والملفات ...طرقت هالة الباب فأجابت :

- ادخل

رفعت رأسها :

- ماذا تريدين؟

- سيدتي لقد جاء حسين اوصيتني ان اخبرك لحظة يجيء.
- **هه ! حقا؟**
- اجل لقد دخل لتوه الى مكتبه
- حسنا عودي انت الى عملك
- عن اذنك سيدتي

اخذت حقيبة يدها وتناولت المساحيق لتعيد ترتيب حمرتها وتنسيق حجابها وكثفت من وضع العطر الباريسي "شانيل" ووقفت متجهة نحو مكتبه مرت بالرواق الابيض حتى وصلت الباب المقابل ...دقت مرتين ...قال:

- تفضل

فتحت الباب وقد ابتسمت ..رفع رأسه تجاه الباب وحين رآها وقف قائلا:

- اهلا سيدة زينب
- مرحبا سيد حسين اراك عدت
- اجل لم اجد بدا من العناد فخيرت العودة لعملي لانني اكره البقاء في البتي وحيدا العمل هنا ينسيني وحدتي في بغداد ..عذرا تفضلي بالجلوس.
- اشكرك لانك لم ترفض طلبي كنت سأحزن اذا لم تعد.
- افهم انك مسرورة بعودتي؟
- طبعا فأنا لم ارد لك الغياب يوما علاوة على ذلك كان انسحابك من طرفك اما عني فلم اطردك ولم اطلب رحيلك انت من فعلت ولازلت اجهل السبب
- انسي الامر سيدتي ها قد عدت لنبدأ صفحة جديدة في علاقتنا المهنية .
- اجل هذا افضل .
- ...انك كما قلت لك من كفاءات هذه الشركة وهي بحاجتك ولن تتقدم الا بأمثالك.
- ارى ان امتداحك لي قد كثر بعدما حصل ...سيدة زينب لم تكوني كذلك اتراك ندمت عما فعلت ام ان غيابي جعلك تشعرين بقيمتي اكثر؟
- لم افعل شيئا يستحق ندمي عليه ربما قد عرفت قيمتك كما اعرف قيمة كل موظف في شركتي ثم انني لا اريد لشركتنا ان تخسر الموظفين الجيدين اللذين يخدمونها بتفان ويشون على سمعتها على كل نورت الشركة واتمنى الا تعيد ما فعلته....فقانونا من يتغيب اكثر من عشرة ايام بلا سبب يتعرض لعقوبة لكنني لن ارتضي لك ذلك ...شكرا لعودتك مرة اخرى ...انا ذاهبة لمكتبي.

- عن اذنك سيدتي.

***

في اليوم الثاني من عودته ...دق باب مكتبها الساعة الثامنة والنصف صباحا ولم تكن قد مرت عشرون دقيقة على مجيئها المكتب.قالت:

- تفضل فتح الباب بابتسامة خفيفة وفي يده اليسرى ملف ازرق...قال:
- صباح الخير سيدة زينب

ابتسمت :

- صباح النور سيد حسين كيف انت اليوم؟
- حمدا لله وانت؟
- الحمدلله
- سيدتي لي جملة من المعاملات عليك قراءتها وتوقيعها قبل خروجها من الشركة ومرورها للحرفاء.
- أرني

اعطاها الملف فأخذت تتصفحه وهو ينظر اليها...قالت:

- اهنالك ورقة لأحد ليس من الحرفاء؟
- لا كلهم لحرفائنا.
- حسنا
- اخذت في التوقيع ورقة تلو الاخر الى ان انتهت وأعطته الملف قائلة :
- تفضل
- قال – شكرا

فتح الباب وكاد ان يخرج سارعت في ندائه.

- سيد حسين

التفت لها فقالت : لحظة لو سمحت

اغلق الباب ووقف مستغربا قال :

- تفضلي سيدة زينب
- اذا طلبت منك اليوم ان تقبل دعوتي لك لأحد مطاعم بغداد للعشاء اثر انتهاء العمل مساء...اترفض؟
- طأطأ رأسه محولا نظره عنها مفكرا هز بكتفيه وأضاف بعد صمته :
- لا اعلم وما المناسبة ؟
- ...ربما بمناسبة عودتك للشركة بعد غياب طويل
- وهل استحق مكافئة على عودتي لعملي ؟ هذا واجبي ولو لم اكن احب مهنتي واحترم الشركة التي استقبلتني وقامت بتشغيلي لما عدت.

- ولهذا ان اقدرك كموظف لدي سدي حسين لأخلاقك العالية وإخلاصك للشركة ...ولولا وفائك لها وحبك لعملك لما كنت قد طلبت منك العودة بذهابي لبيتك خصيصا والاعتذار منك ربما لم تدر انني لم افعل ذلك مع من سبقك من الموظفين
- شكرا لك سيدة زينب اشيد باحترامي واعتبر ذلك اطراء وفضلا منك
- وماذا عن قبولك دعوتي؟
- اترك لي وقتا لافكر
- متى تعطيني اجابة ؟
- ساخبرك مساء
- حسنا عد الى عملك
- عن اذنك سيدتي

***

كانت الساعة السادسة ...اخذت حقيبة يدها وهيأت نفسها لمغادرة الشركة لم تذهب لمكتبه ولم تكرر حديثها اليه منذ الصباح خرجت من باب الشركة وركبت سيارتها غادر مكتبه واتجه نحو باب مكتبها بعد ان انهى عمله دق مستأذنا الدخول ...لم يفتح احد فحاول فتحه...وجده مغلق بمفتاح..ذهب الى هالة ...قال:

- هالة
- اهلا سيد حسين
- اهلا...هل السيدة زينب هنا؟
- لا لقد خرجت لتوها من الشركة اتريد منها شيئا؟

استغربت ودون ان يجيبها اسرع راكضا نحو مأوى السيارات امام الشركة عله يلحق بها قبل ان تغادر ...لم يجد سيارتها ...عاد الى الشركة وقد ندم لانه لم يجبها ...ارتاها فعلت ذلك غضبا ام لانشغالها عنه ام انها لم تعد تهتم لامره ماذا يفعل الان؟

لماذا تفعل ذلك به؟ اتبادله التجاهل ام انها نسيت امره؟

كانت في بيتها تشرب كوب قهوة ساخنة اتصلت بها اختها :

- الو
- الو مرحبا زينب كيف انت؟
- ليلى؟ مرحبا اختي كيف انت؟
- حمدا لله اشتقتك يا اختي كثيرا ما اخبارك؟
- وانا ايضا اشتقتك جدا كيف عائلتنا في طهران؟ هل امي وابي بخير؟
- اجل هما بخير اتصلت بك لاخبرك انني قادمة غدا اليك الى بغداد.
- حقا؟ هل انت جادة ؟
- اجل صدقيني اليوم فجرا سأستقل الطائرة سأكون في بغداد الساعة الساعة تقريبا.

- ووالداي اسيكونان معك؟
- لا سآتي بمفردي
- لماذا لا يرافقانك؟
- لا يقدران لا بأس لا تحزني
- حسنا ساكون بانتظارك غدا صباحا تصبحي على خير
- شكرا يا اختي تصبحين على خير

***

اتصلت زينب بهالة في الشركة

- مرحبا هالة
- اهلا من معي؟
- انا زينب يا هالة
- مساء الخير سيدتي
- اردت اخبارك انني لن آتي غدا يوما كاملا الى الشركة اختي سوف تأتي من ايران لزيارتي لذا سأتغيب لاجل استقبالها
- حسنا سيدتي فلتصل بالسلامة
- شكرا هالة
- عفوا سيدتي عن اذنك
- لحظة هالة
- نعم سيدتي؟
- قولي لايهم ان يقوم بنيابتي في المكتب غدا يوما كاملا
- حاضر سيدتي تصبحين على خير
- وانت بخير هالة

****

كان الصباح وقد استيقظت زينب باكرا واتجهت بسيارتها نحو المطار لاستقبال اختها وقفت وراء سياج الانتظار وهي تنظر الى الساعة منتظرة اخته ولعد دقائق اتت ليلى وقد ارتدت ثوبا اسودا وشالا بنيا مطروحا على راسها ببساطة وقد جرت حقيبتها بيدها رأتها زينب فأشارت بيدها مبتسمة ركضت نحوها وعانقتها :

- اختي حمدا لله على سلامتك كم اشتقتك !
- كيف انت ؟ اشتقت لك كثيرا كيف تعيشين هنا؟ ماذا انت فاعلة؟
- الحمدلله ساحدثك عن كل شيء عندما نصل الى بيتي لكنني اسفت لانك لم تأت بوالداي معك
- والداك لا يقدران على المجيء انهما مشغولين ولا يمكنهما مغدرة ايران
- بماذا هما مشغولين ؟
- ساحدثك عن كل شيء لاحقا
- وكيف هو أخانا؟

- بيجان؟ انه بخير كالعادة دائما بأفكاره الجنونية اراد ان يخترع لنا هاتفا في المرة الاخيرة فصعقته الاسلاك الكهربائية
- حقا؟ (ضاحكة) اهو بخير الان؟
- طبعا يقوم بمحاولات اخرى...يردي ان يصنع من نفسه تقنيا محترفا ومخترعا مشهورا.
- كم اشتقت عائلتنا وبلادنا واشتقت الحياة معهم
- بلادنا ليست بخير هذه الايام يا زينب
- اعلم اتابع اخبار ايران دائما وسمعت ما يحصل بها هاتي حقيبتك.
- وضعت الحقيبة في الصندوق الخلفي للسيارة
- سينقلب كل شيء خلال سنوات قليلة يا زينب صدقيني
- اعرف ذلك وسنتحدث في ذلك لاحقا هيا اركبي اهلا بك في الجنة الخضراء "بغداد".
- شكرا ياعزيزتي اذا لم تخبريني كيف انت وعملك وشركتك امرتاحة بالعيش في بغداد؟
- اجل لكن منذ فترة حصلت ازمة بالشركة
- حقا؟ حدثيني .

اتجهت زينب واختها ليلى الى بيتها الواقع بأحد شوارع بغداد وبقيت تتحدث اليها عن شركتها وازمتها وتعرفها على حسين وهما في الطريق

***

في الشركة ...اتى حسين صباحا في وقته المعتاد وأراد رؤية زينب وسؤالها عن السبب الذي جعلها تغادر دون ان تخبره البارحة ...طرق باب مكتبها وقال :

- سيدة زينب سيدتي أبإمكاني الدخول؟

حاول فتح الباب فوجده مغلقا ....توجه الى هالة وقال لها متعجبا:

- صباح الخير هالة
- صباح النور سيد حسين
- هل السيدة زينب لم تأت بعد لمكتبها؟
- لا
- متى ستأتي اذن؟
- انها لن تأت اليوم
- لماذا؟
- اتصلت بي البارحة مساء وقالت بأنها ستتغيب يوما كاملا لان اختها ستأتي من ايران لزيارتها لذا سيعوضها السيد ايهم يوما كاملا في مكتب الادارة عند مجيئه
- حسنا شكرا
- عفوا سيدي

****

كانت زينب مع اختها في المطبخ وضعت ليلى صحن السلطة على الطاولة وقالت :

- اذا انت تشعرين بميل لحسين هذا؟
- لا اعلم بالضبط اهو ميل ام اعجاب ام حب ام ماذا لكن تستهويني شخصيته ظننته في البداية مغرورا يريد فقط اظهار ذكائه وقدراته لكنني كنت مخطئة وعرفت انه فقط اراد مصلحة الشركة ...عندما ذهبت لبيته حدثني بكل هدوء لديه اسلوب استثنائي في الكلام لم اره بأحد غيره كم اعجبني !
- اذا افهم من كلامك انك تحبينه؟
- ابتسمت ونظرت اليها ثم اضافت بعد شيء من الصمت
- تعلمين كم يستهويني هذا النوع من الرجال اللذين يتقنون الحديث الى المرأة

قالت ليلى : اجل هذا ما يتقنه الرجال فقط.

- ربما لكنه اعجبني احببت فيه هدوءه غموضه دفئ صوته وقوة رأيه ...لطف معاملته وحسن اخلاقه و...
- اكل هذه الخصال فيه؟
- اجل وكثيرا
- اذن تعالي افطري وسننظر في امر هذا الحب لاحقا

***

بقي حسين في مكتبه يفكر في امرها ليس جديرا به ان يظل مفكرا في ما فعلته دون اجابة منها حاول تناسي امرها ثم خرج للفطور بأحد المطاعم القريبة من الشركة.

جلست زينب مع اختها في الصالون يشربان عصير الفراولة ويأكلان بعض الحلويات ...قالت زنتيب :

- لقد حدثتم يوما كاملا عن شركتي وموظفيها ومشاكلي وقصصي العاطفية ولم تخبريني بشيء عنكم اخبريني ما حال ايران؟
- ايران؟ ايران ثورة ستتحول قريبا لنظام شمولي ربما يكون اكثر طغيانا ممن سبقه..مظاهرات واشتباكات عنف وتحولات كبيرة تحصل في الشوارع في البداية كانت المظاهرات تشمل جميع التيارات السياسية من اسلاميين واشتراكيين وتقدميين ويساريين وغيرهم ...كلهم يد واحدة ضد استبداد الشاه لكن ما نراه اليوم هو محاولة سيطرة الاسلاميين على الحكم لوحدهم واقصاء وبقية التيارات وربما سيتحولون مع الوقت لمستبدين لا يقلون شراسة عن الشاه نفسه ..كم اخاف على ايران يا اختي !
- وما موقف عائلتنا؟
- اما عن اخي بيجان فهو ينزل الى الشوارع مع كل مظاهرة ليشارك الاشتراكيين ويساندهم قفي رفع شعاراتهم واما عن والداي فهما دائما يحاولان اقناعه الا يشارك مجددا في هذه المسيرات ولا ينزل الى الشوارع.
- فليحم الله ايران من كل مكروه وليحفظ عائلتنا
- امين
- اختي لم تقولي لي بعد الى متى ستبقين عندي؟

- ربما لاربعة ايام
- حقا؟ اذن سأمدد اجازتي لتصبح اربعة أيام ...والآن ما رأيك ان نذهب سويا الى شوارع بغداد لاعرفك على المدينة
- هيا فلنذهب...
- كم اشتقت لفطورنا سويا ولاجتماعنا حول الطاولة كم اشتقت لشوارع ايران ومحلات مدينتنا وحدائقها وطرقاتها وبناياتها ..كم اشتقت الى جيراننا
- ونحن اشتقنا اليك ليتك لم تغادري ايران يا اختي تعلمين جيدا ان العراقيين لا يحبوننا كثيرا وان العلاقات بين الدولتين لا تهدأ ابدا وليست جيدة منذ سنوات كنت صغيرة حين سافرت ولم افهم ما حصل معك جديا حتى تعملي وتعيشي في بغداد ... الا تقولين لي ما الذي دفعك لهذا؟ لماذا هجرتنا؟ كنت احب وجودك بيننا
- عزيزتي وانا احبكم واحب وجودي في بيتنا ولم اكن اريد يوما تركككم لمكنني كنت مضطرة
- لملذا؟
- انه قدري يا ليلى ...لا احد يمكنه الهروب من قدره ربما مجيئي الى هنا افضل علني لم اكن لاحقق كل هذا النجاح لو بقيت في طهران او عملت هناك انا احب عملي هان لقد منحتني بغداد النجاح الذي كنت احلم به واكثر لا تحزني لهذا حبيبتي انت الان كبرت واضحى بامكانك زيارتي متى شئت ...طهران لا تبعد عن بغداد اكثر من ساعة بالطائرة تعالي الي متى اردت
- وانت؟ الن تأتي الى ايران مجددا؟ الن تكرميننا بزيارة ؟ ما رايك ان تقضي معنا العطلة الصيفية القادمة؟
- والدتي دوما تعبر عن شوقها اليك وتتحدث الينا عنك وتتمنى لو انك معنا اينما ذهبنا ومتى جلسنا سويا ...تبقى دائما تكرر جملتها "ليت زينب معنا" "كم اتمنى لو ان زينب بيننا" وكذلك بيجان لكن ربما ابي لا يبالي قليلا.
- والدتي؟ ولماذا لا تأتي هي الى هنا؟ هل ستشق عليها ساعة سفر من ايران الى هنا؟
- عزيزتي زينب هل من الافضل ان نأتي اليك هنا جميعا في بلاد ليس لنا فيها من احد؟ ام ان تعودي انت الينا لنمرح سويا ونلتقي بجيراننا واهلنا؟ فكري في هذا اتمنى ان تقتنعي بالمجيء ...عزيزتي اعلم انك ووالدي لا تتفقان على كثير من الاشياء لكننا عائلة ورغم كل التفاصيل الصغيرة التي يمكن لها ان تفرقنا ستجمعنا المحبة في النهاية ...الحياة اقصر من ان نقضيها غاضبين من احدهم لاجل شيء حصل في الماضي استمتعي بلحظاتك مع احبتك يا اختي ...ان اثمن اوقاتنا لتلك التي نقضيها برفقة من نحب ...اصفحي عن الماضي يا اختي حتى ولو اخطأ بحقك ارجوك...ان اكبر اماني في هذه الدنيا ان ارى ابتسامتك في عينيك .
- قامت ليلى من على كرسيها ووقفت خلف زينب وعانقتها واضعة قبلة على رأسها فربتت زينب على يديها وقالت لها بابتسامة
- كم احبك يا اختي !انت لا تدركين كم انا سعيدة بهذه اللحظة كبرت واصبحت تشاركين اختك همومها واسرارها ادامك الله لي ولا حمرني اياك
- انت اختي الكبيرة التي سأبقى دائما اشعر معها انني طفلة وانني صغيرة مهما كبرت انا التي لا تدركين سعادتي كونك اختي...هيا فلنجمع الصحون والاواني ونغسلها لنشرب الشاي ونأكل بعض المكسرات امام التلفزيون ...هنالك مسلسل ايراني جميل جدا اتابعه على القناة الاولى سنشاهده سويا..

- حسنا

***

كانا جالستين امام التلفزيون وليلى مستلقية بظهرها على حجر زينب التي تمسح على شعرها بحنان

قالت زينب بدهاء:

- ليلى
- نعم
- لم تخبريني شيئا عن اخبار قلبك تحدثنا في كل شيء عدا علاقاتك مع الجنس الاخر ما اخبار الفؤاد؟

(ضاحكة) اتريدين ان اقول لك انني ايضا لدي حسين

(ضحكت بشدة) : حمقاء ...لا اريد لك ان تحبي موظفا يعمل لديك ...اريد لك الافضل

- حسنا ...في الحقيقة قلبي متيم بمجنون مثلي
- حقا؟ حدثيني جيدا عنه ما اسمه؟ ماذا يدرس؟ ماذا يعمل؟من أي مدينة هو وكيف التقيتما؟
- تمهلي يا اختي نحن لسنا حبيبين ولسنا نعيش قصة عاطفية نحن فقط صديقين حميمين لكنني اشعر انني بدأت احبه منذ فترة
- كيف ذلك؟ حدثيني عن كل شيء لا تخفي عني شيئا
- كنت في الكافتيريا في الجامعة احتسي قهوتي على عجل لابتدأ دوامي حين اتى الي واراد مشاركتي الطاولة ليضع كوب قهوته امامي ويبدأ بالتدخين لحظتها وكأنه وضع قلبي بين يديه ...كنت اشتم رائحة عطره المختلطة بالتبغ الملتصق بثيابه ...لا يرتدي لونا اخر عدا الاسود ولا يحمل محفظة على الاطلاق بل يتأبط اوراقه وكتبه...سيجارته لا تفارق اصابعه ..يحب الغموض والصمت والتأمل لكننا عندما تحدثنا اكتشفت جنونه المخفي خلف قناع رصانته...انعه استثنائي بامتياز ...ليس كأحد ممن عرفت..كل شيء فيه يغريني وحين احاول تناسيه اكتشف انني افكر فيه دون ان اشعر بنفسي لقد افلت مشاعري من قبضتي وامسك بها بيديه ...احب رؤيته وقفته حديثه الجلوس اليه عيناه تفاصيله واهتماماته
- وماهي اهتماماته؟
- عرفت مؤخرا انه مع اليساريين في الثورة وقد اسعدني ذلك تعلمني ان والدتي اشتراكية وسيسعدها اذا علمت بذلك
- وهل ستخبرين والديك ؟
- اذا اصبحت علاقتنا جدية وعبر لي عن رغبته في الزواج ساخبرهم بذلك ولم لا افعل؟ على فكرة الم تسمعي بمشروع امك الجديد؟
- لا ماهو؟
- منذ قيام الثورة في ايران وأمك ترغب ان تصبح عضوة في المجلس النيابي ممثلة عن حزب من احزاب اليسار
- حقا؟

- تقول انها لا تريد هؤلاء الاسلاميين المتشددين اللذين يريدون ارجاع المرأة الايرانية قرونا الى الوراء ان يتمكنوا من تحقيق اهدافهم والسيطرة على البلاد بأفكارهم...هي دوما تردد انها تخشى على الدستور الايراني ان يصاغ وفق احكامهم لذا فهي ترى ان من واجبها كمواطنة ايرانية ان تحمي ايران وتمنع حدوث هذا بحصولها على مقعد في مجلس النواب
هل حقا بلغت امك باحلامها هذا الحد؟
- واكثر...لقد شاركت في مظاهرات كثيرة وقامت برفع لافتات واثر سقوط الشاه احتجت على الاعتقالات التي طالت المتظاهرين اثناء المواجهات مع القوات الامنية ...تظن نفسها مناضلة...
- اخاف ان تقول لنا يوما انها تحلم برئاسة ايران

وانفجرتا ضاحكتين سويا

...

قضت زينب بقية ايام اجازتها رفقة اختها ليلى يتسوقان من بغداد...يتنزهان في شوارعها وازقتها وبين أحيائها...يتأملان الفرات ودجلة والنخيل الشامخ ...يتنقلان بين انهج المدينة العتيقة ...المدينة المدورة ذات الابواب الاربعة ...باب الكوفة والبصرة والشام وخراسان....بين الكاظمية والعامرية والمنصورة والاعظمية وبغداد الجديدة...يجوبان بالسيارة حي البنوك وحي التراث وحي الضباط وشارع النضال والرضوانية...ويتأملان ضفاف دجلة من شارع ابي نواس ...احتسيا قهوة في مقهى بغداد الاشهر "الشاهبندر" في شارع المتنبي.

....

بينما كان حسين يتردد على مكتبه دون رغبة في العمل ينتظر عودتها الى الشركة...

***

"اذا لم تجعلك العلاقة بمن تحب شخصا افضل فأنت مع الشخص الخطأ"

- انيس منصور-

كان اليوم الاخير في اجازة زينب....

رافقت اختها الى المطار للعودة الى ايران...وكانت حزينة في الطريق ...وصلا الى مطار بغداد الدولي بعد طريق طويل....كانت تساعد اختها في اخذ حقائبها صمتا...فابتسمت لها ليلى قائلة :

- اختي عزيزتي حان وقت الرحيل كم سأشتاق اليك !
- وانا ايضا يا حبيبتي لقد فرحت كثيرا لزيارتك هذه كرريها اذا استطعت.
- ساحاول لكن زينب ارجوك فكري في ما قلته لك عن عائلتنا . صدقيني مهما كانت الظروف والاسباب التي تمنعك من رؤية والدينا ...انك اذا اتيتنا ستسعدهما زيارتك كثيرا سترين ذلك بنفسك...حاولي المجيء ارجوك
- حسنا يا اختي اعدك ان اسعى الى المجيء سأنسى كل التفاصيل التي تمنعني من ذلك وسآتي اؤكد لك ...فأنا مهما يكن اشتقتكم جميعا كثيرا.
- اثق بك انتبهي الى نفسك عزيزتي لقد حان وقد طيارتي علي الذهاب
- اعطني قبلة

تعانقا بحرارة وكتمت زينب دموعها ...عادت اختها الى ايران بينما قضت هي بقية يومها باكية ...بعد سنوات اكتشفت كم انها وحيدة في بعدها عن اهلها...

عادت الى مكتبها بعد اربع ايام من الاجازة..ذهب اليها حسين الساعة الثامنة والنصف وطرق الباب ...قال

- صباح الخير سيدتي
- صباح النور حسين
- كيف انت سيدتي؟
- حمدا لله بخير
- حمدا لله على سلامة اختك
- شكرا حسين لقد عادت اختي الى ايران وعدت الى عملي صباح اليوم
- سيدة زينب
- نعم
- هل بامكاني ان ادعوك مساء اليوم على العشاء؟
- لا لا يمكنني ذلك لدي اعمال كثيرة علي ان اكملها اليوم
- الا تقدرين على تأجيلها؟
- ماذا؟ منذ متى نؤجل اعمالنا في هذه الشركة؟ لا لا يمكنني ذلك طبعا فلتؤجل دعوتك هذه لليلة اخرى واشكرك سالفا.
- كما تريدين

اقترب من الباب ليغادر ثم التفت وقال: سيدة زينب اعتذر لانني لم البي دعوتك لي لقد اخبرتك ان اكون بمكتبك الساعة السادسة ثم وصلت الي اوراق كثيرة كان علي قراءتها وتوقيعها فلم اكمل الا السابعة والربع كنت قد اتيت الى مكتبك عندها ولكنني طرقت الباب ولم تجيبيننني اخبرتني هالة بأنك غادرت الشركة كنت اريد ان اعتذر منك في الغد فلم تأت وسمعت من هالة ان اختك اتت من ايران لزيارتك وانك ستأخذين اجازة...انا اسف حقا ارجو الا يكون ذلك قد ازعجك

- لا لا مشكلة طالما ان العمل هو ما شغلك بامكانك الذهاب لمكتبك.
- عن اذنك

جلس بقية يومه في مكتبه يحاول تناسي امرها وجفائها وبرودتها التي تقابله بها ولم يستطع اضرام نار اللهفة في علاقته بها ...كيف له ان يمزق القيود التي تكبله امام حبه لها ...كيف للعلاقة العمودية بين موظف ومديرته ان تنقلب فتراه يوما ما لا كما ترى بقية موظفيها ...شعر بالندم على ما فعله اتراه كان عليه ان يترك عمله لاجل ان يلبي دعوتها ؟ اتراها شعرت باهماله؟ لا يزال كذلك حتى دق احدهم الباب ....قال : تفضل

دخلت زينب مبتسمة وقد تأنقت بثوب ارجواني بدى اجمل وهي واقفة ...قالت :

- اتسمح لي بالدخول؟
- طبعا تفضلي؟
- الديك عمل كثير الان ايضا؟
- لا لماذا سؤالك؟
- انني ادعوك للفطور اليوم اتقبل ذلك؟
- لا ارى مانعا
- اذن هيا فلنذهب
- هيا

***

كانت الواحدة بعد الظهر ...وصلت معه بسيارتها الى احد مطاعم بغداد الفاخرة التفت اليها بعد ان القى نظرة على البناية وقال :

- اهذا هو المطعم؟
- اجل
- لا اعرفه
- جيد اذا ستشاركني اول زيارة لك اليه..تفضل إنزل لنذهب

اختارا طاولة مستديرة مغطاة بقماش احمر وقد نصبت عليها اكواب بلورية ومناديل بيضاء وقارورة مياه بلورية ...قالت : هل اعجبك المكان؟

- انه راق جدا لديك ذوق رفيع في اختيار الامكنة
- حسين احيانا الامكنة هي من تختارنا والمواعيد هي التي تأخذنا لا نحن فاذا سئلت اليوم صباحا مع من سأفطر واين لأجبت انني سآكل في مكتبي لوحدي وانت كذلك اليس صحيحا؟

- بلى محقة هيا فلنجلس الى تلك الطاولة

سحب لها الكرسي مبتسما وقال

- تفضلي سيدتي

قالت محمرة الوجه : شكرا جزيلا

اتى النادل فقال حسين : ماذا تأكلين سيدتي ؟

- كما تريد
- ما رأيك بطبق "تشريب" انه طبق عراقي اصيل وهو أكلتي المفضلة
- لا بأس به
- طبقين تشريب مع سلطة وقارورة مياه معدنية من فضلك
- حاضر

وقبل ان يبدأ كلامه طرحت سؤالها غير المتوقع

- لماذا اردت دعوتي للغداء سويا ؟
- اردت ان استجيب لفضولي
- فضولك؟
- اجل بي فضول لمعرفتك ولن اقدر على فعل هذا خلال العمل
- ماذا تريد ان تعرف عني ؟
- سيدتي قلت لك بي رغبة لمعرفتك لا ان اعرف عنك
- وما الفرق؟
- الفرق كبير جدا سيدتي فأنا الان امامك تهمينني انت فقط لا يهمني شيء عنك لذا لا تظني انني سأطرح عليك اسئلة اطالبك باجابتي عنها فعادة عندما نوجه الاسئلة لشخص بنا فضول لمعرفته فان اسئلتنا تلك ستجعلنا نجهله اكثر بدل ان نعرفه حقا ...ذلك ان من يجد نفسه محل تحقيق سيسعى جهده لاخفاء الحقيقة وبهذا نكون قد خسرنا جهدنا في ملاحقته باضواء فضولنا الصاخبة التي سيواجهها بالتخفي حتما
- ربما انت على حق لكن اذا كنت لن تطرح علي اسئلة فماذا سنتحدث ؟
- اريد ان نتحدث فقط تماما كإثنان كانا قد تعارفنا منذ زمن طويل لم يعودا يذكرانه اريد لنا لقاء استثنائيا خاليا من الاسئلة الرتيبة التي يطرحها كل اثنان يلتقيان لاول مرة شبيهة ب "كم عمرك" ماذا تعمل " "اين تقطن""ماذا درست" "ما تحصيلك العلمي" واي شهادة نلتها؟
- وهي في الحقيقة اسئلة لن تفيدنا في شيء ...ان اولئك الاستثنائيين قليلون جدا في حياتنا لذا فاننا اذا التقينا بهم علينا ان نجعل كل لحظة لنا معهم استثنائية تشبههم وحدهم
- تقصد ان امامك امرأة استثنائية؟
- طبعا
- وانى لك ان تدرك ذلك؟

- لقد عرفته عندما لاحظت الفارق بين السيدة زينب مديرة الشركة البترولية والسيدة زينب التي زارتني يومها في بيتي ...انت سيدتي في شركتك صارمة قوية صلبة صامدة لا احد تعلو كلمته فوقك ولكنني عرفت ان هذا ليس كل شيء فيك بفضل غيابي في تلك الايام عن العمل.
- اخذت القضمة الاولى من الصحن الذي قدم لها وقالت:
- كيف ذلك؟
- لحظة طلبت عودتي في بيتي كانت طرقتك في الحديث الي شيئا لم اعهده في امرأة من قبل
- كنت قد فعلت ذلك في اطار حرصي على مصلحة شركتي بصفتك موظف هام فيها
- اهذا فقط؟
- وماذا ايضا؟
- سألتني وقتها عن الادب انك لم تتحدثي معي كموظف يعمل لديك فقط...شعرت وقتها انك تحدثت الي كانسان كرجل لا كأحد يعمل لديك فقط في تلك اللحظة شعرت انك امرأة فوق المرتبة العادية التي تمثلينها لي أي "مدرستي في العمل" كنت وقتها اشبه ب امي اختي صديقتي اكثر نم كونك مديرتي
- انظر حسين انا سيدة ايرانية من طهران اتيت للعمل في هذه الشركة التي اسستها بنفسي منذ قرابة خمس سنوات هنا في بغداد كونت نفسي وشركتي بنفسي...وعملت باجتهاد لوقت طويل حتى سطع اسم هذه الشركة في المنطقة ...ابتعدت عن اهلي ومدينتي وموطني وعرفت ماذا تعمني كلمة "الغربة" وتغير في اعماقي شيء كثير ربما لهذا اصبحت اشعر ان الغربة مرحلة اساسية يجب على كل فرد منا ان يعيشها وفيها سيكتشف نفسه فالغربة مرآة اذا لم امر بها لن ترى حقيقة من تكون في العمق وهذا جعلني انظر لدنياي بطريقة مختلفة وجعلني اقدر قيمة الناس من حولي اكثر لذا فانني عندما اتيتك وقتها كنت فعتل ذلك لانني ادركت قيمتك كموظف لدي في الشركة مجتهد ومحترم ويغار على عمله وعلى سمعة المكان الذي يعمل فيه ويهمني الا تخسرك الشركة ولانني اخطأت عندما كانت ردة فعلي تجاهك هكذا في ذلك اليوم الذي طردتك فيه من مكتبي وكان اقل ما يمكن ان افعله معك هو ان اعتذر منك في بيتك
- فهمت شكرا لكرمك وذوقك سيدتي
- سيد حسين
- نعم سيدتي
- هل لي بسؤال لك؟
- طبعا تفضلي
- لو لم آتي لك الي البيت في ذلك اليوم اكنت لن تعود للعمل في الشركة
- لا ادري ربما
- اتعلم شيئا ؟
- انت علاوة على انك موظف جيد انت رجل اجد فيه شيئا لا اجده في غيرك
- ما هو هذا الشيء؟
- لا ادري حتما ما هو ربما ادركه يوما ما واخبرك عنه
- فهمت تقصدين انك انت ايضا تجدينني استثنائيا

(ضحكت): اجل ربما

- جيد شعور متبادل اذا؟
- يبدو كذلك
- ...
- بعد سهرة مطولة تبادلا خلالها مختلف الاحاديث وبعد الساعة منتصف الليل افترقا امام باب بنايته وقبل ان يفترقا صافحها مبادرا ايها بتحية مرفوقة بابتسامة قائلا ارجوك الا يكون اللقاء الاخير لنا
- لن يكون كذلك اطمئن سدي حسين
- تصبحين على خير سيدتي
- الى اللقاء

...

عادت الى بيتها مدهوشة من الاعيب القدر أي صدفة شاءت لها ان تجتمع به على العشاء في لقاء لم يكن محتسب .....كيف امكن للحب ان يوقعا بهذه السهولة اما شخص استثار سريرتها الى هذا الحد واستفز كتمانها حتى نزع عنه الغطاء في وقت قصير جدا وفي لقاء واحد جلست فيه اليه؟ أي رجل هذا الذي خلق بها الجرأة فجأة لتخلع امامه خمار روحها وبرقع اعماقها وتشع فضوله كلمات ما قالتها لأحد قبله؟ كيف امكن له ان يفعل بها ما فعل ؟ بقيت تذكر كيف كانت جالسة قابلته تنظر اليه كيف يعبر الاسئلة دون المرور بها تماما كيف يراوغ انتباهها متهربا من نقاط الاستفهام ليفتك منها اعترافا دون ان يشتبه في فضوله ...كانت غايته ان يأخذ منها ما يريد سماعه دون ان تصده اشارات حمراء ...

في مكتبه كعادته يعيد التفكير في ما قالته له في ذاك اللقاء لحظة اكتشف بدهشة امراة لا تشبه تلك التي تصورها كانت متواضعة واقعية امراة صعدت من الصفر الى القمة وضعت نجاحها بنفسها انها مختلفة تماما عن تلك المديرة التي يلتقي بها يوميا امام باب الشركة ليدخلا سويا وتسبقه في مشية صارمة وتحدثه بكلمات مدروسة في نطاق العمل الذي يجمعهما لا غير زينب التي اكتشفها للتو مختلفة تماما عن تلك التي اعتادها كان يتذكر كلماتها باحثا في الجرائد والمجلات عن موعد مناسب لفيلم مثير يشاركها مشاهدته

غدا السابعة مساء الوقت الانسب للفيلم الاجمل اقترح عليها ذلك صباحا فلبت دعوته

...غادرا قاعة السينما بعد الساعة منتصف الليل منتشين بروعة الفيلم الذي شاهداه ..نظر اليها مبتسما اما باب القاعة وامسك بخديها بين كفيه وقال بصوت ناعم:

- عزيزتي اتريدين مشاركتي اللحظات الاخيرة من هذه الليلة قبل النوم فوق الجسر المضيء امام نهر الفرات الان وقد انتف الليل وخفت حركة مدينة بغداد اريد ان اريك روعة مشهد الفرات ليلا والقمر يضيء فوقه وانوار المدينة تشع حوله.
فهنا في بغداد العشق جملة مبتدأها الفرات
- حسنا فلنذهب

ركبا السيارة التي قادها بها نحو ذلك الجسر ثم توقف على حافته اليمنى ونزل وفتح لها الباب وساعدها على النزول مبتسما :

- اهلا بك سيدتي فوق نهر العشق البغدادي "الفرات" سحر بغداد وشريانها كم اعشق هذا المشهد انه يشعرك ان العالم من حولك هو بغداد فقط لا غير ...منذ طفولتي اعشق هذا النهر واتعلق به كل يوم في خرير مياهه كتبت لحظات طفولتي وبين موجاته الهادئة رسمت اكبر طموحاتي واحلامي الصغيرة
- كم يعجبني تعلقك ببغداد وعشقك لتفاصيلها تماما كعشقي لطهران وشوارعها وسمائها في كل نخلة مطلة على الفرات خبأت جزءا من قلبي اتعلمين؟ من احدى اجمل ذكريات طفولتي انني كنت اركب زورقا صغيرا كان لابي في تكريت صباح ونجوب به مياه هذا النهر حتى تقارب نهايته وابي يغني لي اغنية الفنان العظيم ناظم الغزالي

"حياك بابا حياك

الف رحمة على بيك

هدول العذبوني

هدول المرمروني

على جسري المسيب سيبوني"

واغاني اخرى عن الفرات مازلت اردددها

كنت اطلب اليه ان يتركني على جسر الفرات اقف وحيدا مطلا على مياهه ويأبى لا ان يمسك بيدي متغزلا بنخلاته وضفافه ومياهه وغروب الشمس قبالته

- اذا الفرات هو كل شيء لك
- قلت لك على مياه الفرات رسمت طفولتي واحلامي
- لا ابعدك الله عنه
- امين ! عزيزتي امسكي بيدي ...وضعت يداها بيديه فقال "اتعلمين لماذا جئت بك الى هنا الليلة ؟"
- لماذا ؟
- اردت ان اهديك شيئا اشتريته لك اريد له ان يبقى مني لك ذكرى تتذكرينني بها دائما
- وهل ستفارقني
- لا ليس للفراق بل للذكرى
- لا اريد لك ان تصبح ذكرى اريدك ان تبقى واقعا دوما
- لا احد يعلم متى يمكن للعاشق ان يغيب عن حبيب قلبه اذكر قول احد شعراء لبنان **"ناصيف يازجي"** عن الغياب

" وكم يمضي الفراق بلا لقاء * ولكن لا لقاء بلا فراق"**

والان اغمضي عينيك عزيزتي

اغمضت عينيها متحمسة فصفق قائلا "افتحها الان"

ورفع امامها غطاء علبة موسيقية وردية تتوسطها دمية ملونة صغيرة اخذت بالدوران على انغام قطعة موسيقية من البيانو فضحكت متفاجئة وقالت له :

- ما اجمل اختيارك
- انها لك وحدك ستتذكرينني كلما نظرت اليها اذا فتك بقلبينا الغياب يوما ما
- كم هو رفيع ذوقك لم ارى بجمالها قط
- جمالك يستحق كل شيء جميل سيدتي
- شكرا جزيلا حسين انها هدية جميلة حقا لم توقع منك مبادرة كهذه
- سيدتي ارجو ان تنسي او تتناسي انني موظف لديك في الشركة وانك مديرتي ...نحن الان اصدقاء وهذه مجرد مبادرة صغيرة اراد احد اصدقائك ان يسعدك بها
- لقد اسعدتني حقا اتمنى ان تتذكرني دائما كلما تذكرت انك قد عملت بشركة زينب للتحويلات النفطية اتمنى ان اكون دوما ذكرى سعيدة وشيئا جميلا في ذهنك...
- ولم ذكرى سيدتي؟لم لا تقولين انك واقع جميل اعيشه بصعوبة بالغة في القدرة على تصديقه لشدة جماله
- ربما لكن للأسف هناك اشياء كثيرة نظن انها حقيقة وواقع جميل نعيشه لنكتشف في اللحظة الاخيرة انها وهم بعيد وحلم سعيد كان يراودنا لا اكثر
- هذا صحيح لكن بارادتنا يمكن لنا ان نجعل الحلم الجميل واقعا اليس كذلك سيدتي ؟ فقط علينا ان نعلن اننا نريد ذلك
- ربما اظن ان الوقت تأخر يا حسين يجب علينا العودة
- ..

عاد حسين الى البيت سعيدا باللقاء الذي جمعهما في قاعة مظلمة امام فيلم يتشاركان نفس المشاعر وردات الفعل امامه دون ان يفهم ما كانت تقصده من كلماتها الاخيرة قبل العودة ...لم يهتم بذلك كثيرا ونام عميقا حتى انه استيقظ متأخرا في الصباح...وجد وقت العمل قد فاته ....الساعة التاسعة صباحا ودون ان يتناول فطوره او يحضر قهوته ارتدى ثيابه سريعا وذهب الى مقر الشركة ودخل بسرعة الى مكتبه ليبدأ عمله

كان بيده ملف المحاسبات الذي عليه اخذه لمكتب المديرة فاتصل بها...لكن هاتف المكتب لا يجيب ..اجل ذلك الى الظهيرة قائلا في نفسه "لا بأس سأذهب اليها قبل الخروج الى الفطور واعطيها اياه علنا نفطر سويا"

كانت الثانية عشرة ظهرا توجه الى مكتبها قبل مغادرة الشركة ممسكا بالملف وطرق الباب بهدوء لكن لا احد قال "تفضل" حاول فتح الباب فوجد المكتب مغلقا

ذهب الى هالة ليسألها عن سبب ذلك فأجابته:

- السيدة زينب في ايران

تفاجأ حد الذهول وقال لها :

- كيف ذلك ؟ متى ذهبت ؟ لقد كانت هنا البارحة

- اجل لكنها توجهت نحو بلادها اليوم فجرا واتصلت بي صباحا من مطار طهران الدولي قالت انها ستغيب ايما غير محددة ربما تطول لذلك عينت ايهم لينوبها في ادارة الشركة بحكم كفاءته وخبراته

اذا كان لديك ملف مهم يمكنك ان تطلع عليه السيد ايهم وهو سيقوم باللازم عوضا عن المديرة

- الم تقل شيئا عدا هذا ؟
- لا ليس اكثر من هذا قالت انها ستبقى على اتصال بنا بتعرف اخبار الشركة فقط لا اكثر
- حسنا شكرا هالة
- عفوا

غادر حسين الشركة مذهولا الى درجة الدهشة ...لم يقدر على قول شيء ....لكنه فهم فقط لم قالت له تلك الكلمات الاخيرة قبل ان يوصلها الى البيت ...كانت تريد ترك بغداد ولم تخبره.

"سألاحقك وسأجعل من جحيمك جنة لي فما ألذ الموت على يد الحبيب"

- ويليام شكسبير-

من المطار الدولي في طهران

الساعة التاسعة صباحا

ركبت سيارة اجرة متجهة نحو مدينتها كانت تشاهد شوارع طهران من النافذة

" تغيرت يا طهران كثيرا منذ ذلك اليوم الذي تركتك فيه .كم علا بنيانك وكم زادت بناياتك وكم تغيرت شوارعك وكبرت وازدادت فيها الدكاكين والمحلات .لم اتركك منذ وقت بعيد لكنك تركتني منذ وقت ابعد....تغيرت وغيرتني كثيرا يا طهران ...لم اعد اعرفك كما لا اعلم اذا كنت ما تزالين تعرفينني ام لا . ربما لن اغدرك بعد هذا اليوم.ربما سأبقى فيك لاخر ايام عمري ..هنا كانت طفولتي وهنا عشت مراهقتي وعشقت اول شاب اسمر ذا ذقن اسود لم يبادلني حبي. هنا كانت اول ضحكاتي واول خيباتي . هنا تبادلت الكلمات مع اخوتي واصدقائي ...وهنا تبادلت القبلات وايهم كي اغادرك نهائيا للعمل في بغداد. لم يبكن ذلك بارادتي يا طهران صدقيني. لم أشأ تركك ولم اتمنى يوما ان اصبح غريبة عنك.رمى بي القدر على ضفاف دجلة والفرات كي يعانق دمعي نخيل بغداد ويترك سنديانك يا طهران.كم اشتقت ان تمتلأ رئتاي بهوائك ! كم اشتقت ان اركض كطفلة في شوارعك ضاحكة ركضا خلف اخي لانه سرقني قطعة الحلوى التي سلمني اياها ابي كم اشتقت ان اركض خلف اختي في حديقة بيتنا الصغير لاخذ منها الفستان الذي اهدتني اياه امي فارتدته هي قبلي كي استشيط غضبا واصفعها فتصرخ باكية فتضربني امي انا واياها ثم اراضيها كي اسعد والدتي وارضيها عنا كلينا كي تعيد لي فستاني ! كم اشتقت لتلك الايام ! كم اشتقت لتأمل نجومك ثم انام فوق سطح البيت ملتحفة بنسائمك وانهض في الصباح مريضة من بردك يا طهران ! كم اشتقت اليك !

قال السائق :

- سيدتي وصلنا

- تفضل يا سيدي نقودك

- شكرا

- عن اذنك

نزلت زينب من سيارة الاجرة ونظرت الى بيتها والبيوت المحاذية له التي لا تزال نفسها دون أي تغييرات ....

ربما يكون بيتنا هو الشيء الوحيد الذي لم يتغير فيك يا طهران .

طرقت زينب الباب بقوة وكان قلبها وكان قلبها يخفق بشدة...ظهرت ليلى من الباب وقالت:

- من ؟
- انا يا اختي افتحي لي لا تتركيني هنا وحيدة
- من؟ زينب ؟ لا لا اصدق عيناي هل تمزحين؟ متى جئت وكيف؟

فتحت الباب وارتمت عليها حاضنة اياها بشدة

- على مهلك يا اختاه لقد كنا سويا منذ ايام
- اجل لكنني اشتقتك سريعا هيا ادخلي سأحمل عنك الحقائب
- شكرا يا اختي

دخلت زينب الى البيت سعيدة ونادت :

- امي ابي بيجان اين انتم انا زينب هيا تعالوا واستقبلوني

نزل بيجان من غرفته ممسكا بقطعة خبز:

- اختي ؟ زينب؟ لا اصدق ...هل مازلت تذكرين ان لك عائلة في طهران؟ كيف حصل وجئت ؟ هل تراك اخطأت الطريق الى الشركة فوجدت نفسك في طهران؟

(ضحكت) : لا لقد جئت بارادتي لم اخطأ.

تبادلا القبل :

- جيد مادمت تذكرينا لقد اسعدتني حقا بمجيئك.
- وانا سعيدة جدا بمجيئي اليكم كم اشتقتكم.
- اراك تأكل كالعادة امازلت اكولا كما تركتك؟
- اجل وما الداعي للتغيير؟ انا دوما كما تعرفينني
- اين والداي يا اختي؟
- لقد ذهبا للتسوق تعالي الى الصالون يا زينب سآخذ حقائبك الى غرفتك فوق.
- زينب هل تريدين ان احضر لك شيئا لذيذا من يداي؟
- لا لست جائعة يا عزيزي تعال واجلس بجانبي لقد اشتقت ابل جلساتنا وحديثنا سويا وجنوننا
- ونحن اشتقنا لك كثيرا

وبينما هما يتحدثان وليلى نازلة من الدرج فتح الباب ودخل والداها...قالت امها واضعة اكياس الخضار على الارض

- اخ تعبت كثيرا...ليلى تعالي ادخلي الاغراض الى المطبخ.

قال بيجان : هاه ها قد اتى والداي

قال والداه: بيجان ؟ مع من تتكلم؟ هل انت صاح ؟ منذ متى تصحو باكرا وقبل الظهيرة

قال : منذ اتت اختي زينب الى هنا.

فالتفتا اليه سويا مدهوشين ...وقفت زينب مبتسمة وقالت:

- امي ابي مرحبا انا اتيت كم اشتقتكما !

(امها) : زينب؟ متى جئت وكيف؟

(اباها) : زينب ابنتي انت هنا؟ اهلا بك عزيزتي ونحن اشتقنا لك كثيرا ايضا .

تبادلا القبل بفرح غمر البيت كله وجلسا يسألانها كيف اتت ومتى ولماذا وهي تجيب بسعادة بدت في عينيها الدامعتين فرحا بهذا اللقاء الذي لم تتوقعه مذ غادرت طهران منذ سنوات

قالت امها :

- كيف خطرت لك هذه المبادرة ؟ظننا انك لم تعودي تذكريننا
- لا يا امي لا تقولي هذا لا احد لي في الدنيا غيركم ...لا يمكن لثرائي ونجاحي في بغداد ان ينسيني العائلة والحب والدفئ والعاطفة والبيت الجميل اللذين تركتهم في طهران
- كم هي جميلة كلماتك يا ابنتي حقا انت زينب ابنتي التي افخر بها وبتربيتها اه كم اشتقتك وسعدت برؤيتك ...ضمتها اليها فقالت زينب
- وانا ايضا يا امي.

قال بيجان :حدثينا عن نجاحك وثرائك فيي بغداد يا اختي هل ستصبحين قريبا وزيرة النفط في الحكومة العراقية ؟

فضحك الجميع وقالت زينب ضاحكة:

- اخي عزيزي حبكم واهتمامكم والحياة معكم تغنيني عن كل ثرائي ونجاحي ومناصبي في بغداد حتى ولو صرت وزيرة النفط

قالت والدتها:

- هل تركت عملك ام اتيت الينا اجازة؟

قال والدها : زينب كيف اتيت الى هنا ؟ ماذا عن عملك ؟ هل ستبقين طويلا هنا ؟

ماذا عن ادارة شركتك ؟

- لا تهتموا ! الشركة ستكون بخير كلفت احد الموظفين ذو خبرة وكفاءة عالية ان ينوبني في ادارة الشركة الى حين عودتي انني لم اترك عملي...فقط اتيت الى هنا للراحة والاستجمام

قالت امها : هذا جيد طمأنتنا عليك ان تكوني حريصة على عملك واسمك وسمعتك وسمعة الشركة يا عزيزتي الناس لا يتركون احدا ناجحا في سلام الا بعد ان يحطموه

- عليك ان تحذري الجميع وان تعملي بجد وتحافظي على اسم الشركة انها شركة ناجحة ولامعة في الميدان في كامل اقليم الشرق الاوسط وليس فقط في العراق اسمعت يا ابنتي؟
- اطمئني يا امي انا حريصة على اسم الشركة وسمعتها كثيرا

قال بيجان: دعونا من العمل الان ودعونا نطبخ طبقا لذيذا للفطور لنحتفل بقدوم زينب

- اجل هذا افضل سأذهب الى غرفتي لتغيير ثيابي وانزل لمساعدتكم

قال والدها :بيجان عزيزي خذ هذه النقود واشتر عصيرا وبعض الحلويات والمكسرات

- حسنا يا ابي

اجتمعوا في المطبخ لتحضير الفطور وتبادلوا الاحاديث والضحكات والملح ثم اجتمعوا على الطاولة للفطور اثناء ذلك قالت زينب:

- كنت اشاهد شوارع طهران من نافذة سيارة الاجرة لقد تغيرت طهران كثيرا تطورت بناياتها وازدانت شوارعها بمحلات عديدة لم تكن موجودة
- اجل لقد تغيرت طهران كثيرا يا ابنتي انها تواكب العصر والتنمية والتكنولوجيا بسرعة جنونية
- اجل يا ابي لكنني لاحظت شيئا غريبا في ايران
- ماذا لاحظت يا اختي؟
- كأن الناس يمشون في الشارع بحذر بالغ وخوف شديد وكأن البلاد متأهبة لحرب غير معلنة شعرت بخوف شديد من رؤية شوارع طهران في هذه الحال

صمت الجميع وتنهدت والدتها فقالت زينب باستغراب .

- ما بكم ؟ لماذا لا تقولون شيئا ؟ هل في كلامي خطأ ما ؟

وضع والدها الملعقة من يده وقال لها بابتسامة :

- لا يا ابنتي للاسف كلامك ليس فيه شيء من الخطأ بلادنا على صفح ممن نار كرماد يشتعل من تحته اللهب يمكن ان تحترق بأية لحظة انت لا تعرفين شيئا مما يحصل هنا في ايلول الماضي ايلول 78 فكانت البلاد مزعزعة على نحو شديد فرض الشاه علينا احكاما عرفية تحظر التظاهرات بعد ان تحولت كل شوارع طهران الى ساحة للمظاهرات الحاشدة ...يوم 8 ايلول خرجت مظاهرات حاشدة للغاية وحصلت مواجهات دامية حتى عررف ذلك اليوم بيوم الجمعة السوداء ...وقتها نشر قادة الثورة اشاعات تفيد بأن الجنود الصهاينة يرتعون في البلاد ةويقومون بقتل الالاف بينما في الواقه كانت الميليشيات الكردية هي من اطلق النار وكان عدد القتلى قرابة 87 وفق ما افادته التحقيقات

قال بيجان :اجل وهذا ما جعل الكثيرين من داخل ايرام ومن خارجها يتراجعون عن مساندة الحكومة الايرانية التي ظهرت بصورة وحشية فخسرت حلفائها وهو ما ادى الى اضراب عام واسع شمل كل الميادين في شهر اكتوبر الماضي شل الاقتصاد والصناعات الحيوية فحسمت مصير الشاه وبلغت الامور ذروتها واصبحت الاحتجاجات على اشدها في شهر ديسمبر الماضي .

قالت ليلى : وهو ماجعل الناس يوم 12 ديسمبر الماضي الموافق للشهر محرم الشهر الاهم لدى الشيعة يخرجون في مظاهرة بلغت مليوني شخص في شوارع طهران طالب جميعهم بالإطاحة بالشاه وبعودة الخميني ونزولا عند رغبة الشعب وبسبب الضغط الشعبي والسياسي والخارجي غادر الشاه يوم 16

يناير الماضي ايران مع الملكة بطلب من رئيس الوزراء "شابور بختيار" زعيم المعارضة فدمرت الدولة البهلوية في ساعات قليلة وعمت البهجة شوارع ايران .

في ذلك الوقت اعلن "بختيار" حل البوليس السري الذي كان يخدم لصالح الشاه (سافاك) وافرج عن السجناء الثوريين السياسيين ووعد بانتخابات وسمح بالمظاهرات الشعبية آمرا الجيش بوقف قمعها

قالت والدتها: ليعود الخميني بعد بأيام من تواصل المظاهرات المطالبة بعودته وطلب الى "بختيار" تأسيس دولة مثل الفاتيكان في مدينة قم المقدسة ثم دعا المعارضة لمساعدته على الحفاظ على الدستور ومنذ شهر فبراير الماضي اضحى الخميني شخصية مقدسة ورمزا للثورة في البلاد ...في غرة الشهر الماضي حين اتى الخميني للبلاد احاطه المحبون فور نزوله من الطائرة بالتحية والسلام والنداءات في حماس قائلين "السلام عليكم ايها الامام الخميني" كان يقصد وقتها نظام رئيس الوزراء "بختيار" حيث قال عنه بما انني قد عينته فيجب ان يطاع واعتبر حكومته حكومة الله وعصيانها هو عصيان الله

قالت زينب مذهولة : والان ماذا؟

فاجابها والدها : الان راحت تكتسب حركة الخميني مزيدا من الموالين منذ اتى والقتال على اشده بين مواليه ومعارضيه بعد ان اضحى محور الاحداث في ايران حتى اطيح بالحكومة غير الخمينية نهائيا يوم 11 شباط الفارط حين اعلن المجلس العسكري الاعلى نفسه محايدا في النزاع السياسي لمنع مزيد من الفوضى والدم

قال بيجان :

- والان "الخميني" هو زعيم ايران لوحده انه يعتبر ايران جمهورية خمينية وقد وضع مجلس صيانة ليقوم بنقض أي تشريع دستوري متعارض مع الشريعة الاسلامية وقال ان الحكومة الجديدة عليها ان تكون شيعية 100 %

قالت ليلى :

- اما مجلس الخبراء فقد وضع دستورا جعل من خلاله الخميني القائد الاعلى للقوات المسلحة وهو الان له السيطرة على الجيش والاجهزة الأمنية وله حق نقض المرشحين للمناصب وقد نصب نفسه رئيسا مدى الحياة وقائد الثورة والمرشد الروحي الاعلى اتعلمين انه قام بنقض ترشح والدتنا لمنصب رئيسة مجلس النواب كونها يسارية فقدمت طلب استقالتها من المجلس؟

- حقا؟ الهذه الدرجة؟
- نعم يا زينب لقد تصارعت التيارات التي جمعتها الثورة طويلا ..الدينية والليبرالية والعلمانية والماركسية والشيوعية كلها عارضت الشاه لكن عارضت بعضها بعد سقوطه لاجل الفوز بالسلطة كانوا يتصارعون لاهداف مختلفة منها انهاء الاستبداد والحد من التأثير الغربي الامريكي وارساء المساواة والعدالة الاجتماعية لكن البقاء كان للاقوى..."الخميني".

قال والدها : لقد كان الشق اليساري الطرف الاخطر على الولايات المتحدة لانها تخاف ان يمسك بالحكم فيجعل من الاتحاد السوفييتي حليفا له فراهنت على الاسلاميين ...لذا فإن الولايات المتحدة تبارك الاسلاميين الان وتحالفهم.

- هل كل هذا حدث في ايران يا امي ؟
- اجل يا ابنتي لا تستغربي بعد سنوات وربما ايام ستصبح الحياة في ايران صعبة جدا ...ان الحكم الاسلامي يزرع جذورا قوية في الدولة...الاسلاميين يريدون ان يصبحوا دولة لا فقط حكومة ونظاما ...لقد بدأوا بنشر شرطة اخلاقية توقف الفتيات غير المحجبات في الشارع وتأخذهم الى المراكز الامنية وتهددهم بالسجن ان لم يوافقوا على ارتداء الحجاب بالاضافة الى ايقاف كل المظاهرات التي يقوم بها الطلاب في الجامعة واعتقال المسؤولين عنها وسجنهم ومنع كل طالبة غير محجبة من دخول الجامعة.

قال بيجان : ليس ذلك فقط بل واعتقال الشباب اللذين يرتدون الجينز او يضعون اكسسوارات او اقراط بحجة الميوعة والذوق المنحل

قالت له والدته : طبعا فالامر لن يتوقف عند الفتيات فقط يا بني بل سيشمل الجميع . كم تغيرت ايران !

قال لها : هذا هو مثن اسقاط الشاه الانتقال من دكتاتورية علمانية لدكتاتورية اسلامية اشد قوة وبطشا وسوءا.

قال زينب :

- لقد المني رأسي يكفي هذا ارجوكم دعونا نشرب الشاي ونأكل بعض المكسرات امام التلفزيون.

قال اخاها :

- انصحك الا تشاهدي التلفزيون فالقناة الايرانية الاولى لن تعرض شيئا عدا برامج تمجيدية للخميني والحكومة الاسلامية وانجازاتها العظيمة
- ما هذا القرف؟ كيف تعيشون في هذه الظروف؟
- انها حياتنا اليومية يا اختي لقد تعودنا خذي كأس الشاي وابتسمي لان عائلتك لا تزال بخير وسط كل هذه الظروف
- حمدا لله ...لكن لماذا لا تخبرونني بكل هذا؟
- لا نريد ازعاجك يا اختي ثم ماذا ستستفيدين اذا تحدثنا لك عن الحكومة وطغيانها ؟ عملك اهم من هذا كله.
- معك حق .

في المساء ...كانت زينب مع اختها في غرفتها...قالت لها :

- اخت يهل اقول لك شيئا وتعطيني رايك بصراحة؟
- طبعا زينب ثقي بي
- في الحقيقة انا لم ارد ان اقول ذلك لوالديك على الطاولة اثناء الفطور لأنهما بديا لي مستاءان جدا من الوضع الذي اصبحت عليه ايران.
- في الحقيقة كلنا مستاؤون ونحن الشباب استياءنا اكبر من استياء من هم اكبر منا سنا.
- لقد فكرت مليا في ما قلته لي حين مجيئك وقررت الاستقرار في طهران وترك بغداد
- ماذا ؟ ماذا تقولين؟
- كما سمعت

- لكنني عندما قلت لك ذلك كنت اقصد ان تزورينا والا تنسي اهلك او تظني ان والدينا غاضبين منك لكنني لا اريد ان تستقري هنا يا زينب ...الحياة هنا ستصبح صعبة ... الايرانيون يهاجرون ايران وانت تريد ين المجيء اليها؟
- لكنني قررت وانتهى ربما سأبيع الشركة في بغداد وافتح بثمنها مشروعا جديدا هنا في ايران زينب انا اختك واريد مصلحتك ولا يمكنني ان اكذب عليك الظروف في ايران صعبة جدا والحياة فيها ليست جيدة كما تظنين خاصة بعد الاحداث الاخيرة ...ثم هل حقا ما تزالين على قرارك الذي اتخذته في بغداد بعدما رأيت كيف اصبحت طهران كما يعيش جميع الايرانيون وانا ؟ الست ايرانية مثلكم؟ بامكاني ان اتحمل جل الظروف كما تتجملونها انني بحاجة للبقاء بينكم انني بحاجة الى الشعور بالانتماء لأرض ولدت فيها
- ونحن نتمنى بقاءك بيننا يا عزيزتي لكن بقاءك هنا سيجعلك تكرهين انتماءك ولا تحبينه صدقيني يا اختي
- هل تريدين ان تمسك بك شرطة الاخلاق وتجبرك على الخروج بالجادور والعباءة الزينبية وتمنعك عن مغادرة البيت دون ارتدائها؟ زينب لا تلعبي بمستقبلك ..كيف ستبيعين شركة لها اسم وسمعة كبيرين في الشرق كله لاجل ان تعيشي في بلاد كهذه؟

"زينب" ...دخلت امها منادية اياها فذهلت وقالت متفاجئة :

-امي انا...انا ...

- لقد سمعت كل شيء لا تحاولي الكذب ...ما بك؟ ما القصة؟ لماذا تريدين ترك بغداد؟

- اشتقتكم واشتقت العيش في ايران يا امي

- ايران لم تعد بلدا مناسبا للعيش يا زينب

- ربما هي ظروف مؤقتة وستنتهي قريبا يا امي

- لا ابدا سيدوم هذا طويلا وربما لا ينتهي حتى عقود قادمة ....ستكون الحياة صعبة جدا في الايام المقبلة ...عليك العودة سريعا الى بغداد ونسيان مشروعك هذا ...

- لكن امي انا ...

- اذا لاجل هذا اتيت الينا ؟ كنا نظن انها زيارة جاءت في خضم اجازة لك من العمل ...لمن تركت الشركة زلت في كامل مداركك العقلية ؟ هل جننت يا زينب ؟ ما بك؟ ماذا حصل لك ؟ عودي سريعا الى بغداد هل فهمت؟ غدا تمتطين اول طائرة متجهة الى العراق ...لا اريدك ان تبقي يوما اخر هنا في ايران ...مفهوم؟

- لكن امي ...

- يكفي هذا يا زينب لو سمع ابوك ما قلته الان لاختك لاصيب بنوبة قلبية ...هل تفرطين بهذه السهولة في شكرة تبعت سنوات لاجل انجاحها كي تأتي الى ايران وتفتحي مشروعا لست ضامنة نجاحه من فشله

- لكنني اخاف عليكم في ظروف كهذه اريد ان اكون معكم واساندكم.

- سنكون بخير نحن هنا نساند بعضنا ولا احد منا سيترك الاخر اطمئني...نحن تعودنا الحياة القاسية هنا وتحملنا شتى الظروف لكنك لن تتحملي ولو حاولت لن تقدري صدقيني حين عشت في ايران كنت مدللة لان ايران كانت متحررة انت لا تعلمين ماذا يعني ان تكون دولة بأكملها في قبضة متشددين دينيين....عودي حيث جئت ولا تغضبي ابيك ...صدقيني لو انه سمع كلامك لغضب منك كثيرا ...ارجك يا زينب انت الوحيدة التي يطمئن قلبنا لحالها انا وابيك...اما عن ليلى وبيحان فهما في خطر محدق بهما في كل وقت ونحن دائمو الخوف عليهما ارجوك عودي الى بغداد ولا تفكري في هذا مجددا ان كنت تريدينا ان نبقى مطمئنين انا وابيك هل سمعتني؟

- حسنا يا امي امرك مطاع.

- لا تتركي شركتك ولا تهمليها مجددا هذه وصيتي لك يا ابنتي

- حسنا يا امي اعددك ان اعود الى بغداد لكن اتركيني هنا فقط غدا اريد البقاء معكم يوما اضافيا فقط يوما واحدا يا امي ارجوك ....ثم اعدك بالعودة

- حسنا بامكانك البقاء غدا لكن لا تقولي شيئا مما كنت تقولينه منذ قليل امام اخاك او اباك

- لا اعدك بذلك انسي الموضوع يا امي لن اتفوه به مجددا

- حسنا تصبحان على خير

قالت ليلى "وانت بخير يا امي"

غادرت والدة زينب الغرفة وذهبت الى النوم فعانقت ليلى اختها بحنان وشفقة وقالت لها :

- امك محقة في كل ما قالته انها تريدك ان تكوني بخير وتبحث عن مصلحتك وبقاءك هنا ليس من مصلحتك
- فلنغير الموضوع يا ليلى لا اريد الحديث عن هذا مجددا لقد المني رأسي
- حسنا دعيني احدثك عن حبيبي
- اجل حدثيني

تسامرا يتبادلان الاحاديث في شتى المواضيع حتى ناما سويا وفي الغد اخذت ليلى اختها الى شوارع طهران وتنزها سويا في مختلف مدنها وثناياها وكان الوضع الامني على اشده وهو ما لم يمنع الناس منن الاحتفال بعيد النيروز

كانت ليلى تقود السيارة وقالت لاختها:

- هل تذكرين أي يوم هو اليوم؟
- انه الحادي والعشرين من اذار لماذا؟
- اليس هناك شيء نقوم به في هذا اليوم يا اختي ؟ تذكري جيدا
- لا اذكر
- اليس اليوم هو عيد في ايران ؟ تذكري
- عيد النيروز

- اجل احسنت اصبحت ذاكرتك ضعيفة بعض الشيء ألأنك تركت ايران كل هذه السنوات نسيت اشهر اعيادها انه لا ينسى يا اختي
- اجل معك حق انا مخطئة في هذا الجانب لقد انغمست في العمل الى درجة انني نسيت اعيادنا المعتادة ...اذا مؤكد اننا سنرى "الحاج فيروز" يجوب الشوارع مع الاطفال ويغني الاغاني الشعبية وسنجهز مائدة السينات السبعة في البيت
- اجل ولهذا اردت ان اجوب بك شوارع طهران قبل عودتك الى بغداد
- انت رائعة يا اختي كم انت ذكية انا سعيدة جدا لانني في ايران في هذا اليوم بعد كل هذه السنوات
- سوف نزور قبور عائلتنا ونضع عليها الورود هكذا امرتني امي لكن عليك ارتداء حجاب قبل النزول من السيارة عزيزتي زينب
- حاضر سأفعل

....

في بغداد ... كان حسين في مكتبه يفكر بها يتساءل بينه وبين نفسه تراها لم فعلت ذلك به؟ ما غاتيها ؟ ما السبب ؟ لم لم تخبره ؟ اتراها تعود الى بغداد مرة اخرى ام انه لن يراها مجددا ؟ قرر ان يفعل شيئا عله يفهم ما فعلته ولماذا ....اتجه الى مكتبها الذي كان ايهم جالسا فيه وطرق الباب بهدوء مشوب بحماس ولهفة ..قال ايهم:

- تفضل
- مرحبا سيد ايهم
- حسين ؟ اهلا تفضل
- هل لي بالجلوس لمحادثتك بموضوع؟
- طبعا تفضل بالجلوس
- اريد ان احدثك بخصوص السيدة زينب
- ما بها؟
- لا لا شيء فقط هناك شيء مهم علي ان اخبرها به في نطاق العمل واظن انه لا يتحمل التأجيل فأردت سؤالك هل تراها تركت لديك رقما او أي طريقة للاتصال بها؟
- اخبرني انا اذا كان الامر يهم الشركة فأنا هنا لنيابتها
- لا ارجوك سيد ايهم لا تحرجني انت تعلم السر المهني ومديرة الشركة ليست كنائبها
- حسنا كما تشاء لقد اتصلت السيدة زينب بي فور وصولها الى مطار طهران الدولي من الهاتف العمومي وأعطتني هذا الرقم لاتصل بها اذا ما حدث طارئ ما هوهو ...بإمكانك تسجيله لديك
- وهل هو رقم بيتها يا ترى؟
- في الحقيقة لا اعلم ربما يكون رقم شركة ابيها في طهران
- وهل لابيها شركة في طهران؟
- طبعا فشركتها هذه هي مجرد فرع مكن الشركة الاصل لابيها في طهران
- حقا؟ لم اسمع بهذا من قبل ...على كل اشكرك على مساعدتك لي سيد ايهم لن انسى جميلك هذا
- عفوا انا على استعداد لفعل أي شيء يفيد الشركة ويساهم في تسيير عملنا مع الحفاظ على السر المهني طبعا

ضحك حسين ووقف قائلا :

- لا اريد ان آخذ من وقتك اكثر عن اذنك
- قال ايهم في نفسه "تراك ماذا تخبأ عني أي حسين؟"

***

كان المساء ...وقد جهزت زينب حقائبها لمغادرة ايران صباحا لتقل باكرا الطائرة المتجهة نحو بغداد كانت في سريرها للنوم واختها بجانبها على السرير المحاذي قد غلبها نومها...كانت تتذكر لقائها بحسين فوق الجسر المطل على الفرات لحظة فتح علبة الموسيقى فبدأت الدمية الصغيرة بالدوران ...كان يبتسم لها محدقا في عينيها بينما كانت مشغولة عنه بالهدية الملونة الجميلة ..كيف لم تلاحظ نظرة عينيه الغريبة ؟ كيف لم تشعر بأن فيهما كلام لم يقل؟ كيف لم تفهم سبب اهدائه لها تلك العلبة؟ كيف لم تفهم سر اخذه لها للجسر المفضل لديه ليجتمعا تحت ضوء اللقمر يتأملان المشهد المفضل لديه في بغداد؟ كيف لم تفهم لم اراد مشاركتها مشاهدة ذلك الفيلم الرومانسي في قاعة سينمائية مظلمة مغلقة عليهما بعيدا عن انظار الجميع؟ هل تراه كان يحضر ليقول لها شيئا؟ ام تراه يملأ وقت فراغه لا اكثر؟ لقد عرض عليها الصداقة والخروج من اطار الزمالة ...قال لها ان تنسى العمل والشركة وعلاقة الموظف بمديرته عندما تكون معه...ماذا كان يقصد؟

هل يريد ان يكون له رفيق لوحدته في بغداد لانه مغترب فيها عن قريته الصغيرة؟ ام انه اراد اكثر من ذلك؟

تذكرت اول لقاء لها به والكلمات الجارحة التي قالتها له امام الحرفاء والموظفين ..اتراه نسي ذلك سريعا؟ هل ان غضبه تحول فجأة لاعجاب؟ لماذا اختارها دون غيرها ليشاركها تلك اللحظات؟ لماذا دعاها في ذلك اليوم لتناول الغداء سويا مدعيا انه اراد صلحا بينهما بعد تركه الشركة؟كانت كذلك بينما سمعت صوت الهاتف في غرفة نوم والديها اللذان كانا يشاهدان فيلما في الصالون ...ذهبت مسرعة اليه كي لا يستيقظ اخاها او تنهض اختها ...

رفعت السماعة سريعا وقالت بصوت منخفض:

- مرحبا

ضخ قلبه الفي برميل من حب عند سماع صوتها ...كررت قائلة :

- مرحبا من معي؟

قال : اهذه انت؟ هل هكذا تفعلين بمن انتظرك في كمكتبه لتخرجا سويا فوجدك في طهران؟

- حسين؟
- نعم حسين.لماذا فعلت هذا؟ ابهذه السهولة تتركين الشركة ومن فيها وترحلين الى ايران ...ايران يا زينب ؟
- ما الغريب في الامر انها بلادي اشتقت الى عائلتي.

- متى ستعودين يا زينب ؟
- لا ادري ربما قريبا جدا وربما لن اعود
- ماذا؟
- ما بك؟
- لماذا لن تعودي؟ مالامر ؟ قولي لي.حدثيني عما حصل لك ؟ ما الطارئ الذي جعلك تغادرين هكذا وتتركين كل شيء لاجل رؤية اهلك ...هل حصل لاحدهم مكروه؟
- لا لا سمح الله جميعهم بخير..فقط اردت رؤيتهم.
- اردت رؤيتهم؟
- اجل هذا كل ما في الامر
- زينب لا تكذبي انت قوية وحدهم الضعفاء من يكذبون...قولي لي السبب الحقيقي لفعلك هذا.
- لا ليس الان حين اعود سنتحدث في الامر
- اذا فأنت ستعودين
- نعم طبعا.
- الم تقولي لي قبل قليل انك ستبقين في ايران الى الابد؟
- لم يسمجوا لي بسبب الاوضاع السياسية والامنية الراهنة قالوا لي بأن بغداد أأمن وأكثر هدوءا وهم يريدون مصلحتي
- بصراحة معهم حق اظن ان اهلك اناس رصينون ويتقنون التفكير جيدا لو لم يكونوا خائفين عليك ومتخوفين من حدوث مكروه لك لكانوا تركوك بينهم كي تبقي قريبة منهم لكنهم يدركون ان وضع طهران لن يفيد معه حتى قربك منهم فهم انفسهم في خطر وبالكاد يؤمنون الحماية لانفسهم ولبعضهم البعض.
- اجل صحيح وكأنك كنت معنا في البين.

(ضحك)...ثم ساد الصمت بينهما ثم قالت:

- كيف هي بغداد؟
- في شوق اليك ...لا تتأخري عليها اكثر والا فإنها ستغار من طهران كثيرا وربما تنشب حرب بينهما لاجلك.

(ضحكت) وقالت :

- اخبرها انني قادمة اشتقت الى الفرات
- والشركة؟
- والشركة ايضا ...اطمئن سأعود سريعا
- نحن بانتظارك تصبحين على خير
- وانت بخير .

وضعت السماعة ونفخت مطمئنة ثم التفتت فوجدها امها بجانبها فوقفت مرتعدة:

- امي اهذه انت هل انتهى الفيلم؟
- لا لكنني اتيت الى النوم لان نعاسي غلبني اشعر بالتعب

- نعم الافضل ان تنامي باكرا كي تودعونني غدا قبل رحيلي باكرا.
- الى من كنت تتحدثين على الهاتف؟
- ماذا؟ هذه ابنة خالتي فاطمة اتصلت بي كي تعاتبني الانني جئت الى طهران ولم اقم بزيارتها.
- وكيف عرفت هي انك في طهران؟
- هذه ليلى قد اخبرتها بلا شك.تصبحين على خير.
- شكرا

....استيقظت زينب اثر اذان الفجر ودعت الله التوفيق وحماية اهلها واخذت حقيبتها بعد توديع اهلها واتجهت ننحو المطار منتظرة الطائرة التي ستقلها الى بغداد...كانت الثانية عشر ظهرا عند وصولها الى بيتها التي ما ان دخلتها حتى رمت بنفسها على سريرها طلبا للنوم دون ان تأكل شيئا او ترتب شيئا من اغراضها ..استسلمت لنوم عميق ولم تصحو الا في الغد صباحا...

احتست قهوتها على عجل واتجهت الى الشركة

كان الكل يسلم عليها ويستقبلها بحفاوة مبتسمين لها فرحين بعودتها...

قال لها ايهم : حمدا لله على عودتك بالسلامة سيدتي حقا ان مكتبك لا يساوي شيئا بدونك ...عليك ان تعودي اليه سريعا ..لقد حصلت تطورات كثيرة في الشركة في اليومين الماضيين التين تغيبت فيهما ساطلعك عليها لاحقا.

اجل الامر الى الغد ايهم لو سمحت انا اليوم اتيت لابقى في مكتبي دون عمل وأتمنى الا تسمح لاحد ان يلتقي بي.

جاء حسين الى الشركة وسمع وشوشات زملائه يقولون "لقد دخلت الى مكتبها دون ان تستسلم لاي ملف منا...لا تهتم حتى بشغلها ذهبت وتركت الشركة دون ان تعلم احدا منا وهي ليست على علم بكل التطورات التي حدثت في هاذين اليومين"

فتدخل مغتاظا وقال

السيدة لم تترك الشركة دون اعلامكم بل اعلمت هالة والسيد ايهم بذلك وقد فعلت ذلك لان ظروفا استثنائي واجهت احد اقاربها وكان عليها زيارته فكلكم تعلمون اوضاع ايران حاليا...اتمنى الا يتكرر كلامكم هذا والا اعلمت السيدة بذلك فليذهب كل منكم لعمله سريعا ...اتجه نحو مكتبها وطرق الباب ثم فتحه مبتسما:

- هل لا تريدين رؤيتي ان ايضا؟لا انت مستثنى عن الجميع
- حقا؟ ولماذا؟ لانك وحدك من سألتني عن سبب تغيبي هاذين اليومين ..كيف فعلت لتتمكن من الاتصال بيت البارحة ليلا؟
- لم تكن البارحة بل قبل يوم امس
- اسفة امضيت يوم امس نائمة يوما كاملا فور وصولي الة بيتي لذا لم اشعر بالوقت
- يبدو انك حزينة لانك تركت طهران

- انني حزينة لتركي اياها لكنني حزينة اكثر عليها وعلى ما اصبحت عليه ذهبت لأصدم بالواقع واعود بخيبة امل كبيرة ...لا اصدق ان ايران قامت بثورة على الاستبداد لتسقط في هذا القدر من التخلف...لكن لم تقل لي ماذا فعلت كي تتصل بي ؟ كيف عرفت رقم بيتنا في ايران؟
- سألت ايهم كيف لي ان اتصل بك لأعلمك بأشياء مهمة في ما يخص العمل هل انك تركت له أي رقم او كطريقة للتواصل بينكما فأعطاني رقم بيتكم
- اسف لانني اتصلت في ساعة متأخرة من الليل أتمنى الا اكون قد تسببت لك في مشكلة عائلية.
- لا كادت ان تحصل لكن الحظ حالفني
- ...ضحك وقال:
- لا لا اريد العمل اليوم جئت الى المكتب فقط لانني لا اريد البقاء لوحدي في البيت
- جيد فرصة جميلة كي نفطر سويا اليس كذلك سيدتي؟
- نعم اذا شئت فلا مانع لي
- شكرا لك سيدتي على قبول دعوتي هيا فلنذهب الى المطعم القريب من الشركة
- هيا.

كان يحدق بها وهي تتناول ما قدم اليها بمقدار قليل على مهل نظرت اليه فجأة فوجدته مبتسما لها قالت له باستغراب:

- لم لا تأكل ؟ اليس لديك شهية للأكل؟
- بلى ليس لدي أي رغبة في الاكل فإنني اذا اكلت سيمنعني ذلك من فرصة تأمل شيء جميل لا يصادفني كل يوم
- شيء جميل؟ ماهو؟
- ربما جلوسك امامي او جلوسي امامك لا ادر بالضبط اننا حين نصادف شيئا جميلا استثنائيا لا يأتي دوما يفقدنا ذلك رغبة الاكل ...يفقدنا الرغبة في القيام بأي شيء عدا انتهاز فرصة الاستمتاع به
- ربما
- لم تقولي لي بعد لماذا فعلت هذا؟ هل اردت الهروب من شيء؟
- اجل
- ماهو؟
- في الحقيقة حين ذهبت الى ايران كنت ارغب في الاستقرار هناك نهائيا وكنت افكر في بيع الشركة لاي احد يقبل بذلك حتى لو كان ابي لكنني مذ وصلت تغيرت الامور كلها بسبب الاوضاع التي في ايران رأيت بلادا لم اعرفها من قبل لقد تغيرت ايران كثيرا وتغير اناسها ولم يعد فيها شيء كما كان عليه قبل مغادرتي وحين جلست للفطور تحدث معي اهلي بخصوص وضع ايران ورووا لي اشياء فظيعة اقشعر بدني لسماعها اما حين سمعت امي برغبتي في البقاء في ايران بدت لي وكأن خبر موت احدهم قد جاءها واكفهر وجهها وغضبت ممني واخافتني على ابي مدعية ان وضعه الصحي سيتدهور اذا سمع بقراري هذا ودعتني للعودة سريعا الى هنا ولم تسمح لي بالبقاء يوما اضافيا الا بعد الحاح مني وكان من حسن حظي ان ذلك اليوم كان عيد النيروز وقد قضيت يوما جميلا مع عائلتي وجبت شوارع ايران مودعة اياها ربما للمرة الاخيرة .....لا ادري.

- لا تقولي هذا يا عزيزتي كان قرار امك صوابا انها انسانة حكيمة وكلامها في محله بقاءك في ايران مضرة لك ثم هل جننت ككي تتركي عملك ونجاحك وتألقك وتتخلي عن شركة ذو اسم وسمعة لامعين في اقليم الشرق كله وتذهبي الى ايران التي ليس لك فيها شيء وتبدئي مشروعا من الصفر ربما ينجح وربما لا.
- ليس لي فيه شيء؟
- اعتذر يا زينب اعرف انه يبقى وطنك وستبقين على حبه مهما حصل
- لي فيه انتم ووسادتي واول ضحكة خرجت من شفتاي وأول دمعة ذرفتها بيني وبين نفسي مختبئة من عيون الجميع لي فيها اهل واسرة واحبة وطفولة وذكريات جميلة لي فيها حب ودفئ وعائلة وبيت جميل الكل ينظر الى نجاحي يا حسين الكل ينظر الى اسم الشركة اللامع ولا ينظر الى اسم زينب زينب الوحيدة المغتربة التي ليس لها احد التي تقضي كل وقتها وحيدة في بيت بين اربعة جدران كل يوم ولا متنفس لها غير العمل انا لا انكر ان بغداد منحتني النجاح والشهرة لكنها حرمتني الحب والدفئ والحنان الذي اعيشه في عائلتي ولا يمكن ان يعوضني اياه احد اذا فقدته والناس تبقى تذكرني دوما بنجاحي وانا انسان ولست الة عمل واجتهاد صديقتي لن تكون كأختي وزميلي لن يعوض لي اخي وجيراني لن يعوضوني عن امي وابي لقد مللت وسئمت والأتعس في كل هذا ان اهلي بذاتهم لم يفهموني وفي كل ما قالته امي لم تذكر شيئا عدا النجاح تحدثت الي كما يتحدث الي الغرباء كما يتحدث الجميع تماما لا احد يعاملني كبشر كإنسان كأنثى تذبل اذا فقدت الاهتمام وانا اذبل كل يوم يا حسين
- تعبت صدقني شعوري الذي راودني وانا في بيتي مع اسرتي لم يراودني قط منذ الطفولة لقد غمرني شعور بالسعادة بالرضا بالأمان والحماية بالحنان والمحبة لحظة جلست الى الفطور بينهم ثم نمت وبجانبي اختي ونهضت صباحا كي اجد والدتي في المطبخ تحضر قهوة اخي الذي في الحمام ثم وجدت والدي يتصفح جريدته على الاريكة في الحديقة انها لحظات لا تعوض بالنجاح والتألق والاموال والثراء انها المحبة التي لا يشتريها المال لا احد يفهمني يا حسين لا احد وأظن ان لا احد سيفعل

وضعت يدها على فمها ممسكة شهقتها وقد نزلت دموعها على خديها الورديتين وتلألأت عيناها الخضراوين لامعتين صدم لرؤيتها على هذه الحال وقد المه رؤية دموعها وحزنها الذي تكتمه في صدرها فوضع يده على خديها وامسك بيدها اليسرى وقال بشفقة :

- يكفي يا عزيزتي ارجوك لا احتمل رؤيتك هكذا انا اشعر بك كثيرا واقدر وضعك صدقيني انا اعيش نفس هذا الوضع وفي نفس الغربة والوحدة منذ اشهر لاجل العمل والحصول على الراتب ومساعدة نفسي واهلي فقدت اشياء جميلة عدة في حياتي وابتعدت عن اسرتي وقريتي اللذين احبهم ان امثلك تماما هيا امسحي دموعك لا اريد ان اراها ثانية هيا يا عزيزتي الا يسعدك ان يكون هناك شخص شبيه كل في هذه الدنيا يعيش نفس مشاكلك ويقضي ايمه بنفس طريقتك ؟ ابتسمي فهاهو شبيهك امامك

(ضحكت) وقالت بقهر:

- غربتك لم تدم خمس سنوات او اكثر
- اجل لكنها تجاوزت الخمسة اشهر اليس نفس الرقم؟

- يكفي حسين انا جادة
- وانا جاد ايضا يكفي حزنا وغضبا عزيزتي اهدئي اذا كانت مشكلتك هي الوحدة والغربة فهاأنذا معك اعتبريني صديقا واخا وابا وكل ما تريدين اعلم انني لن اعوضك عن وطنك واهلك لكنني لن اتخلى عنك صدقيني لقد كان ابي جنديا مقاوما ضد الانكليز في الاربعينات ايام كانت العراق محتلة من الانكليز وقد علمني ان الكلمة كالرصاصة اذا خرجت لا ترد ابدا
- وهل علي ان اعتبر كلمتك هذه كرصاصة؟ ارجو الا تقتلني بها !
- ماذا؟ هل هذا جزاء مساندتي لك ؟
- ان امزح !
- حسنا هل اتفقنا ام ليس بعد؟ اتصلي بي متى شئت حتى لو في ساعة متأخرة من الليل او في ساعة مبكرة من الصباح لقد اشتريت هاتفا وقمت بوضعه في بيتي منذ ايام متى مللت او تعبت اخبريني انا اذن صاغية لك متى شئت صدقيني لن تزعجيني ابدا بالعكس نحن الاثنين غرباء في بغداد ولا احد لنا الا اذا كنا لبعضنا البعض.
- انا حقا اشكرك كثيرا يا حسين انت رجل بمعنى الكلمة انت حنون ولطيف وصادق احب اهتمامك.
- اشكرك سيدة زينب ان لشركتك فضلا علي لا انساه فوحدكم من قبلتم توظيفي حين اغلقت كل الادارات والشركات العراقية ابوابها في وجهي

بعد ان غادرا المطعم امضيا الليلة سويا يجوبان الشوارع ويأكلان البوظة ويتبادلان احاديث مختلفة وقبل ان يعودا الى البيت قال لها:

- سيدتي اقترح عليك شيئا ربما يفيدك نوعا ما
- ماهو؟
- اذا كانت وحدتك تزعجك الى هذا الحد فلم لا تفكرين في الزواج؟
- الزواج
- اجل ربما يساعدك تكوين اسرة على الخروج من وحدتك والانشغال بالعناية بالبيت والاطفال ثم ان جميع النساء الشابات من عمرك يفكرن بمشروع الزواج كي لا يكبرن ويلقبهن المجتمع ب"العانسات" !
- عانسات ؟ !

(ضحك) : اجل لكن لا تقلقي مازلت بعيدة عن الكبر كثيرا فكري في ما قلته لك عزيزتي

قبل رأسها وتركها ليمضي للبيت

مرت الايام ولم يجمعهما شيئا اخر عدا العمل والحديث عن الملفات الشركاء الحرفاء الشركة ...الاسهم...الاسعار...سعر الاحتياطي...البورصة الامريكية وغير ذلك...قرر كسر الروتين اليومي والخروج عن جو العمل الذي يخلق الرتابة بينهما ...فدخل في الصباح الباكر قبل مجيئا الى الشركة وقام بوضع باقة ورود حمراء على يمين مكتبها قبالة النافذة في مزهرية فخارية ذهبية منقوشة بزهور حمراء وغادر الى مكتبه متجنبا ان يراه احد كانت الثامنة والنصف صباحا حين اتت الى مكتبها فوجدت على الطاولة باقة حمراء قد انعكست عليها اشعة الشمس وضعت اصابعها بين

الورود فوجدت كرتا ابيض كتب عليه " ما زلنا على موعد مرتقب سيدتي" ابتسمت ووضعته الى جانبها وبدأت عملها بعد ان بقيت تنظر اليه بضع دقائق

وعند الظهيرة خرجت من مكتبها واتجهت اليه وفتحت الباب دون طرقه وقالت مبتسمة :

- مساء الخير سيد حسين هل لي بالدخول؟
- اجل طبعا تفضلي سيدة زينب
- هل لي ان ادعوك لنقضي المساء سويا ؟ اليوم خميس وان لم نقضه سويا فانني سأبقى في البيت لوحدي
- وانا نفس الشيء على الرحب سيدتي سنقضي السهرة سويا
- هيا اذن فلنذهب فأنا جهزة

كانا يفطران سويا بينما قطع حسين الصمت قائلا:

- سيدتي لدي اقتراح جميل كي نقضي سهرتنا في حميمية الليلة
- ماهو؟
- ما رأيك ان اخذك الان الى بيتك كي تقومي بتغيير ثياب العمل وتجميل نفسك ثم اعود اليك بعد ساعة ونغادر السادسة مساء فنجوب بغداد كلها ونتناول عشاء فاخرا باحدى مطاعمها الفاخرة ونعود عند منتصف الليل ما رأيك؟
- وهل ان الثياب شيء ضروري لقضاء سهرة ممتعة؟
- لا ليس كذلك لكنك في الحلة الرسمية ولباس العمل ولو انك تأنقت وتجملت وتعطرت لكانت السهرة اروع سهرات حياتي وربما حياتك ايضا اذا كان الامر يزعجك فطبعا لا داعي لذلك عزيزتي
- حسنا موافقة

...عادت زينب الى البيت لتأخذ حماما ساخنا وترتدي فستانا اسود طويلا إنسدلت اكمامه على ذراعيها ثم قامت بتصفيف شعرها الذي نزل على اكتافها كالحرير وقد تعطرت وتكحلت وصبغت شفاهها باللون الاحمر وأضافت قدرا قليلا من اللون الوردي لخديها ...حملت حقيبتها وجلست على الاريكة بانتظاره فكان بعد خمس دقائق امام بيتها خرجت تمشي على مهل وهو واقف امام السيارة بشوق لرؤيتها وقعت عيناه عليها فجأة فأعجب بسحرها وإطلالتها الفاخرة وجمالها الاخاذ كانت كأميرة بثوب ملكي امامه لم يتمالك نفسه عن التعبير عن ذلك فقال لها بابتسامة وود:

- ما هذا؟ لم ارى جمالا شبيها بهذا قبل هذه اللحظة حتى في التلفزيون ؟ من اين تأتي الايرانيات بكل هذا الجمال؟
- شكرا لك من لطفك

وبعد العشاء كانا يحتسيان قهوة على مهل ويتأملان بغداد وقد اسدل الظلام ستاره بعمق الى السراب الذي بين السماء والارض وتتأمل سفوح بغداد وجبالها وهضابها ثم ترفع عيناها الى النجوم وتملا بصرها بضوئها اللامع بينما كان هو يتأملها ويراقب عينيها ويحاول قراءة ملامحها يفهم قليلا من خباياها ثم قطع صمته بقوله : اتعلمين انك كالعطر الذي تضعين منه كل يوم؟

- ماذا تقصد؟ جميلة؟
- ليس فقط ذلك بل اقصد كالوهم
- وهم؟
- كل يوم بعد ان نرش قدرا من العطر على ثيابنا يختفي بعد دقائق ولا يبقى الا اثر قليل منه نبقى نستنشقه معجبين بجمال ريحه وانت هكذا تماما توهميني دوما وفي كل مرة انني امتلكتك ثم بعد وقت قليل تختفين لتتركيني لوحدتي وذهولي اتراك كطفلة تلاعبني الغميضة.
- عزيزي لا يمكن لاحد ان يمتلكني انا حتى ولو سرق قلبي
- هل سيأتي يوم واعرف سرك يا زينب ؟

ابتسمت وقالت :

- ألست مغرما بالادب والكتب ؟ والناس كالكتب تماما
- وكيف ذلك؟
- ثمة كتب فور امساكك لها تفتح شهيتك على القراءة تشعرك بالسعادة لانك قرأتها تجعلك تعشق الحياة ونفسك وقدرك وكل ما حولك لأنه قد كتب لك ان تمسك بها وتقرأها وأخرى ما ان تقترب اليها وتبدأ بطي صفحاتها الاولى واكتشافها حتى تقرر غلقها وعدم قراءتها وبدلا من ان تجذبك اليها تخلق بداخلك شعورا بالكراهية تجاب الادب فتكره الكتب والورق وتعتزلهم لفترة حتى تنسى ذلك الكتاب لتبدأ من جديد تماما كالناس ....عديدون هم من يضخون في قلوبنا الحب بمجرد دخولهم في حياتنا ذلك الحب يجعلنا نسعد بوجودنا في الحياة ...اولئك اللذين يدخلون كآلة موسيقية في حياتنا ليجعلوا قلوبنا ترقص فرحا على نغمات سعادة يعزفها حضورهم كي ينسوننا نصيبا من حزن نلناه وأياما من ألم عشناها قبلهم
- هذا صحيح لكن كيف عرفت ان لي ميل للأدب؟
- كتبك التي كانت محاطة بك يوم زرتك في بيتك لأطلب منك العودة الى الشركة هي التي دلتني على ذلك
- وانا؟ تراني لأي نوع من الكتب أنتمي؟
- لك ان تصنف نفسك كما تشاء
- وهل لي ان اختار مكاني في قلبك كما اريد انا وهو خاصتك؟
- طبعا يا حسين اننا من نختار امكنتنا في قلوب الاخرين وليس العكس
- وكيف ذلك؟
- اعني انك من اقتحمت قلبي لست ممن فتحته لك انا معك لا استحق زيارة السينما ولا المسارح ولا حضور السمفونيات الموسيقية ولا مهرجانات الاغاني فوحده صوتك موسيقاي وحضورك اغنيتي ووقتي معك كلحظة فيلم جميلة لن تتكرر ابدا لذا برفقتك سأكمل اجمل رواية لن تختتم بتراجيديا المسارح....
- هل افهم من كلامك انك؟
- اجل... مازلت اذكر كلامك لحظة قلت لي فكري بالزواج انه مشروع مناسب ويفكر به كل البنات اللاتي من عمرك اظن انني فكرت ووجدتها فكر مناسبة
- يعني انك لن تهربي من غربتك الى ايران بعد الان؟

(ضحكت) وقالت باستهزاء:

- لا ....اظن ان ذلك لن يتكرر ابدا...حسين انا اثق بك بالرغم من انني لم اثق باحدهم من قبل الا وخذلني حتى اسرتي فعلت ذلك لكنني اعدك انني لن اتخلى عنك ولن اتركك مجددا قط
- انا شخصيا لن اقول لك هذا بكلامي فقط بل بأفعالي سنعيش سويا الى الابد يا عزيزتي ولن يختار قلبي غيرك ابدا.

وضعت رأسها على كتفه وقضيا السهرة سويا ثم اعادها الى بيتها اما عنه فعاد مستغربا نفسه انى اتته المقدرة على سحب بساط الكتمان الذي وقفت عليه طويلا بكعب عال للصمت من تحت قدميها دون مقاومة منها ودون محاولة لتخطي الكلمات كما اعتادت ان تفعل...مضت الايام وتواصل الحب بينهما

" اذا الحب أومأ اليكم فاتبعوه حتى وان كانت مسالكه وعرة وكثيرة المزالق"

- جبران خليل جبران -

خارج الوقت وبعيدا عن الانظار جلسا يسترقان لحظة حميمية مستلقين على ضفة نهر الفرات يتأملان قرص الشمس البرتقالي بصدد الغروب مختفيان بين نخيل الشاطئ

قال لها :

- الا مشكلة لديك ان تعشقي عراقيا؟
- وهل في انتمائك للعراق مشكلة؟
- اتعلمين ماذا حصل بنزار الشاعر الدمشقي عندما عشق عراقية واراد الزواج بها؟
- لطالما سمعت عن اشعاره هذا الشاعر السوري لكنني لم اعلم يوما انه قد تزوج عراقية
- "بلقيس" صاحب اجمل الاشعار العربية منذ ظهر الشعر الحر على الاطلاق عشق عراقية تدعى بلقيس
- وكيف تعرف اليها؟
- جاء بأحد الايام في عام62 في زيارة لمهرجان شعري في بغداد حتى يلقي اشعاره على البغداديين عندما وقع بصره على فتاة فاتنة تبادل النظرات واياها ثم سأل عن مسقط رأسها فقالوا له انها ابنة "المعظمية" وتقطن في بيت مظل على دجلة فتقدم لخطبتها ولكن اباها لم يوافق بعد ان سمع انه تغزل بها وكتب فيها اشعارا ولم يتعود العرب ان يزوجوا بناتهم لمن تغزلوا بهنّ فغادر نزار لاسبانيا حزينا ولم تفارق باله تلك الفتاة فكتب فيها قصيدة في المهجر القاها بعد سبع سنوات في عودته مرة ثانية الى هنا قال فيها :

" مرحبا يا عراق جئت اغنيك

وبعض من الغناء بكاء

مرحبا مرحبا اتعرف وجها

حفرته الايام والانواء؟

اكل الحب من حشاشة قلبي

والبقايا تقاسمتها النساء

كل احبابي القدامى نسوني

لا نوار نجيب عفراء

فالشفاه المطيبات رماد

وخيام الهوى رماها الهواء

سكن الحزن كالعصافير قلبي

فالأسى خمرة وقلبي الاناء

انا جرح يمشي على قدميه

وخيولي قد هدها الاعياء

فجراح الحسين بعض جرحي

وبصدري من الاسى كربلاء

وانا الحزن من زمان صديقي

وقليل في عصرنا الاصدقاء

كيف احبابنا على ضفة النهر

وكيف البسطاء والندماء؟

كان عندي هنا اميرة حب

ثم ضاعت اميرتي الحسناء

اين وجه في الاعظمية حلو

لو رأته تغار منه السماء"

- ما اجمل هذه الكلمات وماذا حصل بعدها؟
- وصلت القصة الى الرئيس احمد حسن البكر آنذاك فبعث بوزير الشباب شفيق الكمالي ووكيل وزارة الخارجية والشاعر "شاذر طاقة" ليخطبوها لنزار من ابيها عندها وافق والدها فتزوجها عام 69
- ما اجمل هذه القصة كم تعذب هذا الشاعر في حبه ...سبع سنوات حتى نالها بفضل قصيدة
- ان من يعشق عراقيا عليه ان يكون على استعداد للخيبات والموت والوجع وفراق الوطن هنا تعيشين كل يوم خوف فقد الوطن فقد الانتماء وضياع تفاصيل الطفولة ليس العراقي من يصلح للعشق يا عزيزتي فقد كتب علينا النضال بدمائنا في سبيل البقاء في العراق كي نموت نضالا لا عشقا
- عزيزي العراقي هو الاول في استحقاق العشق وان كتب عليك النضال لبقاء العراق سأموت معك نضالا وعشقا فأنت وطني وأنت انتمائي وهل للمرء ان يتنازل عن انتمائه ويبقى بلا هوية؟ ابتسم وضمها اليه قائلا "احبك لا اكثر"

تبادلا قبلة طويلة متسترين بسنديان شاطئ الفرات حتى غاب قرص الشمس تماما وتحول لون مياه الفرات من لمعان الشمس المنعكس عليه الى عتمة الليل وضوء القمر الذي اخترق مياهه كانت الساعة التاسعة والنصف صباحا رفعت زينب سماعة هاتف مكتبها وقالت:

- ايهم تعال الى مكتبي من فضلك اريدك بشيء مهم.
- حاضر سيدتي !

بعد لحظات دخل وقال : امريني سيدتي !

- اجلس يا ايهم !

نظرت اليه وقالت بفرح:هل تعلم يا ايهم ان مديرة الشركة ستتزوج قريبا؟

اجابت بدهشة:حقا؟ ياله من خبر مفرح سيدتي مبارك لك !

- شكرا يا ايهم !
- هل لي بسؤال؟
- تفضل !
- من صاحب الحظ السعيد؟
- انه من عندنا من الشركة.
- حقا؟ ومن يكون؟
- حسين العابد !

انقلبت سحنته وقال : ماذا؟ حسين العابد لا غير؟

- اجل ما الغريب في الامر؟
- لا لا شيء مبارك لكما سيدتي...حقا انه لخبر مفرح
- شكرا ايهم اردت ان اخبرك بهذا لادعوك الى حفل الزواج ولاعلمك ان اجازة شهر العسل ستكون في تبريز في ايران...يعني انني ساغادر العراق لشهر كامل ...هل لي ان اعتمد عليك في تعويضي في ادراة الشركة؟
- اجل طبعا سيدتي اطمئني
- هذا جيد اتمنى لك التوفيق وسنبقى على اتصال
- عن اذنك سيدتي لدي عمل

غادر ايهم مكتب زينب مستشيطا غضبا ...هو الذي فعل المستحيل كي يحظى برضائها واعجابها ويحصل عليها يأتي احدى الموظفين الجدد والبسطاء يأخذها منه...قال في نفسه:"أنت؟ انت يا حسين؟ انت الذي دخلت الشركة تطلب عملا لتساعد اهلك براتبك وكانت السيدة زينب تطردك لوقاحتك؟ وساعدتك انا لتعود الى الشركة بعد ان كذبت على السيدة زينب واخبرتها انك لن تأتي مجددا الى الشركة لانك غاضب من ردة فعلها بينما كنت تعمل يوميا في الشركة ولم تتغيب؟ كنت اساعدك لتحظى بها وتتقرب اليها دون ان ادري...لمعت صورتك في نظرها وقلت لها كلاما جميلا عنك كي تقدرك وتعلي من شأنك لانني اشفقت عليك...فأحبك وتزوجتك؟ انت يا حسين؟ أي حظ هذا واي اقدار هذه؟ أي تعاسة سأشعر بها اذا وقفت امامك وهي ترتدي لك فستانا ابيض...كيف سأراكما مجتمعين على كرسي واحد والزغاريد تتعالى احتفاء بكما؟ أتراها حقا احبتك ام انها تزيد نسيان وحدتها لا اكثر؟ وهل تراك احببتها اكثر مني حبا لها؟ لماذا يا رب؟ لماذا وحدها الانثى التي احببتها واردتها وحلمت بامتلاكها اخذت مني امام عيني؟ فشلت في الحب تماما كما فشلت في استكمال دراستي الجامعية ...فشلت في امتلاكك وفي ان احظى بك يا زينب...ظننت انني اذا تمهلت في الوصول اليك سيكون ذلك سر نجاح علاقتي بك لكن الوقت سبقني كي يأتي احدهم منذ اشهر فقط دخل الشركة ليمتلكك بدلا عني...شكرا حسين"

بعد اسبوع انتشر خبر زواج زينب من حسين الذي سيتم قريبا واضحى كل الموظفين يتناقلون الخبر بينهم قائلين "المديرة ستتزوج من موظفها يا له من حظ عظيم ناله...اتراها احبّته؟ ام تراه يطمع بأموالها؟"

كانت زينب تستكمل النظر في ملفاتها قبل المغادرة عند الظهيرة بينما دخل رجل واضعا نظارات شمسية مرتديا الاسود دون ان يطرق الباب ففزعت وقالت:

- من انت؟ قل لي من انت؟ ماذا تريد مني؟ الا تطرق الباب قبل الدخول؟

نزع نظاراته فقالت له بدهشة :أهذا انت؟

- سمعت انك ستتزوجين

التزمت الصمت ولم تجبه فقال:هل ستتزوجين من احد موظفيك؟ أمجنونة انت؟

- هذه حياتي وما دخلك انت؟
- يؤسفني حالك امرأة ثرية مثلك صاحبة شركة مثقفة وجميلة تتزوج احد الموظفين العاملين لديها في الشركة؟
- هذا اختياري والامر يعود لي ولا اسمح لاحد بالتدخل في شؤون حياتي الخاصة.
- اطمئني لن افعل...لكنني فقط اريد لك النصيحة انك لا تدرين من يكون جيدا ولا تعرفين غايته من هذا الزواج...ربما يكون حلمه ان يسلبك مالك ثم يتركك...اناس كهذه ليست محل ثقة
- مراد لست فتاة صغيرة حتى ترشدني او تعلمني انواع الناس وماذا يمكنهم ان يفعلوا لي وكيف لي التصرف معهم انها اخر مرة اسمح لك فيها بالتحدث معي بهذه الطريقة..والآن بامكانك ان تتفضل

اغلقه وقال بصوت منخفض : سيدة زينب لا تنسي انني من انجح لك هذه الشركة وجعل منها اسما لامعا في الميدان اظنك تتذكرين جيدا كيف اتيت بغداد والظروف التي فتحت فيها شركتك التعيسة التي كانت لا تساوي مداخيلها مداخيل دكان عطور.

- أأتيت لي لتشعرني بالنقص وبفضلك علي ومساعدتك لي؟ انني لم انكر ذلك يوما ثم ما دخل مساعدتك لي بزواجي من احد موظفيّ
- لا لا دخل له عن اذنك سيدتي

خرج واغلق الباب بغضب وجلست هي على كرسي مكتبها مصدومة مما سمعته منه مر في رواق الشركة والجميع ينظر اليه وقد بدا صلبا باردا قويا...رآه حسين خارجا من مكتب زينب فاستغرب وجوده قال لنفسه:"ماذا تراه كان يريد منها ولما خرج من عندها غاضبا" فكر بالدخول اليها والاستفسار منها عما حدث ثم تردد...أتراه يغصبها اذا فعل؟ انتظر قليلا ثم استأذن الدخول.

قالت:"ادخل .... حسين ؟ تفضل"

دخل ببطئ واغلق الباب بقي واقعا ينظر اليها جالسة مذهولة وغاضبة...قال:"سيدة زينب هل بك شيء ما؟ من الذي كان عندك للتو ماذا كان يريد ؟ "

كانت جالسة تنظر ارضا غير مشغولة به ولا تسمعه فقال:

- سيدتي سيدة زينب

رفعت رأسها :

- نعم؟
- ما بك؟
- اعتذر كنت غافلة عنك
- عذرا على نحو لي لمكتبك دون دافع شغل لكن اردت سؤالك ما الذي كان يفعل هذا الرجل عندك ولم خرج غاضبا بهذه الطريقة؟
- لا لا شيء انه احد الزبائن المتعاملين مع شركتنا
- ولماذا هو غاضب؟
- شركة تمر بأزمة ولم تجد حلا سويا
- اراك لست كعادتك وكأنه اخبرك بما ازعجك وغيّر مزاجك؟
- لا لم يفعل اطمئن فقط افكر في العمل كعادتي
- أتتعرضين لمشكل في العمل؟
- لا لا تقلق
- على كل اخبريني اذا حصل ذلك
- شكرا حسين
- عن اذنك
- تفضل حسين لحظة
- ماذا؟
- اريد الخروج من الشركة اتذهب معي لموعدنا المعتاد؟
- لا مشكلة لي لكن عملي لا يسمح لي بالخروج الان

ابتسمت : واذا سمحت لك بعدم اتمام عملك مقابل الخروج معي.

- لا امانع
- هيا اذن

...

اخذت حقيبة يدها وقدمت له يدها فأمسك بها ونزلا من المكتب ليركبا السيارة...كان "مراد" في سيارته وراءهما تماما ينظر اليها فرأته من المرآة الامامية وتجاهلته قال حسين:

- الى اين تريدين الذهاب يا عزيزتي؟
- اينما اردت حبيبي

سألها اثناء جلوسها سويا:

- زينب من كان ذلك الذي خرج من مكتبك غاضبا؟ الا تريدين مصارحتي وان تقولي من هو؟

- عزيزي لا شيء مهم في امره انه احد شركائنا القدامى
- ولم كان غاضبا الى ذلك الحد؟
- اراد ان يوقع معي صفقة مشبوهة فرفضت القيام بشيء غير قانوني
- هل هذا كل ما في الامر؟
- وماذا تريد ان يكون عدا هذا؟
- زينب احذري جيدا من كل المحيطين بك في الشركة حتى من الاقربين
- لماذا ؟ ما الذي حصل؟
- كنت داخلا للشركة حين خرج ذلك الرجل فرأيته امام الباب يتحدث مع احدى الموظفين وقبل ان يذهب قال له الموظف لا تقلق يا سيدي سأنفذ كل ما تريده
- حقا؟
- اجل...عليك بمزيد من الحذر في عملك وعلاقتك يا عزيزتي انا اخاف عليك
- لا تقلق يا عزيزي سأفعل ما أراه لازما...لقد اقترب موعد زواجنا هل انت جاهز؟
- اجل بعد ان جهزت البيت بالاثاث اللازم بقي ان اذهب الى القرية لأعلم والداي ليذهبا معي الى بلادك الى ايران لنتمم مراسم الخطوبة والزواج هناك ومن ثم شهر العسل...جعل الله حياتنا مليئة بالأفراح والسعادة.
- آمين...لكن عزيزي ماذا عن بيتي؟
- بيتك سيبقى ملكك الخاص تصرفي فيه كما شئت يا عزيزتي.

"وصلنا ليقين أن البحث عن الأشياء يجعل منا رحالة في دنيا الغيب وتبقى الحقيقة الأكيدة وهي أن أدوارنا وأقدارنا تظل تبحث عنا حتى تجدنا هي قبل أن نجدها نحن "

- رشا سمير-

تم زواجهما...

اجتمعا بمفردها هذه المرة في تبريز...ثالث اكبر مدن ايران ...لقضاء اول شهر بعد الزواج بها ...اجمل مدن آسيا ...وشاهر مدن الشرق ...أعظم المدن تاريخا واعرقها حضارة وأقدمها شعبا واجملها عمارة واروعها معمارا...

في تبريز...مدينة الشمس التي لا تغيب ...مدينة الاضواء والنور والغابات والنخيل والحب والحياة...

اقاما بنزل فخم من اشهر نزل المدينة...وقضيا وقتهما في التنزه والترفيه والاستجمام ...كانا يمارسان القراءة والرياضة والالعاب...

ذهبا لزيارة مختلف الاماكن السياحية ومختلف الالعاب ...ذهبا لزيارة مختلف الاماكن ...زارا المتحف الدستوري والمسجد الازرق ومسجد صاحب الامر و"دارة كنجي زاده"...ثم صعدا الى جبل "بكجين" يشاهدان منظر المدينة الشامل من فوق ويصورانه

قال لها : اتعلمين ان هذه المدينة من اكبر مدن الشرق الاوسط وقد كانت في القرن السادس عشر من اكبر مدن العالم...لقد فقدت هذه المدينة قسما عظيما من مبانيها عبر العصور وبنيت عدة مرات فوق الانقاض المتبقية منها فمثلا بعد ان فتح الشاه "اسماعيل الصفوي" مدينة "هراة" نقل منها عددا كبيرا من الحرفيين والنحاتين والرسامين لتجميل تبريز ولكن لم يبقى منها شيء في عهد خلفائه لذلك فإن هذه المدينة الآن هي الاقل ثراء بالعمارة القديمة في ايران.

- ومن اين لك هذه المعلومات؟
- لقد صادف وقرأت كتابا عن هذه الدينة مرة...انها المدينة المتمردة التي تحولت الى معقل الحركة الثورية بين عامي 1905 و1911 عند الغاء الشاه "محمد علي قاجار " الدستور لحظة ثار التبريزيون لاجل عودة الحياة الدستورية وانطلق الثوار من هنا عام 1909 الى طهران مترجلين وخلعوا الشاه وأعادوا العمل بالدستور...اما بعد الحرب العالمية الثانية فقد أضحت عاصمة الدولة السوفييتية الصغرى التي أقامها الحزب الديمقراطي الاذربيجاني لتعود الى ايران الدولة الام بعد انسحاب السوفيتي منها...انها مدينة ذو تاريخ عظيم وعريق...انها جميلة جدا وثرية جدا وأسرارها لا تنتهي
- اجل وانا احبها كثيرا ان الجو يبرد عزيزي فلنعد الى النزل

...

دخل حسين الغرفة بينما كانت ترتب ثيابها ...ممسكا بصحيفة يقرأ اخبارها قال لها:

- أسمعت ماذا حدث اليوم في العراق؟

- ماذا؟
- اليوم 16 من يوليو 1979 نصب صدام حسين كرئيس للعراق خلفا لأحمد حسن البكر بعد ان استقال من منصبه:
- حقا ؟ وهل استقال الرئيس من منصبه؟
- اجل اظن انه فعل ذلك مجبرا لكن الاعلام لم يقل ذلك
- ولماذا فعل ذلك؟
- قيل في وسائل الاعلام ان ذلك قد حصل لأسباب صحية ووحده الله يعلم الحقيقة انا ارى انه انقلاب من صدام بدعم امريكي.
- مؤكد ان اشياء كثيرة ستتغير الان في العراق سنعرف مرحلة تاريخية جديدة مع الرئيس الجديد
- فليجعلها الله افضل مما مضى
- افضل مما مضى؟ اظنك لا تعرفين صدام حسين...ان وصوله لسلطة يعني عودة حزب البعث للحكم...الا تعرفين ما حصل عندما كان ذاك الحزب يحكم العراق؟
- لا
- لقد وصل هذا الحزب سابقا الى الحكم في العام 68 بعد الانقلاب الابيض في 17 يونيو الذي تسبب في اندلاع الخلافات مع ايران في عهد الشاه "بهلوي" حول المناطق الحدودية ولم تنتهي هذه الخلافات الا بقطع العلاقات بين البلدين في العام 71 ان هذا الحزب يكره الدولة الايرانية كثيرا عندما كان حاكمها سنيا فما بالك اليوم بعد ان اضحى يحكمها الشيعة الاكثر كرها في قلب صدام حسني...ارجو ألا تسوء الاوضاع يا زينب وإلا اضحت اقامتك في هذه البلاد كثيرا
- آمل الا يحصل شيئا من هذا فليجعل الله القادم خيرا
- آمين ان هذا الرئيس ان يمسك بزمام الامور جيدا فأوضاع البلاد سيئة ومتوترة خصوصا مع ايران
- لا تقلق عزيزي ان ايران مهتمة بشؤونها ومن يحكمونها يركزون على انفرادهم بالحكم وقمع بقية التيارات المعارضة ومظاهراتها وايقاف احتجاجاتها لا اظنهم سيولون اهتماما لرئيسكم الجديد فهم لا يهمهم في ظل الظروف الراهنة عدا الانفراد بعرش ايران
- اتمنى ذلك يا عزيزتي فأنا لا اريد لاولادنا ان يعرفوا مستقبلا مظلما او يعيشوا في وطن غير آمن
- اتمنى الا يعيشوا ذلك على فكرة تذكرت شيئا
- ما هو؟
- اتصلت بي اسرتي وطلبت مني ان ازورهم واياك في بيتنا في طهران لنفطر سويا قبل ان تقلنا الطائرة ليلا للعودة الى بغداد...ما رأيك هل تريد ان نذهب؟
- اجل لم لا انها فرصة جميلة لا تعرف الى عائلتك اكثر
- حقا ؟ كم انا سعيدة بهذا ظننتك لن توافق ...انا احبك كثيرا يا حبيبي.

في الغد صباحا عادت زينب مع زوجها الى بغداد ليستأنفا عملهما ويبدآ الحياة الزوجية سويا...سكنا سويا في بيت حسين التي جهزها باللوازم الخاصة ليتقاسما الحياة تحت سقفها ويتشاركا كل لحظات حياتهما ...اصبحا يتجهان صباحا سويا الى الشركة ويعودان برفقة بعضهما

وتواصل ذلك لاشهر حتى عرفت زينب انها حامل في شهر ايلول وبحلول الخريف بعد ان تدهورت صحتها فأخبرها الطبيب المختص انها في شهرها الرابع من الحمل ...في الوقت الذي اخذت فيه اوضاع ايران تعود الى هدوئها بعد تجذّر الاسلاميين في الحكم وبسطهم على البلاد بينما اخذت العلاقة بين العراق وإيران تدهور اكثر فأكثر وأخذت اسعار النفط في الارتفاع لاشتداد الازمة...

تشرين الاول 1979

كانت زينب في مكتبها امام التلفاز تشاهد حصة اخبارية تنقل اخبار الازمة النفطية بين البلدين بينما اتى حسين باب مكتبها اغلقت التلفزيون وقالت:

- تفضل

دخل المكتب مبتسما وقال:

- صباح الخير سيدتي هل لي بالدخول؟
- طبعا حبيبي تعال اجلس ما الجديد؟
- ان شركتنا تستفيد من الازمة النفطية في المنطقة فأسعار النفط المرتفعة تتسبب في عائدات ضخمة للشركة
- كنت اشاهد الاخبار الان
- جيد وما الجديد؟
- المجتمع الدولي يعبر عن مخاوفه عن تصاعد الاشتباكات الحدودية حول شط العرب لانه يتسبب في تأثر امدادات النفط العالمية كون ايران والعراق دولتين نفطيتين بامتياز
- طبيعي فالمجتمع الدولي المتمثل في الولايات المتحدة يفكر بمصلحته فقط
- انهم يقولون ان الحرب يمكن ان تمتد لمنطقة الخليج العربي اذا اشتدت ازمة النفط
- انها اوهام يروجونها ليبرروا تدخلاتهم في شؤوننا على اساس ان حربا كهذه تضر بمصالحهم
- انظري الى هذه الصحيفة "بغداد اليوم" نقلت اليوم صورة عن مجلة التايمز الامريكية صدرت بتاريخ 6 تشرين الاول الجاري فيها رسم للخليج العربي على شكل برميل نفطي ينفجر ويشغل المنطقة (أعطته الصحيفة) بقي يتأمل الصورة وقال:
- لا يفكرون الا بمصالحهم وبما تنفعهم به بلداننا وبما سينجر عن حروبنا من ازمات لهم لا ازمات سنعيشها نحن ونتحمل اعبائها
- طبيعي وهل تريد لهم أن يفكروا بالابرياء اللذين يقتلون ويدفعون حياتهم ثمنا لحرب ليس لهم فيها شيء؟
- منذ دخل هذا القرن تجرد العالم من الانسانية لم نعد ننتظر تعاطفا من احد فعند الحروب الكل يقف متفرجا ولا يتكبد معاناتها الا الشعوب المحكوم عليها عيشها والمحتوم موتهم فيها
- ان الاوضاع تسوء هذه الفترة اكثر من ذي قبل لم يمر وقت طويل منذ ابتدأ الصراع والخسائر المادية تزداد وكأن الدولتين تتنافسان انهما تحقق خسائر اكثر للاخرى
- صحيح ذلك لكنه ليس غريبا انت تعلمين ان في حرب بين دولتين لفصيلتين كإيران والعراق يشتد الصراع اكثر نظرا لنفوذ كل منهما في المنطقة بفضل ما يمتلكان من النفط
- اجل مؤكد

- لذا على شركتنا ان تحسن التصرف في ظروف كهذه وعلى كل كل ما يحصل سيعود علينا بالنفع
- انني اخاف حالة التضخم في حال تراكم الارباح بسبب ارتفاع الاسعار
- قلت لك علينا ترشيد سياسة بيعنا وشرائنا حتى لا نخسر حرفاءنا ونكون الرابحين من ارتفاع الاسعار
- ان كلا الطرفين يبالغ في تضخيم خسائر عدوه والحط من شأنه والمحاولة لتدمير علاقة وقتل جنوده
- ليس ذلك فقط يا زينب فالأسوء من ذلك ان ايران تتعامل مع بلدنا وكأنها سوف تدخل العراق فاتحة اياها حتى تجعل من المقامات الشيعية المقدسة ملكا لها او جزءا من اراضيها والشيعة هنا يساندونها في ذلك وينتظرون حصوله حتى يشعروا بأمانهم في ظل دولة تحمي وجودهم ومقدساتهم طبعا اهل السنة يرفضون ذلك ويتوعدون ايران ان هذه الحرب لن تتسبب فقط في خراب وطننا يا زينب انما في انقسام شعبنا طائفيا وهذا لا يرضي كل عراقي شريف يغار على ارضه ويخشى على شعبه
- اعلم ذلك ارى ان على الشعب العراقي بكل طوائفه ان يمنع أي دولة اجنبية من السيطرة على اراضيه ويقف ضد ذلك
- المشكلة ان ايران تلعب على الوتر الحساس للعراقيين الشيعة وتعددهم بحماية مقدساتهم ومقامات أئمتهم وما يشجعها على ذلك استبداد صدام بهذه الطائفة التي لم تشعر يوما بالامان معه
- اريد فقط ان افهم ممن ستحمي هذه المقامات؟ أليست الدولة العراقية تحميها ؟ ولو ان صدام لا يحب هذه الطائفة ويقمعها الا انه والى اليوم لم تتعرض هذه المقامات لاي اعتداء...ما الذي تقوم به ايران لا افهم؟ كم اشعر بالخزي.
- لا داعي لذلك يا عزيزتي لا تحاسبي نفسك على اخطاء ترتكبها دولتك لا علاقة لك بها.....فالشعوب العربية والاسلامية لم ترضى يوما عن حكومتاها ولا اظن انها ستفعل ...لا داعي لحزنك هذا...فالسياسة شيء قذر لا يمكن تلميعه الا بربطه بالمقدسات وبالدين وهذا ما تفعله ايران لتعطي شرعية لوحشيتها في العراق...هيا عزيزتي فلنعد الى البيت تأخر الوقت...انا جائع واريد عشاء لذيذا من يديك
- هيا يا عزيزتي !
- على مهلك على ابنتنا ستأتي قريبا
- لا تخف انني انتبه عليها جيدا

...

انتهى خريف عام 79 وبدأ بطن زينب يكبر وحملها يبرز اكثر فأكثر حتى اضحت اغلب وقتها في البيت وتكلف حسين بالنظر في اعمالها جدلا عنها.... دخل شتاء العقد الثامن من القرن العشرين وأضحيا ينتظران مولد ابنتهما على احر من الجمر...وضعت زينب ابنتها في شهر فبراير وعادت الى بيتها بعد ايام عصيبة قضتها في المستشفى ... ثم تفرغت للاعتناء بابنتها التي اسمتها "رقية" وكلفت حسين بإدراة الشركة الى حين عودتها...بينما اخذ وطيس الحرب يشتد اكثر فأكثر ويوما بعد يوم ...وكل من الدولتين تتجه الى التصعيد انتظارا منها لاستسلام الطرف المقابل واستعراضا لقوتها..

وبدأت الايام العصيبة...

"السياسيون عموما مجموعة من الاوغاد... لكن للأسف إن مصير البشرية في قبضة هؤلاء الاوغاد"

-حسن سامي يوسف-

ايلول 1980

قالت زينب :

- كان ظنك بهذا الحزب صحيحا فقد بدأ قائده صدام بتعيين أقاربه في مناصب سياسية حتى من كان منهم ليس من الكفاءات...كل الصحف تتحدث عما يفعله وتتوقع الاكثر في الايام المقبلة من حكمه
- أولم اقل لك هذا منذ اللحظة الاولى التي تقلد فيها هذا الحزب بالحكم فليستر الله هذا البلد ويحمي هذا الشعب مما يمكن ان يحصل له اكثر ما أتمناه الان ان لا يشن حروبا على الدول المجاورة خاصة ايران
- ان "ابراهيم يزدي" وزير خارجيتنا أعلن في 3 آذار الماضي عن خفض القوات العسكرية البرية وعدم وجود نوايا لديها ها لشن أي حرب...لا اظن ان ايران ستفعل حتى لو كان العراق ينوي ذلك
- ليس ذلك دليلا دامغا على عدم نيتها القيام بحرب يا زينب فإنها كما اخفضت عدد جنودها بإمكانها ان تزيده في اية لحظة انسيت الاشتباكات الحدودية التي انطلقت في أيار؟
- أتتوقع ان الحرب على ابوابها؟
- ربما يحصل ذلك بأية لحظة يا عزيزتي ...زينب !
- ماذا؟
- ألا تظنين انه قد اضحى عليك ان تأخذي الجنسية العراقية بدل من اقامتك كأجنبية هنا وتجديدك الاقامة كل فترة
- الجنسية العراقية؟
- اجل يمكن للعلاقات الدبلوماسية ان اتقلص او تنقطع بأية لحظة ولأجل ألا تتعرضي لمشاكل في تجديد اقامتك او جواز سفرك ولا يكون لأحد حق في طردك من هذه البلاد
- أتظن انه يمكن ان يحصل لي كل هذا؟
- لا اعلم لكن الاحتياط واجب ودرهم وقاية خير من قنطار علاج ثم انك تقيمين هنا منذ سنوات وتزوجت عراقيا فحصولك على الجنسية سهل وبلا متاعب
- حسنا موافقة !
- حسنا اذا غدا تذهبين معي للمحكمة لاتخاذ الإجراءات القانونية الازمة !

...

كان اليوم الثاني والعشرين من ايلول ...فتح التلفزيون لمشاهدة الاخبار...يسمع مقدم النشرة الاخبارية يقول:"يأتي في اخبارنا انه وبعد ان اعلن العراق في العاشر من ايلول الجاري تحرير القرى الحدودية الواقعية تحت سيطرة الجيش الايراني في اشتباكات تواصلت منذ ايار الماضي وبعد ان اعلن السيد الرئيس عن الغاء اتفاقية الجزائر الموقعة في العام 1975 في اليوم السابع عشر من

هذا الشهر...تعلن الدولة العراقية السيادة على كامل اراضيها وعدم الاعتراف بالحدود المرسومة في هذه الاتفاقية لتعبر بعد ذلك القوات العراقية البرية الحدودية الدولية المشتركة لها مع ايران"

- زينب !زينب ! تعالي بسرعة !
- ماذا ؟ ما بك ؟ لماذا تصرخ ؟
- كارثة يا زينب لقد حلت الكارثة
- ماذا هناك؟
- لقد بدأت القوات العراقية تتقدم في الحدود الايرانية بعد أن لم تعد تعترف باتفاقية ال75 انها الحرب يا زينب !لقد قامت !
- يا ساتر يا رب انها حرب عسكرية على الحدود علها تبقى فقط على الحدود ولا تمتد لتطال المدنيين والمدن
- آمل ذلك يا زينب...اجلسي واسمعي

...هذا وقد شنت الطائرات العراقية هجومها على مجموعة من الاهداف الايرانية على شكل موجتين من المقاتلات والقاذفات بنحو 192 طائرة في الموجة الاولى و60 طائرة في الموجة الثانية واستهدفت في الضربة ايضا 8 قواعد جوية معادية اضافة ل 4 طائرات و4 منشآت عسكرية للجيش الايراني وقد تمكنت طائرات ميج-23 عراقية من ضرب اهداف في العاصمة طهران حيث قصفت مطار مهر آباد ودمرت طائرات إف -4 فانتوم التي كانت متوقفة بالمطار.

- لا يعقل لا لا يمكن لهذا ان يحصل أتسمع ؟ لقد قصفوا مطار طهران ؟ ووصلوا الى عاصمة البلاد بهذه السرعة؟
- ألم أقل لك ان الامر اكبر من مجرد اشتباكات حدودية مؤكد ان طهران الآن سوف ترد بقوة وارجو الا يكون الرد في العاصمة.

..

كان فجر اليوم الثالث والعشرين من ايلول كانت العاصمة هادئة والجميع نائم ليشن هجوم مضاد من الطيران الايراني على بغداد وسط نوم الجميع وتفزع شوارع وأحياء العاصمة بدويّ صفارات الانذار لاول مرة منذ انطلاق المواجهات استيقظا مرعوبين على اصوات غريبة يسمعانها لأول مرة في حياتهما استيقظت مذعورة وقالت:

- يا رب ما هذا الصوت؟
- لا اعلم عله هجوم او اشتباك

غادر حسين الفراش وحملت زينب ابنتها التي اخذت بالبكاء ذهب حسين للمطبخ وفتح الراديو لسماع الاخبار " نوافيكم مستمعينا بهذا الخبر العاجل حيث قامت القوات الجوية الايرانية بهجوم جوي على العاصمة بغداد وقد دوت اثر ذلك صفارات الانذار في الشوارع تحذيرا من الخروج هذا ولم نسجل أي خسائر مادية او بشرية"

قالت زينب وهي تحمل ابنتها:

- حمدا لله
- أسمعت يا زينب لقد وصل الضرب الى العاصمتين منذ اليوم الثاني ماذا اذا تواصلت الحركة على هذا النسق بقية السنة ؟ هل ستقدر على العيش هكذا؟
- لا اعلم فليجعل الله القادم خيرا.

....

اتى الظّهر ولم يغادر احد بيته في ذلك الصباح فتح حسين التلفاز الذي كان يعج بالحصص الاخبارية المتتالية حينما اعلن قارئ الاخبار"ردا على الهجوم الجوي الذي استهدف العاصمة بغداد فجرا اليوم قامت الوحدات العسكرية العراقية بالاندفاع نحو الاراضي الايرانية على امتداد جبهة بطول 800 كلم يأتي ذلك في الوقت الذي اعلن فيه الرئيس الايراني "نبي صدر" عن الافراج عن ضباط سلاح الجو المعتقلين وارسال بعضهم للالتحاق بوحداتهم وادخال البعض الاخر في دورات تعليمية هذا وقد قسمت العراق قواتها العسكرية على ثلاث مناطق في الجبهة وهم كالتالي:

- المنطقة العسكرية الشمالية ومركز قيادتها "كركوك"
- والمنطقة العسكرية الجنوبية ومركزها "الناصرية"
- والمنطقة الوسطى ومركزها "بغداد"

- أسمعت ؟ لقد اصبحت العاصمة مركزا للجبهة الوسطى مؤكد انها ستدفع ثمن كل خسارة تتكبدها القوات العسكرية على هذه الجبهة
- لا يمكن لي ان اصدق كيف لكل هذا ان يحصل فقط في يومين ؟ لقد انقلبت حياتنا في يومين وخلال بضع ساعات
- ستزال تنقلب اكثر يا زينب علينا ان نتحمل ونقاوم فقط
- عزيزي انا مستعدة لتحمل كل شيء المهم ابقى معي ولا تفارقني ولا تغادرني

وضعت رأسها على صدره:

- عزيزتي يستحيل لي ان افعل ذلك كيف لي ان اتركك واترك انبتنا اطمئني
- ألن تفرقنا الحرب؟
- لكنني لا اريد الابتعاد عنك انا خائفة انا خائفة جدا انا لا احد لي هنا في بغداد الاك انت لا اريد ان يحرمني الله اياك
- لم تعودي كذلك
- ماذا تقصد؟
- لم تعودي وحدك ولا احد الاي معك بل ابنتنا معك ايضا
- اجل وهي مثلي لا ترتضي فراقك فليحمنا الله من هذه الحرب كي لا نكون احدى ضحاياها
- ان الحرب اذا اتت فإنها لن ترحم احدا يا زينب تماما كالعاصفة رياحها تشمل الجميع ...لكن لا تقلقي لن اتخلى عنك ابدا ولا عن ابنتنا
- انا اثق بك لكنني اخشى الظروف
- لا تقلقي عزيزتي فليكتب الله لنا جميل الاقدار !

ومنذ ذلك الوقت تتالت الاخبار وتضاعفت الحصص الاخبارية والنشرات الطويلة والقصيرة لتصب جميعها في تمجيد الحرب القائمة وتضخيم صورة الجيش العراقي والدولة والقائد وتقزيم صورة العدو والعمل على تصويره بالضعيف غير القادر على المقاومة

...

آذار 1980

جاء حسين مهرولا الى زينب وقال لها:

- اسمعت يا زينب ؟ لقد كنت على صواب حين نصحتك بالحصول على الجنسية العراقية ....لقد قامت الدولتان بسحب السفراء من سفارتيهما وهذا يعني غياب التمثيل الدبلوماسي
- اخاف ان تقوم الدولتان بطرد كل جالية لها من الدولة الاخرى او منعها من السفر الى بلدها ماذا سأفعل حينها الن ازور اهلي او يزورونني؟
- لا يهم هذا الان يا زينب الاهم الان انك اصبحت عراقية ...هذا أأمن !

نيسان 1980: يتصاعد الخلاف بين الدولتين حول المياه الاقليمية السابحة فوق بحار النفط

أيلول 1980: اتهام العراق لايران بقصف البلدان الحدودية واعتبار العراق لذلك بداية الحرب

تشرين الثاني 1980: ايران تحذر الدول الاقليمية من دعم بغداد وتهدد باتخاذ الاجراءات اللازمة في حال وجود أي دعم او تعاون بين العراق ودولة اخرى وتشن غارات جوية على المراكز الحدودية الكويتية عقابا على مساعداتها....

بين الشهرين الرابع والتاسع فقط تشن ايران خمسة عشر غارة جوية على العراق...

بالاضافة الى التفجيرات والاغتيالات في الداخل واحتلال 326 كلم من الحدود مع العراق ...

الازمة النفطية تشتد مع كل غارة جديدة واعتداء وتفجير...الاسعار النفطية ترتفع في البورصات العالمية والمادة الخام تصبح اجهض مع كل يوم جديد والشركات النفطية تتسابق لتزويد حرفائها بكمّ أبهض وبأسعار ترتفع عدة مرات في اليوم...

كان حسين يتحمل مسؤولية ادارة الشركة بمفرده وزينب في البيت تتفرغ للاعتناء بابنتها وللقيام بشؤونها المنزلية أتى الى البيت فوجدها بصدد حياكة بعض الثياب لابنتها قالت له بابتسامة:

- مساء الخير حبيبي
- اهلا حبيبتي
- لماذا تأخرت الى الآن؟
- كنت اقضي بعض الاعمال
- لقد وصلت رسالة اليوم
- رسالة؟ ممن؟
- لا اعلم لم افتحها انها تخصك كتب عليها اسمك وجدتها في صندوق الرسائل اليوم صابحا تبدو وكأنها من الدولة !

- من الدولة؟ ! يا ساتر يا رب...وماذا يمكن للدولة ان تبعث لنا؟
- افتحها لترى ما كتب فيها

هم بفتح الرسالة وقراءتها على عجل وباستغراب شديد واذا به يشهق من تفاجئه بما قرأه

استغربت ردة فعله فسألته قائلة : ما بك ؟ ماذا في الرسالة؟

- مصيبة !مصيبة يا زينب !
- ما المصيبة ؟ ماذا قرأت في الرسالة يا حسين
- الدولة
- ما بها الدولة؟
- الدولة تبعث لي بأمر للتجنيد
- ماذا ؟ التجنيد؟

جلست على الاريكة وقد وضعت يدها على رأسها من وقع ما سمعته نظرت اليه وهو صامت من صدمته:

- يا ويلي !ماذا سنفعل الآن؟ كيف لنا ان نخرج من هذه المصيبة التي حلت بنا؟

بقي ينظر اليها صامتا والرسالة بين يديه...أوقعها ارضا وامسك برأسه ...تواصل الصمت بينهما وهما يتبادلان النظرات حيرة ثم قالت:

- وبعد؟ أسنبقى هكذا؟ ماذا لنا ان نفعل؟

وقف غاضبا وغادر:

- لا ادري يا زينب ...لا تسأليني لا ادري ! لا ادري !

دخل غرفته وأغلق الباب على نفسه بينما بقيت واقفة تنظر اليه بشفقة...دخلت الغرفة وجلست بجانبه ووضعت يدها على كتفه:

- عزيزي حسين لا داعي للغضب يا نور عيني سنجد حلا بإذن الله !

....

الجزء الثاني

" هناك اشكال كثيرة من السكوت ...

السكوت الذي تفرضه بالقوة السلطات الاستبدادية على مواطنيها وتسرق ذكرياتهم وتعيد كتابة حياتهم...

او سكوت الشهود اللذين يفضلون تجاهل الحقيقة...

وسكوت الضحايا اللذين يصبحون غالبا شركاء في الجرائم "

-آذر نفيسي-

7 حزيران 81

قوات الجيش الجوي الصهيوني تشن هجوما على المفاعل النووي العراقي الواقع في **"التويثة"** قرب بغداد ويحوله الى انقاض في بضع ثوان من القصف ورئيس وزراء الكيان "مناحيم بيغن" يبرر ذلك بتطوير العراق لأسلحته النووية وخرقه للقوانين الدولية والعراق تنكر ادعائه.

تشرين الاول 81

ايران تسقط غارات جوية على "أم العيش" المصفاة النفطية الكويتية وهو ما جعل الكويت ترد علهيا باسقاطها لطائرات ايرانية بالصواريخ .

خريف 81

الدول الخليجية تقدّم دعما لوجستيا واقصاديا للكويت ...وتفتح الكويت موانئها للعراق وتقد لها قرضا بملياري دولار أما السعودية فتقدم قرضا ب 10 مليارات ثم قطر والامارات ...أما ايران فتصلها 300 دبابة سوفيتية من ليبيا ويتلقى 250 جندي ايراني تدريباتهم فيها...الصين تبيع ايران 100 طائرة والمملكة المتحدة ترسل اليها قطع غيار لازمة للدبابات وسوريا تبيعها كتيبتي صواريخ أرض-جو والدولتان تعززان قواتهما وتتجهزان لحرب أكبر وأقوى ...حرب استعراض عضلات...

كانت زينب وزوجها يشاهدان الاخبار يوميا وتتابعان تطورات اسعار النفط ...وكل ما اشتدت الازمة النفطية تشتد معها ازمة الشركة...

وفي كل مرة يجتمع حسين بالموظفين والشركاء ليتشاركوا في ايجاد حلول تتناسب مع المشاكل اليومية التي يتعرض لها القطاع...

أما عن زينب فتبقى في البيت كالعادة ...

وتمضي الايام...

رقية بلغت عاما كاملا من عمرها فاحتفلت زينب وحسين بعيد ميلاد ابنتهما سويا في البيت...

شارف عام 81 على الانتهاء...

كانت زينب تغير حفاظة ابنتها لحظة دخل حسين البيت حاملا أكياس الخضار وقال:

- زينب هل سمعت ماذا حدث اليوم ؟
- اجابت بدهشة : لا ماذا حدث؟
- لقد تعرضت الحكومة الايرانية لنكسة بعد ان لقي مصرعه كل من القائد العام للقوات الايرانية "السيد موسى" ووزير الدفاع ورئيس الاركان وقائد القوات الجوية اللذين كانوا على متن طائرة نقل عسكرية تمّ اسقاطها صباح اليوم.
- من اسقطها؟
- ومن تظنين بفعل ذلك غير دولتنا العزيزة طبعا؟ لكم كرهتها وكرهت انتمائي لها بسبب هذه الحرب القذرة التي ليس هناك أي سبب لقيامها...زينب ما بك؟ لماذا تصمتين؟

- عليك ان تذهب الى الجبهة
- ماذا؟ ما الذي تقولينه؟ تعلمين جيدا انني ضد ما تفعله الدولة في حربها مع ايران وتريدين لي ان اشارك فيها؟
- اعلم ذلك لكن انما عليك ان تفعل ذلك حفاظا على حياتك وحياتنا انا وابنتك قد تتعرض للسجن او تتعرض جميعا للاعتقال او التعذيب اذا تخلفت عن واجبك الوطني الذي دعيت اليه
- وهل حفاظا على فحياتي علي ان احارب بلادك وجيشك وشعبك؟ ما الذي أصابك حتى تقولين شيئا كهذا؟
- ما اصابني هو شدة خوفي عليك لا اريد ان اخسرك وابنتنا التي لا تزال طفلة.
- وما الذي يضمن لك انني اذا التحقت بالجبهة لن تخسرينني ؟ انني سأذهب الى حرب يا زينب أي سأذهب الى الموت لا احد يعلم في الحرب ما مصيره ثم أنني اذا مت فلن أكون شهيدا لانني ساقاتل مسلمين مثلنا اذا فعلت ذلك سيبقى عار ما ارتكبته في رقبتي ويؤنب ضميري حتى القيامة.
- يا حسين يا حبيبي يا نور عيني ان ذلك أأمن لحياتك وحياتنا جميعا ...بالله عليك لا ترفض طلبي فقط من اجلي ومن اجل ابنتنا

وضعت رأسها على صدره وأجهشت بكاء بين ذراعيه فانسابت دموعها على ثيابه...ضمّ رأسها بيده وقال لها في حنو:

- كما تشائين عزيزتي علّني بذلك أضمن سلامة عائلتي

رفعت رأسها ومسحت دموعها وقالت:

- عل الله يحدث بعد ذلك امرا
- ونعم بالله
- توكل على الله انه لخير وكيل...سأشتاق اليك
- اطمئني اذا انا ذهبت سأكون بخير وسأبقى على تواصل دائم معك
- وكيف ذلك؟
- سأراسلك لكن علي قبل ذلك ان اجلب امي وابي من القرية الى هنا ليبقيا معك في بيتنا لا يجب ان تضلي لوحدك مع "رقية"
- حسنا موافقة ومتى ستفعل؟
- غدا صباحا سأذهب الى القرية واجلبهما الى هنا ثم التحق بالجبهة بعد غد
- جيد فليكن الله في عونك

...

في الصباح..

كانت نائمة على سريرها بينما كان منشغلا بتغيير ثيابه ...استيقظت على صوت حركاته فنظرت اليه قائلة:

- حسين؟

- صباح الخيرعزيزتي
- صباح النور
- ماذا تفعل؟
- اغير ثيابي علي ان اذهب لقريتي لآتي بوالداي..يوم غد سأنطلق الى الجبهة.
- حسنا فلتصل بالسلامة انتبه الى نفسك في الطريق...وإيت بهما قبل موعد الغداء لنتناول الفطور سويا.
- حسنا
- أتريد ان تشرب قهوة قبل الذهاب؟
- لا انا مستعجل أكملي نومك عزيزتي فالساعة لا تزال مبكرة عن اذنك
- مع السلامة

اغلق باب الغرفة وغادر البيت بينما وضعت رأسها على الوسادة وعادت الى النوم..

"ان كل ما نخشاه هو ضياع ما نملكه ...غير ان هذه الخشية تتوقف حين ندرك ان تاريخنا وتاريخ العالم كتبا معا باليد ذاتها"

- باولو كويلو-

استقر والدا حسين مع زوجته وابنته في بيته بينما ودعهم جميعا في اليوم التالي حاملا حقيبة مملوءة بأغراضه وثيابه ليلتحق بالجبهة...فوجدت زينب نفسها وحيدة مجددا بعد أن انهى حسين وحدتها لسنوات واصبح عليها التعود عليها من جديد..

جلست زينب على سريرها في غرفة نومها ممسكة برواية"الحرب والسلم" لتولستوي تركها لها حسين قبل مغادرته...لا تزال تذكر كلماته جيدا ساعة قال لها:"اقرئي منها كل يوم صفحة حتى أصل ...لعل مدة غيابي تطول لذا عدّي ايام غيابي وفق صفحات هذا الكتاب"..فتحته وقالت في نفسها"كم اتمنى عودتك قبل اتمامه"...وانغمست منذ ذلك القوت في تلك الرواية التي اضحت كل صفحة منها هي يوم غياب له...

وفي احدى المرات طرقت حماتها الباب وهي بصدد القراءة وقالت لها:

- زينب !
- خالتي ادخلي
- احضرت لك شايا ما رأيك ان نجلس سويا ونشربه؟
- طبعا تفضلي يا خالتي اجلسي
- شكرا يا ابنتي ماذا تقرئين يا زينب؟
- رواية اهداني اياها حسين قبل سفره ودعاني لأقرأ منها كل يوم حتى يعود
- ما اسمها؟
- الحرب والسلم
- حقا؟ الحرب والسلم لتولستوي؟
- اجل أتعرفينها؟
- طبعا كنت قد اهديتها لحسين عندما انتقل من المرحلة الابتدائية الى الاعدادي ومنذ ذلك الوقت اغرم بالأدب الروسي والقراءة انها من اعظم ما ألّف في القرن التاسع عشر وهي تتحدث عن الحرب النابليونية - الروسية وتختلط فيها الشخصيات التاريخية بالخيالية انها تصور ويلات الحروب وما يقاسيه الناس جراءها من خوف وعزلة وجوع وهروب من اوطانهم وقراهم وفقد لممتلكاتهم وفراق لأحبتهم وخسران لأغلى ما لديهم بسبب معارك بين جيشين ليس لهم فيها ناقة ولا جمل...لا اريد ان اقضي على التشويق الذي تشعرين به ازاءها...اقرئيها وسوف تشعرين بروعتها.
- اذا انت تعرفين قصة هذا الكتاب؟
- اجل
- وهل انت مهتمة بالأدب والكتب كحسين؟
- انا من خلقت هذا الاهتمام لدى حسين وحبّه للادب والكتب قد أخذه عني

- حقا؟
- اجل كنت قد درست آداب وحضارة عربية في جامعة بغداد وكنت ادرّس اللغة العربية في المدرسة الثانوية قبل زواجي لكنني حين ولدت حسين لم اجد احدا يعينني على كفالته بحكم انني لم أسكن مع حماتي ولم اقطن بالقرب من اهلي فكنت بعيدة عن اهلي واهل زوجي على حد السواء فاضطررت لاعتزال العمل والبقاء في البيت لاجل الاعتناء بإبني كم اشتاق لتلك الايام التي كنت فيها استاذة في تلك الايام عرفت عمك أبا حسين عندما كان مديرا للمعهد الذي كنت ادرس فيه.
- حقا؟ هل عمي كان مدير معهد ثانوي؟ ولماذا هو عامل يومي الآن اذا؟
- طرد أيام انقلاب العام 68.
- ولماذا طرد؟
- بسبب كلام قاله للطلاب عن "عبد الكريم قاسم" اعتبرته الادارة غير لائق بأن يقال لتلاميذ صغار واعتبرته احد محرضي حزب البعث على الحكومة آنذاك ..لقد كان قرار طرده من طرف وزير التربية ولم يقتصر على المعهد بل تم طرده من الوظيفة العمومية اساسا كان حسين وقتها ابن عشرين عاما وفي الصف الثاني من الجامعة وكان في بغداد ولم يسمع بهذا الخبر الا حينما عادت الى قريتنا في البصرة بعد تخرجه.
- اذا انت متعلمة ومثقفة.
- اجل وأورثت حب العلم والثقافة لابني لذا هو مغرم بالكتب.
- انا آسفة حقا ظننتك لم تدرسي فأنا لم ارك يوما تقرئين.
- نحن النساء تأخذنا المشاغل اليومية والأعمال المنزلية حتى عن هواياتنا ومشاغلنا منذ ان انجبت حسين واهتممت بتربيته لم اعد كما كنت ابدا على كل اتمنى الا يحصل معك كما حصل معي
- شكرا خالتي
- عزيزتي انا ليس لدي ابنة ناديني امي بدلا عن خالتي منذ اليوم فأنا اشعر وكأنك ابنتي.
- حسنا يا امي انا بدوري اشتاق كثيرا لهذه الكلمة أتساءل ما هي حال امي في هذه الساعة
- فليحم الله اهلك في ايران وليبقهم بخير دوما
- شكرا يا امي انتم أيضا اهلي هنا في بغداد فأنا لا احد لي عدا حسين واهله...والآن وقد رحل اصبح على التعود على ممارسة الحياة بدونه...كم يصعب علي هذا...انني مذ عرفته لم افارقه.
- ونحن ايضا يصعب علينا ذلك كثيرا في البداية وجدنا صعوبة بالغة في تقبل فكرة ترك حسين لقريتنا ومجيئه الى بغداد للعمل والعيش هنا...وهاهو الآن يغادر بغداد ليلتحق بالجبهة للقتال ...كم ظلمته الحياة !
- خالتي...عفوا اقصد امي !هل لي ان اطلب منك شيئا ارجو ألا يزعجك او ان يثقل عليك تلبيته
- تفضلي يا بنيتي لا تخجلي قولي ...انت زوجة ابني وعزيزي واي شيء ستطلبينه سيكون كطلب حسين عندي
- الآن وقد ذهب حسين ولم يعد بامكانه نيابتي في ادارة الشركة اضحى علي ان بذلك بنفسي لكن المشكلة من سيعتني برقية حبيبتي في غيابي فأنا سأبقى بعيدة عنها اكثر من نصف اليوم هل لك مساعدتي في القيام بهذا؟

- وهل هنالك اسهل من هذا ؟ رقية ابنتي وحبيبتي وحفيدتي الوحيدة واذا لم اعتني بمدللتي الصغيرة من سوف اعطيه عنايتي ورعايتي ؟ عودي الى عملك واطمئني بشأن رقية
- شكرا يا امي...حقا انت امرأة مثالية !

...

حين وصل حسين الى الجبهة ...أدخله الضابط الى نقطة تمركز الوحدة العسكرية التي سيقاتل معها حسين...وقال له :

- هيا ادخل هؤلاء زملاءك اللذين ستشاركهم القتال والاقامة علما واننا سننتقل الى نقاط عديدة اخرى في كل مرة

دخل وجلس على الارض صامتا واضحا بجانبه حقيبته التي تم تفتيشها قبل دخوله...

اقترب اليه احد الجنود فصده حسين قائلا:

- ارجوك اريد ان ابقى لوحدي بعض الوقت سنتعارف لاحقا.

عند الظهيرة اجتمعوا حول الطاولة ولكن حسين أبى ان يأكل شيئا واكتفى بالنظر اليهم من مكانه..حمل عبد الجليل صحنا بيده واتجه الى حسين وقال له:

- ألا تريد ان تأكل شيئا يا اخي ان القتال يتطلب مجهودا وتعبا وذلك يحتاج منا الاكل والتغذية الجيدة اذا كنت حزينا لتركك مدينتك وعائلتك فإن كل جندي هنا مثلك بالضبط...العديدون هنا تركوا اهلهم وعائلاتهم وأولادا رضّعا وزوجات وحيدات في بيوتهم ومدنهم ليأتوا الى هنا ةوهم لا يدركون ان كانوا سيعودون اليهم أم لا...فقط ادع لهم ان يكونوا بخير وثق بالله واجعل أملك فيه...ربما تعود اليهم قريبا جدا
- كم اشتقت اليهم لقد تركت والدين عجوزين ورضيعة لا تعرفني بعد
- كلنا مثلك تماما ...ما إسمك يا اخي؟
- حسين
- لي الشرف بمعرفتك انا عبد الجليل من كركوك
- وأنا من تكريت
- اهلا بك هيا خذ هذه اللقمة وكل لتقتات ...لا تهمل صحتك الظروف هنا قاسية وليست جيدة آمل ألا يطول وضعنا هذا.
- آمل أن تنتهي هذه الحرب سريعا اننا لسنا مستعدين لخسارة البشر والحجر لاجل الحرب ..

تشرين (2) 1981

كانت زينب تتمم عملها بعد عودتها الى الشركة بينما طرق ايهم باب مكتبها وقال :

- مرحبا سيدتي

- اهلا ايهم
- هل بامكاني ان اطلعك على بعض الملفات الهامة لتوقيعها؟
- اجل هاتها !
- تفضلي سيدتي
- اجلس يا ايهم
- شكرا سيدتي ...أسمعت ماذا حصل مؤخرا سيدة زينب؟
- ماذا حصل؟
- البارحة قم الجيش الايراني بعملية ابرار على ميناء البكر النفطي في البصرة وتسبب هذا في نزول اسهمنا لولا ان تمكنت قواتنا من استرجاع الميناء خلال 24 ساعة لكانت شركتنا بصدد الافلاس ...الان كنت اسمع في الاخبار ان الدولة اعلنت عن تقدم قواتها لكنه سيحتفظ بالاراضي الايرانية التي استولوا عليها وان الجيش سينتهج استراتيجية دفاعية
- اجل سمعت ذلك قيل ايضا ان مجلس الامن قد عرض في الشهر الماضي اقتراحا لوقف اطلاق النار على الدولتين فرفضت ايران ذلك
- اجل هذا بالاضافة الى ان القوات العراقية قد استولت على شريط حدودي بطول 8000 كلم كيف تريدين للحرب ان تنتهي الان بعد ان وصلت لهذا المستوى من المعارك والتدهور الدبلوماسي؟
- اجل صحيح ان المعارك قد بلغت ذروتها نظرا لان كل دولة تحارب الاخرى بكل ما لديها من قوة ...كان خطأ العراقيين عام 79 انهم كانوا على اعتقاد بأن ايران ضعيفة لخروجها من ثورة وأن الجيش العراقي سهل التمكن منها وهاهو العراق اليوم يعيش كسادا اقتصاديا ويغرق في ديون بملايين الدولارات جراء انسياقه وراء حرب مع عدو لم يضع في حساباته انه يمكن له ان يكون بهذه القوة ومصر على الانتصار
- انت محقة سيدتي لقد وضعت دولتنا نفسها في خطر مضحية بشعبها وارضها وجيشها وقد بدأنا ندفع الثمن وسنواصل ذلك طويلا حتى لو انتهت الحرب
- آمل ان تكون نهايتها قريبة

بدأ حسين المعارك في الجبهة ...كانوا يمضون وقتا طويلا في القتال مع دقائق معدودة للراحة والاكل...

وفي الليل وقت العشاء...اجتمع مع صديقه عبد الجليل حول لصحون الموضوعة ارضا ليبدآ في الاكل قال عبد الجليل:

- كما تعلم لقد اطلق على حربنا هذه اسم "قادسية صدام" لذا فإن القائد لن يقبل الا بخروج عدوه منهزما في هذه المعركة.
- صدام؟ قادسية؟ انه السبب في كل هذا الخراب
- انا ارى ان الدولتين على حد السواء هما سبب في هذا الدمار الذي يحصل...انّ كلاهما تفكران في مصلحتهما الخاصة سياسيون يستجيبون فقط لأهوائهم وغطرستهم وتكبّرهم دون النزظر الى ما سيعانيه الشعبين الشقيقين المتجاورين اللذي يجمعهما التاريخ والجغرافيا والتراث والنسب وحتى الدين.

- محق ان هذه الحرب ستضر اكثر الضرر المواطنين العراقيين المقيمين في ايران او على العكس الايرانيون المقيمون في العراق فالعلاقات بين الدولتين قطعت وكلاهما سحبا السفيرين...أتعلم زوجتي ايرانية.
- حقا؟
- تزوجنا قبل سنة فقط من اندلاع الحرب ورزقنا بفتاة اسميناها "رقية" هي الان ابنة عام واحد
- فليحفظها الله ولتكبر في حمايته ورعايتك.
- رعايتي؟ انا لا ادري الان ان كنت سأعود الى بيتي حيا ام لا
- لا تقل هذا فليكتب الله لنا عودة قريبة لنرى احبتنا واولادنا وزوجاتنا من يدري لعل المعركة تنتهي قريبا بفوز احدى الدولتين وانسحاب الاخرى
- كم انتظر لحظة انتهاء الحرب
- لم تقل لي ما موقف زوجتك مما يحصل؟ هل هي مع الخميني؟
- زوجتي ضد هذه الحرب تماما مثلي اننا لم نكن نتخيل وقوعها قط قبل زواجنا
- لا احد كان يتوقها جيد انكما متفقين على رأي واحد اما انا فضد صدام لكن زوجتي تحبه وتسانده ...لا تزال ترى انه احد اعلام الثورة الاشتراكية في الستينات...لقد انتهت الاستراحة هيا فلنذهب.

...

عادت زينب الى البيت متأخرة فقالت لها "ام حسين":

- مساء الخير يا ابنتي لماذا عدت في هذا الوقت يا زينب انه ليس وقتك المعتاد...صفارات الانذار تطلق في كامل احياء بغداد والطيران الايراني يشن هجومات قاسية على العاصمة عليك ان تنتبهي لنفسك اكثر هذه الايام.
- لا تقلقي يا امي كنت في الشركة ولم انهي عملي الا الساعة امرت جميع الموظفين بالعودة لمنازلهم واغلاق الشركة وتوقفت في الطريق ثلاث مرات من قبل الحواجز الامنية ،إن العاصمة على اشدها والاوضاع مشتعلة.
- عليك ان تبقي في البيت هذه الايام حفاظا على حياتك ولأجل ابنتك يا زينب انني اخاف عليك بشدة
- قل لن يصيبنا الام اكتب الله لنا خالتي ان بقيت انا في بيتي انّى لنا ان نأكل ونقتات؟
- حمدا لله لسنا محتاجين
- ألم تشاهدي الاخبار على التلفزيون؟
- لا كنت في الغرفة أطعم عمك "ابو حسين" صحته متعبة قليلا
- ما به عمي؟
- لا تقلقي سيكون بخير باذن الله

ذهبت الى غرفته فوجدته جالسا الى سريره والمسبحة بين اصابعه وشفتاه تتحركان صمتا بالذكر والابتهال

قالت له : عمي !

- زينب؟ اهلا عزيزتي ادخلي
- مساء الخير يا عمي ما بك ؟ هل انت بخير؟
- لا تقلقي يا بنية بضعة آلام في الظهر فقط ستزول باذن الله
- فلتسلم من كل شر يا عمي
- شكرا يا ابنتي
- زينب؟
- نعم يا امي
- لقد وصلت الى بيتنا رسالة تعالي اقرئيها علّها من حسين
- ليس لها عنوان
- افتحيها
- حسنا...

فتحتها فقرأت فيها : " عزيزتي زينب،

السلام عليك وعلى والداي تحيتي اليكم جميعا...أردت ان اطمئنك انني قد وصلت الجبهة منذ ايام...وأن اخبرك انني بخير ولازلت اقاتل بقوة والاوضاع بالجبهة تحت السيطرة ...لكننا نغير أمكنتنا في كل مرة لذا يصعب علي مراسلتك أتمنى ان تكوني بخير ويكون والداي كذلك واتمنى لو كان بإمكاني رؤيتك وقضاء وقتي معك...لكنني لا اقدر...ادعوا لي بالفرج العاجل أنا هنا دائم التفكير فيكم رغم القتال والحرب والشدة التي أمر بها وأعيشها فقد وجدت نفسي في ظروف قاسية ووضعت في الصفوف الامامية للقتال والجبهة على اشدها والوضع صعب للغاية لا يعجبني وضعي هنا يا زينب خاصة أنك تدرين جيدا انني مجبر على كل ما أفعله هنا...كم اتمنى ان تسنح لي الفرصة بالعودة اليكم قريبا وزيارتكم والاطمئنان على حالكم ...ادعي لي يا زينب ان يفكّ الله قيدي من براثن هذه الحرب القذرة...واخبريني بكل تفاصيل ما يحدث معك ومع والداي وابنتنا في البيت واخبريني عن الشركة لا تتركيني على جهل بما تعيشونه قولي لي كل شيء ارجوك ها نحن نقترب من سنة جديدة آمل ان تكون فأل خير علينا وعلى عائلتنا وبلادنا وان تكون السنة التي ستنتهي فيها الحرب ...لقد اشتقت اليك كثيرا واتمنى رؤية ابنتي كيف كبرت...اطبعي قبلة على جبينها بدلا عني يا زينب...وابقي على متابعة لاخبار الجبهة في التلفزيون والراديو...سأبقى على اشتياقي لكم...ولكم مني أحرّ تحية وسلام.

زوجك حسين في 1980/12/25"

قالت ام حسين: اعطني الرسالة أشتم في ورقها رائحة عزيزي حسين انها رائحة يديه كم اشتقت اليك يا نور عيني فليرجعك الله لي بخير وسلامة.

قالت زينب: حمدا لله انه قد بعث لنا اخيرا وطمئننا عنه

- الحمدلله
- علي ان آخذ ورقة وأجيبه على رسالته في الحال
- وكيف ستصله؟
- لا اعلم سأتصرف في ذلك المهم ان اكتبها اولا
- حسنا

أخذت الورقة وأخذت تكتب بشغف:

"حبيبي حسين،

يا مالك قلبي وسيد امري يا سراج بيتي الذي انطفأت لغيابه عيناي وأظلمت بعده البيت انّ اوضاعي تتردى يوما بعد يوم وظروفي تصعب اكثر فأكثر والصعاب تعترضني اينما خطوت بقدمي...ولم أعد اعرف سبيلا الى الدنيا غير الصبر والدعاء وترقبّك بالسلوان والدموع راجية خالقي ان يعيدك على بخير..

انني على حرقة الغياب اواصل ممارسة الحياة هان بطريقة لا اريد اخبارك بتفاصيلها كي لا تقلق علينا اكثر فنحن مهما حصل معنا نظل ببركة الله بخير ...انني اشتاق اليك واتمنى معرفة اخبارك كل لحظة...انني هنا اعمل والحمدلله ولا تقلق علي مهنتي والشركة ووالدك انهم بخير...وانا اعتني بهما قدر الامكان....وامك فليبقيها الله لي وليحفظها بكل خير لا تقصري معي بشيء ولولاها لما تمكنت من مواصلة الحياة بعدك...لكنّ ابنتنا يؤلمني قلبي لحالها يا عزيزي كيف تركت هنا بلا أب يا ويلي لو تكبر هذه الفتاة وهي لا تعرفك...أشعر انها تشتاق اليك مثلي...انه لم يبقى لي منك الا الصور التي اذكرك بها وكم يؤلمني ان استقبل عاما جديدا بدونك لا اظنها ستكون سنة انتهاء الحرب كما قلت فالاوضاع لا تزال تتردى وتسوء اكثر واكثر وليكن الله في عوننا أتذكر قبل سنة فقط في وقت كهذا كنا سويا في أحد نزل تبريز نقضي عيد الميلاد محتفلين ونحن عروسان جديدان؟ قدر الله وما شاء فعل اننا ننتظرك هنا ونترقب عودتك جميعا بفارغ صبرنا سالما معافى ان شاء الله اطمئن علينا فنحن بخير رغم كل شيء والداك وابنتك يبلغونك السلام.

واوصيك ختاما ألا تيأس يا عزيز قلبي وابقى على صبرك وقوتك...فأنا أعرف انني تزوجت من لا يعرف الوهن لقلبه طريقا أنا معك واتذكرك كل لحظة واذكرك بالدعاء ...

لك مني عناق حار وقبلة طويلة فليحفظك الله وليكن بعونك...

عزيزتك زينب/ يناير 1981"

بعد أيام...

في الاخبار" اعلنت القيادة العامة لجيسنا الباسل اليوم عن قتلها 381 جندي من القوات الايرانية المعادية وتدمير 43 دبابة وإسقاطها طائرتين إف-4- فانتوم وطائرة عمودية مكبّدة اياهم خسائر قدّرت ب29 مليون قتيل و3 دبابات و3 مدافع"

قالت ام حسين: غير معقول الدولة العراقية تتباهى امام شعبها بعملياتها ضد ايران !

- لقد كان حسين يقصد من رسالته التي بعث بها ان الجنود هناك مجبرين على ما يقومون به ومعنوياتهم محبطة من قيام هذه الحرب الشرسة لكن الاعلام يريد ان يروج لناا صورة الجنود المتحمسين اللذين معنوياتهم مرتفعة ويقاتلون بكل اندفاع بينما يتعمد الاعلام العراقي تصغير صورة عدوه وتضخيم صورة جيشه مع انها تدري جيدا ان ايران ليست ضعيفة لكنها تستهين بها لخروجها من ثورة ومن ازمة سياسية واقتصادية اخشى على العراق ان تدفع ثمن استهانتها هذه غاليا !

- معك حق يا ابنتي انها تستهين بعدو غير ضعيف ابدا ايران لن تستسلم بسهولة ولن تضعف انها تتلقى دعما اجنبيا كبيرا.
- ان ما زاد في اشتعال هذه الحرب هو الدعم الاجنبي ...أنا ارى لو ان الدول الاجنبية وبدل دعمها الحرب لو دعمت السّلم بين البلدين وساهمت في ارساء دبلوماسية سليمة بينهما لكان افضل بكثير من الاسهام في التدمير والتخريب والقتل.
- كل هذا بسبب النفط عزيزتي انّ تسميته الذهب الاسود لم تأت من فراغ.

مرت الايام على عجل حتى اتى شهر حزيران 1982....

كانوا جالسين في الصالون يشاهدون التلفزيون والأخبار المتتالية ورقية تلعب على الارض بدماها ، قال المذيع:

"بعد ان نجح الهجوم الايراني على البصرة مؤخرا في تحقيق اختراق بعمق 15 من 20 مترا وبعد ان اوقفت القوات العراقية الهجوم صباح اليوم قامت قواتنا الباسلة بشنّ هجوم معاكس يضم كتيبة دبابات مدعّمة بالمدفعيات والطائرات العمودية المسلحة وهو ما اجبر القوات المعادية على الارتداد لمسافة 7 الى 15 كلم"

قالت ام حسين وهي تغزل الصوف:كان هذا الهجوم الذي شنه الايرانيون على البصرة خطيرا الحمدلله ان قواتهم قد دحرت وإلا لكان الجنوب كلّه سيسقط بأيديهم"

قالت زينب : هجمات متتالية ودبابات وصواريخ وتهديدات وخطابات سياسية ...شيء لا يحتمل ...اصبحنا بحاجة الى هواء نظيف خال من هذه الكلمات المهترئة اليومية ...الى جو لا نشتم فيه رائحة الخوف والموت"

قالت ام حسين : محقة يا ابنتي كم منم فرصة أتت للدولتين كي يتداركا هذه الحرب ويعلنا انتهاءها ومع ذلك لم يفعلا.

قال ابو حسين : لا اصدق بعد ان عاد الينا الامل بأن تتوقف المعارك بفضل المبادرة العراقية بسحب جيشها من الاراضي الايرانية منذ يومين ودعوتها لوقف اطلاق النار سرعانما خمد هذا الامل برفض ايران هذه المبادرة وإصرارها على ان تدفع حكومتنا 150 مليارا كتعويضات وان يحاكم رئيسها امام المحكمة الدولية اضافة لمطالبتها ايانا ان نعطيها حق العبور للبنان لمساعدة "حزب الله" في القتال في الحرب الاهلية الدائرة هناك..كلما بادرت احدى الدولتين بالحل ترفض الاخرى القبول به الى متى تراه يستمر هذا الحل؟

- فليشملنا الله بواسع كرمه وفرجه ورحمته يا رجل...ماذا لنا ان نفعل؟...زينب ...زينب عزيزتي
- نعم أي امي؟
- لقد وصلت لنا رسالة من حسين تعالي واقرئيها الينا
- ها قد اتيت
- خذي اقرئيها

في شهر يوليو وصلت رسالة اخرى من حسين يقول فيها:

"عزيزتي زينب

اخلص تحياتي لك ولوالداي ولابنتنا...لا اريد ان ازعجك بالحديث عن اخبار الجبهة لان لا شيء يعجبني هنا...الاوضاع تسوء لقد كنا في الماضي نأخذ اقساطا من الراحة ونجد وقتا للنوم لكننا اصبحنا اليوم ونظرا لاحتدام المعارك لا ننزع بدلاتنا حتى وقت النوم ون|أكل وجبتين فقط في اليوم وننام بضع سويعات لا غير...لقد تحولت من الحدود الايرانية-العراقية الى البصرة أتعلمين ان الهجوم الاخير الذي سنته ايران على البصرة في عمليتها التي لقبتها ب"رمضان" قد كان هدفها منها احتلال العاصمة الجنوبية ولقد حشدت لأجلها ايران قوات "الباسيج" و"الباسدران" وهي تستخدم الموجات البشرية لعبور حقول الالغام وتحصينات ادفاع انها تجعل مواطنين لها من عمر التاسعة وحتى فوق الخمسين يشاركون في هذه الحرب انها كوارث تحصل هنا لا تصدقي ما ترينه في الاعلام العراقي والايراني على حد السواء فكل ذلك لا يمت للواقع بصلة...ليس ما ترينه من الدين والعقيدة في شيء كما يحاول العلام ان يروج ...

مؤخرا قام الخميني بمدح طفل في عمر الثالثة عشر رمى بنفسه امام دبابة العدو ...شباب عديدون ذهبوا الى الجبهة لانه قيل لهم ان في ذهابهم خولهم الى الجنة وخدمتهم للمقدسات والخميني يقول:"هذه الحرب نعمة وبركة عظيمة لنا" اما عن صدام فقد قام مؤخرا بإعدام ثلاثين ضابطا في الجيش لانفاقهم في صد الهجوم الاخير لإيران علينا..على كل حمدا لله ان عمليته "رمضان" هذه لم تنجح وتوقفت خلال 24 ساعة لذا ربما نغير موقعنا مرة اخرى قريبا قريبا...

لا تقلقي علي يا عزيزتي واعتني جيدا بإبنتنا ووالداي وسأبقى على اتصال بك عبر مراسلتك.

أستودعك الله يا حبيبتي

تموز/1982"

- ان ما يقوله حسين عن الحرب لا يطاق ولا يصدق
- انه ليس إلا غيضا من فيض يا ابنتي
- أصحيح اعدام الثلاثين ضابطا في الجيش؟
- اجل قام صدام بإعدام 30 ضابطا ذوي رتب مختلفة بحجة عدم تمكنهم من دحر هجوم قوات الفيلق الرابع الايراني في قاطع الشوش- ديزفول ما اجبره على التراجع لخطوط دفاعية متأخرة بعد ان احترقت القوات الايرانية طوال 100 كلم بعمق 20 كلم على جبهتنا ويقال ان ايران الآن تتلقى السلاح من ليبيا وسوريا وكوريا الشمالية والاتحاد السوفيتي وإنها ايضا قد باعت السلاح سرا لإسرائيل رغم فرض الولايات المتحدة الحظر على صادرات السلاح الايراني...مم تدهشين ...أعلمت كل هذا من الاخبار؟
- اجل
- لا داعي للدهشة ابدا يا عزيزتي نحن في زمن الحرب...وفي زمن الحرب كل ما لا نتوقعه هو الارجح حدوثا

- لعن الله الحروب...اننا مهما تخلينا بشاعة الحرب فغننا عندما نحياها تكون اكثر بشاعة من كل تصوراتنا ...انها تفوق قدرتنا على الحديث عنها...كم من الخسارات علينا ان ندفع كي تنتهي هذه مارس حياتنا في سلام...كم من العمر عليها ان تأخذ ..كم من احبتنا عليها ان تحرمنا اياهم كي ترحمنا وتعلن النهاية...نهاية بشاعتها...نهاية الخوف ورائحة الموت التي ملأت الامكنة كلها وملأت نفوسنا وحاصرتنا اينما تنقلنا وطاردتنا حتى في نومنا...اي الكلمات لها ان تصف الحرب...اي الحروف لها ان تسع بشاعة هذه الحرب؟سنواتنا تمر من عمرنا امام اعيننا ونحن لا نقدر على عيشها متبقين على مضض بإنتظار التي سلبونا الاستمتاع بها...ما ذنب المدنيين والنساء والاطفال ليقتاتوا من الشوارع كي تقتات الدول على براميل النفط المسروقة...ما ذنب شباب الجيش اللذين تزامن ربيع عمرهم مع هذه الحرب كي يدفعوا ثمن معركة لا نصر لهم فيها ولا انتصار ولا مصلحة ولا مكسب عدا سنوات ضائعة هدار في حمل البنادق وطلق الصواريخ بدل حمل اولادهم الرضّع وملاعبتهم في بيوتهم امنين مع زوجاتهم.
- ان الحرب لا ترحم احدا...لا مذنبا ولا بريئا يا عزيزتي ...كل هؤلاء هم فقط ضحايا حرب لن يتحدّث عنهم احد في كتب التاريخ ولن يذكرهم المجتمع الدولي في نشاطاته ولن يتذكرهم احد من اعضاء مجلس الامن في ندواتهم ...فقط لأنهم منشغلون عنهم بإدارة ما هو اهم ...ادارة الحروب ورسم سياسات لن تحسب للأطفال او الشباب حسابا او تضمن لهم الحق في الحياة...ليس في الحرب عدل يا ابنتي...انه قدر الله... كان الاجدر بالانسان ان يجنح الى السلم دوما حفاظا على نفسه وارضه وشعبه لكنّ من ذاق طعم السلطة والحكم وجلس على كرسيّ الرئاسة ومارس السياسة سيصبح لديه اولويات اكبر من حياة المدنيين او سلامتهم يا عزيزتي ...هذا عادي !
- أي حياة هذه؟
"..."

هاهو ذا العام الثالث من الحرب ينتهي لتدخل الحرب عامها الرابع ولم تنته بعد ...
وسائل الاعلام تقدّر الخسائر البشرية في الحرب ب 120 الف قتيل ايراني و 60 الف قتيل عراقي بين مدنيين وعسكريين...أتراه يكون العام الاخير في الحرب؟ كم اشتقت اليك يا عزيزي وكم اشتاقت اليك ابنتك التي لا تتذكرك ولا تعرفك فهي لا تعرف غيري أنا ولا تظن ان لها أبا انها تقترب من الخمس سنوات ولم تضم أباها ولم تضمها انت ايضا يوما مذ كانت في طور الرضاعة....متى تعود وتراها كم اصبحت جميلة وكم تشبهك !

كانت في بيتها تكتب الى عزيز قلبها المها على ورق وعينها تقطر قهرا على فراقه:

"حسين يا نور عيني

كم تقتلني شوقا رغبتي في لقائك ان قلبي يدمي لحال ابنتنا انها اصبحت في رياض الاطفال تدرس وتلعب وتمضي وقتها مع رفاقها اللذين في عمرها لكنها دائما تعود الى البيت وتقول لي "انني ارى اصدقائي يرجعون الى بيوتهم مع أبائهم ماما من هو ابي؟ هل لي اب ؟ لماذا لا اعرفه؟ ايكرهني واياك حتى ترك البيت ولم يعد الينا؟ الا يريد رؤيتنا؟ فاضطر في كل مرة ان اجالسها وافهمها انك في الجبهة تؤدي واجبك الوطني ...آه يا ابن قلبي متى ترجع فتقر عيني برؤيتك ان لا شيء بقي لي هنا منك سوى الصور التي اريها لابنتك كي تعرفك واللعب التي اشتريتها لها والتي دوما ما اعطيها لابنتك واقول لها "لقد اوصاك والدك باللعب بها ريثما يعود

فتفرح بذلك كثيرا...ان والديك يموتان ببطئ لفراقك لكنهما يخبئان حزنهما خلف الصمت ويكتمان قهرهما وأساهما تحت ستار الصبر..
ان كلا منا هنا كلما اشتاق اليك امنسك بصورتك وبللها بدموعه عله يتصبر برؤية ملامحك في اطار تلك الملامح التي اتوق لرؤية تغيرها بعد هذه السنوات التي مرت
انني اكتب لك حروفي هذه وامسك عبرات قهري خوف تبلل الورقة لم يعد بامكاني الحديث اكثر عن حالنا ...وانني ادرك مدى تعبك ولا اريد ازعاجك اكثر...الكل هنا في حالة يرثى لها...ولا نرجو من الله الا الفرج ومرور هذه الغيمة.
أسأل الله لك النصر والامن والفرج والعودة القريبة باذن الله يا عزيز قلبي

ديسمبر 1983

كان حسين في الجبهة يقرأ كلمات رسالتها ويمسك عبراته على مضض يخفي حسرته ولوعة قلبه تجنبا لعتاب احد ما له...ضم الورقة الى صدره واشتم فيها رائحة حبيبته زينب ثم قال"لي معك لقاء قريب يا حبيبتي ...سأراك مهما حصل"

قال عبد الجليل بعد ان استكمل الجنود تناول عشائهم:

- هيا يا حسين الحق بنا سنبتدأ معارك الليل
- هيا آت آت

خبأ الورقة تحت وسادته واخذ بندقيته واتجه الى ساحة الوغى مع زملائه ...اغفت زينب ابنتها ونامت بجانبها بينما كان والدا حسين يشاهدان التلفاز قال ابو حسين لزوجته:

- لقد تأخر القوت يا عزيزتي الا تذهبين الى النوم؟
- لم يراودني النعاس بعد اذهب انت سآتي بعد حين
- حسنا تصبحين على خير
- تصبح على خير

تأخرت الساعة ومضى على منتصف الليل دقائق عديدة ...رن الهاتف فجأة فردت زينب مسرعة بعد ان استيقظت من نومها فزعة :

- الو سيدة زينب
- الو من معي؟
- انا ايهم سيدتي انا آسف لانني اتصلت بك بهكذا وقت
- صباح الخير ايهم ما بك؟ هل حصل شيء؟
- اجل سيدتي عليك المجيء الى هنا على الفور ان شركة تحترق
- ماذا؟ كيف احترقت ومتى؟
- قالوا ان هناك من قام باشعالها منذ ساعتين
- منذ ساعتين وهي تحترق ولم تخبروني؟ هل اتصلتم برجال الاطفاء ليقوموا باخماد الحريق؟
- اجل فعلنا وهم منذ نصف ساعة هنا يقومون بالاطفاء ولكن الشرطة قد اتت وهم يستجوبوننا امام مقر الشركة ويطلبوننا للمركز للادلاء بشهاداتنا للقيام بتحقيق وهم يطلبون حضورك سيدتي عليك بالقدوم.

- اجل سأفعل حالا انتظروننني لعشر دقائق سآتي

اتت ام حسين مذعورة وسألت زينب:

- ماذا حصل يا ابنتي؟
- مصيبة يا امي مصيبة الشركة احترقت منذ قرابة ساعتين
- يا ساتر يا رب
- علي ان اذهب حالا الى هناك لقد قام رجال الاطفاء باخماد الحريق والشرطة تطلب حضوري في المركز لاستجوابي للقيام بتحقيق
- يا ويلتاه لماذا يحدث معنا هذا؟
- لا اعتراض على حكم الله يا امي
- اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه اذهبي يا بنيتي وطمئنيني عما حدث معك عند عودتك
- حسنا عن اذنك يا امي
- فليكن الله معك في عون الله

ذهبت زينب الى الشركة فوجدت جميع الموظفين هناك وبادرها الجميع بالتحية قال ايهم:

- صباح الخير سيدة زينب
- اهلا ايهم
- اعتذر على اتصالي المفاجئ بك لكن ها أنتت ترين الشركة احترقت بالكامل

نظرت الى الشركة وقد امتلأت عيناها دموعا.

- لقد أتت الشرطة الى هنا وطلبت حضور مديرة الشركة فاضطرت للاتصال بك
- شكرا على كل ايهم
- يا للاسف !سنجد انفسنا كلنا بلا عمل.

اتى احد الشرطيين لزينب وقال:

- مرحبا سيدة زينب
- اهلا
- حضرتك مديرة الشركة أليس كذلك؟
- بلى
- تفضلي معنا نريدك في المركز للادلاء ببعض اجاباتك على أسئلتنا للقيام بتحقيق في الغرض
- حسنا امرك تفضل
- تفضلي اركبي معنا

في المركز جلست في مكتب حاكم التحقيق بعد ان طرقت الباب برفقة الشرطي..قال حاكم التحقيق:

- تفضل
- مرحبا سيدي

- اهلا سيدة زينب؟
- اجل انا زينب
- تفضلي بالجلوس شرطي انصرف
- احترامي سيدي
- مرحبا سيدة زينب
- اهلا سيدي
- فليعوضك الله على ما أصابك
- شكرا فليجعلها الله نهاية المصائب.
- نحن آسفون على احضارك لمكان كهذا لكن ذلك فقط لأخذ بعض اجاباتك التي ربما تفيدنا في التصرف لهوية الفاعل
- لا بأس عليك تفضل اسأل؟
- أيمكن لي أخذ هويتك
- طبعا تفضل
- شكرا ...زينب حميدي...حضرتك ايرانية؟
- اجل كذلك
- من طهران؟
- اجل
- منذ متى تقطنين بغداد؟
- قبل خمس سنوات من بداية الحرب
- متى علمت بخير الحريق؟
- بعد ساعتين من احتراق الشركة بالكامل اخبرني احد احد موظفي الشركي لدي مهاتفا اياي عندما كنت في بيتي أثناء نومي
- ألم تتعرض شركتك لأعمال كهذه من قبل؟
- لا قط
- بمن تشكين أوتظنين ان يكون الفاعل؟
- لا أحد يجول بخاطري
- الا تشكين باحد موظفيك؟
- لا موظفي الشركة لدي مخلصين لشركتهم
- أتثقين بهم؟
- طبعا ثم ان هذه الشركة لدي مخلصين لشركتهم
- أتثقين بهم؟
- طبعا ثم ان هذه الشركة مورد رزقهم فكيف لأحدهم ان يقطع رزقه بيده
- معقول...اين زوجك سيدتي؟ متزوجة من عراقي اليس كذلك؟
- اجل زوجي موصلي تزوجته قبل الحرب بسنة ومنذ ذلك الوقت ونحن نقطن ببغداد اسمه "حسين" وكان يعمل موصظفا لدي في الشركة قبل ان يلتحق بالجبهة في اوخر العام 1980
- حسنا سيتواصل بحثنا وسنخبرك بكل جديد في حال وصلنا لاكتشاف هوية الفاعل وشكرا لتصريحاتك

- عفوا سيدي انا بخدمتكم عن اذنك

عادت زينب الساعة التاسعة الى البيت فوجدت حماتها جالسة تنتظرها دخلت واغلقت الباب مرهقة.

قالت حماتها:لماذا عدت متأخرة يا بينية؟ لقد أطلت

- لقد ذهبت لمكرز الشرطة وقاموا باستجوابي وسؤالي بضعة أسئلة وقال انه سيبدأ بفتح تحقيق في الحادثة.

جلست وكلأنها تلقي بنفسها من ارتفاع شاهق وضمت وجهها بين كفيها.

- ألا تشكين بأحد من مقربيك بامكانه ان يفعل بك هكذا؟
- لا يا خالة لا يتبادر الى ذهني احد من مصلحته فعل هذا لا ادري كيف حدث هذا
- وماذا ستفعلين اللان؟وماذا سيفعل موظفي الشركة؟
- لا اعلم سأطلب من كل منهم ان يحاولوا البحث عن عمل اخر وانا علي ان افعل ذلك
- والشركة ؟ والحرفاء والمعاملات؟
- لا اعلم يا خالتي اشعر ان عقلي عاجز عن التفكير

(تجلس وتضع وجهها بين كفيها وتبكي)

- هوني عليك يا ابنتي
- المصائب تأتي الي من كل الابواب ولم اعد ادري ماذا افعل
- قومي وصلي لله وادعي له وسيفرجها عنك بإذنه وقدرته فدوام الحال من المحال يا ابنتي
- لا الاه الا الله فليكن الله في عوننا.

... نهضت من السجود داعية "اللهم يسر لي امري واشرح لي صدري يا من بيده أمري...اللهم سدد رأيي ووجهني للطريق الصواب وعلمني ماذا افعل ...اللهم لي من في ساحات الوغى يحمي الارض والعرض...لا يتوقف قلق قلبي عليه...اللهم احميه لي واحرسه بعينك التي لا تنام وأعده لي بخير عاجلا اللهم آمين"

ولا تزال على ذلك الحال لحظة رن الهاتف فرفعت زينب السماعة وردت:

- ألو
- سيدة زينب؟
- نعم انا زينب من معي؟

(ضاحكا):"أظن ان خبر حريق شركتك قد وصلك اليس كذلك؟ يال حزنك يا زينب ! كم هو محزن منظر شركتك وهي سوداء محترقة ولم يبقى منها شيء عدا أثرها...لقد حذرتك كثيرا ألا تلعبي معي يا زينب لكنك لم تفهمي ذلك ولم يأخذي كلامي على محمل الجد...ادفعي ثمن استهزائك بي واستخفافك بكلامي كما شئت...انت من أردت ذلك...ان من صنع منك صاحبة شركة ضخمة ومشهورة وذو قيمة في المنطقة لن يفشل في اعادتك امرأة فقيرة مشردة تشقى في اليوم ألف مرة كي

تحظى بلقمة العيش وتطعم عائلتها...ماذا استفدت الآن من زواجك بحسين؟ مم قولي لي هل هو سيدافع عنك الآن ؟ هل سيأت اليك من الجبهة وينقذك من هذا الموقف؟ اخبريه بالامر اذا شئت سيحزن كثيرا مثلك اذا سمع بذلك هذا مؤكد..يال هذا الامر كم هو مؤسف"...

وأخذ بالضحك.

فقالت بأسى ويأس:

- هل انت فاعل هذا بشركتي؟
- وهل ازعجك الامر؟ كم أأسف لك سيدتي ...لم اظن في الحقيقة ان الامر سيزعجك الى هذا الحد...ألست "السيدة زينب حميدي" القوية والمشهورة ومديرة أضخم شركة في المنطقة؟ ألست المرأة التي لا يكسرها شيء؟
- هه أظننت انك غلبتني وقهرتني بفعلتك هذه؟ حقير ونذل ولن تتغير نظرتي لك مهما فعلت...انك لم تكسرني ولن تفعل...لست من أكسر من قبل رجل مثلك انت..لن تكسرني ولن تفعل ...شخص خسيس ونذل لست رجلا ولن تصبح كذلك مهما فعلت ومهما حاولت اغرب عن وجهي يا احقر من عرفت في حياتي "

اغلقت الهاتف واطلقت زفيرا طويلا..ثم دخلت غرفتها ورمت بنفسها على الفراش ..اجهشت بكاء على وسادتها واعتصر قلبها ألما...كيف يحدث هذا لسيدة كانت يوما مديرة أعظم واكبر واشهر شركة نفطية في العراق والشرق الاوسط ...اي قدر هذا الذي رماها على حافة الوحدة والفشل والخيبات المتتالية في بضعة سنوات؟

أي حياة حقيرة جعلت من نجاحها الباهر فشلا ذريعا فوجدت نفسها لا تملك شيئا بين ليلة وضحاها؟

ماذا عساها تقول لأبيها وعائلتها؟ ماذا يمكن أن تقول لزوجها اذا سألها عن عملها؟ كيف ستعيش الآن ومما ستقتات؟ موهي تعول ابنتها ووالدي زوجها وتهتم بهما؟ ماذا ستفعل بنفسها لحظة تنتهي اموالها ولم تعد قادرة على شراء شيء؟ بقيت على سريرها ساعات طويلة تذرف دموعها التي لم تتوقف وتقول في نفسها "لماذا تخليتما عني يا امي ويا ابي؟ لماذا تركتماني وحيدة هنا لا اهل لي ولا معين؟ أسقط فأجد نفسي لوحدي لا يمكن لأحد مساعدتي ؟كيف لي ان افعل في بلاد كبيرة كهذه وانا وحيدة وبمفردي ولا احد لي بعد ان تكرني زوجي وترك ابنته ووالديه المسنين اللذين لم يعودا قادرين على اعالة نفسيهما؟ لماذا قدر لي ان احيا وحيدة بلا اهل واهلي على قدي الحياة؟ يا رب ساعدني على مواصلة هذا العيش المهين وهذه الحياة السوداء التي لم تعد تصلح للعيش...يارب ما هذا الذل؟

بقيت زينب في البيت اياما تقضي وقتها في الصلاة..وذهبت الى المطبخ وهي تنزع الشال عن رأسها قالت لها ام حسين:

- تقبل الله يا ابنتي
- منا ومنك صالح الاعمال يا اماه
- انني افكر ماذا سأفعل بعد احتراق شركتي وخسارتي كل شيء
- وماذا قررت ان تفعلي؟
- قررت ان امتهن الخياطة
- ماذا؟ وهل تتقنينها؟

- عمل؟ليس كثيرا لكن سأتعود على ذلك وسأتعلم
- أليس لك اموال مدخرة تحاولين بها اعادة الشركة الى العمل؟
- لا يا خالتي لا يمكن لي ذلك يستحيل هذا سيكلفني ذلك المليارات من اين لي بها؟
- لماذا؟ على ما أعلم الشركة كانت جيدة واسهمها مرتفعة ألم يكن الناس يقولون ان شركة السيدة زينب من اول الشركات النفطية وأنجحها في البلاد
- اجل كان ذلك قديما
- ماذا تعنين يا زينب لا افهمك أحدث معك شيء في الشركة اثر ذهاب حسين الى الجبهة؟
- لا مثل ماذا؟
- اخبريني يا زينب ولا تخفي عني شيئا انني بمثابة امك هنا وأنت وصية حسين لي قبل أن يذهب.
- لقد تعرضت الشركة للافلاس قبل ان تحترق
- ماذا؟ ومتى حصل ذلك؟ حقا؟
- اثر ذهاب حسين الى الجبهة بأشهر رفضت اخباره في الرسائل التي بعثتها اليه كي لا ازعجه وهو منشغل بالقتال
- وكيف حصل ذلك؟ ألم تتمكني من إنقاذ الامر؟
- لا لم اعلم بسقوط أسهمها الا في اللحظات التي قاربت فيها على الافلاس
- وما السبب في افلاسها؟ أهي الحرب والازمة؟ أم شيء آخر؟
- الحرب ليست السبب على العكس كانت شركتنا مستفيدة من الارتفاع الذي طرأ على اسعار النفط لكن هنالك موظفون باعوا الشركة للمنافسين وعمدوا الى تفليسها
- كيف ؟ أيعقل هذا؟ وهل عرفتهم؟
- اجل
- ولماذا لم ترفعي قضية عليهم؟
- وهل لي المال الكافي للقيام بذلك؟ فذلك يستحق محاميا وجلسات عديدة في المحكمة والمنافسين اللذين فعلوا ذلك اقوياء وسيدافعون عن اولئك الموظفين بلا شك وأنا أخاف على حياتكم وحياة ابنتي التي لا تزال في "اللفة" فلا احد كفيلكم هنا بعد أن غادر حسين غيري انا
- رباه...من اين لك كل هذه المصائب ؟ لو كان ابني حسين هنا معك لما حدث لك هنا.
- كان قد حذرني من منافسين عدة متربصين بالشركة ومن مكائدهم الخبيثة ولم أنتبه لكلامه لعن الله غبائي كيف استهزأت بكلام زوجي ولم أوليه قيمة حتى هلكت حياتنا وزادت علينا ويلات الحرب
- لا يا بنيتي لا تدعين على نفسك قدر الله وما شاء فعل لا اعتراض على احكام الله نحمد الله على ان حالنا لا يزال بخير ليس كما الكثيرين اللذين شردتهم وفقرتهم هذه الحرب ألم تسمعي بما حصل بحارتنا ام سعيد ماذا حدث لها جراء الحرب؟
- لا لم أسمع ماذا حصل لها؟
- لقد توفيت ابنتها في عمر الخمس سنوات بسبب المرض لأنها لم تقدر على مداواتها بعد أن ذهب زجها الى الجبهة وخرج ابنها في الخامسة عشر من عمر ليعمل.ا ليساعدها؟
- لا فلكن الله بعونهم لا احد لهم غير عين الله تحرسهم
- فليكن الله بعوننا جميعا لقد أتعبتنا الحرب ولم تكن لتنتهي بعدما يقارب الاربع سنوات من الويلات.

"لا نستطيع إلا ان نكون مع الوطن"

- كمال ابو ديب-

في الجبهة...

كانوا جميعا مستسلمين لتعبهم تحت اعمدة خيمتهم للنوم ...قال حسين لعبد الجليل :أتعرف شيئا؟

- ماذا؟
- افكر بعائلتي وبيتي ومدينتي كيف تراه حالهم الآن؟
- كلنا نفكر في ذلك
- اريد رؤيتهم والتحدث اليهم اريد اخبارهم انني بخير
- وكلنا نريد ذلك لكن لا حل بأيدينا لعل الحرب تنتهي قريبا ونعود لأهالينا ونحظى برؤيتهم
- منذ اربع سنوات ونحن نقول نفس الكلام هل سأظل أنتظر الحرب حتى تنتهي وربما تتواصل عشر سنوات؟
- وماذا لنا ان نفعل؟
- علي ان اذهب اليهم
- ماذا؟تذهب اليهم؟
- اجل علي الذهاب الى بغداد
- أي بغداد ؟ ماذا تهذي ابو العباس؟
- لست أهذي لكنني سأهذي حقا اذا لم أفعل هذا ولم أذهب لرؤيتهم
- اتدري ما خطورة فعل ذلك؟ سيلاحظ الجنود والقادة تغيبك عن الجبهة وستعاقب على ذلك هذا اذا لم تطرد من الوظيفة كليا ثم ان في ذلك خطر على حياتك وسمعتك لا تخاطر يا حسين
- لا أقدر على الصبر أكثر علي ان اذهب
- ابو العباس
- يجب ان افعل ذلك
- واذا فعلت؟ هل ستعود؟
- طبعا سأتغيب يوما واحدا فقط وأعود
- لماذا لا تطلب اجازة؟ لماذا الهرب؟
- اوتظن انني اذا طلبتها سآخذها ؟ انه الحل الوحيد
- كيف ستصل الى بغداد؟ كيف ستخرج من هنا اصلا؟أتعلم على ماذا انت مقبل؟
- اعلم جيدا ومع ذلك سأذهب سأتحمل كل ظروف السفر
- ابو العباس أخاف عاقبة ما ستفعله اثر عودتك هنا...أتعلم انك ستتعرض الى عقوبة ام لا؟
- أعلم لكنني سأذهب
- حسنا إذهب كان الله في عونك فلتصل بالسلامة
- شكرا يا عبد الجليل
- متى ستنطلق؟
- عند فجر هذا الصباح

- يجب ألا يعلم احد لذا احذر ان يراك احدهم
- اطمئن سأحرص على ذلك لكن القائد سيلحظ غيابي
- طبعا وهذا ما يخيفني مؤكد انه سيسألنا اذا ما كنا رأيناك لحظة هروبك ام لا
- هذا عادي أنار سأغادر ليلا عندما تتوقف المعارك وتنقص الحراسة ...سأهرب من مكان ليس فيه حراسة واذا سألكم الضابط او القائد قولوا له ان مغادرتي تمت ليلا فلم يرني أحد وانا لم اخبر احدا بأنني سأفعل هذا.
- لا ادري ان كان هذا سينجح ام لا لكنني خائف جدا عليك
- اطمئن العقوبة ستكون بعد عودتي وسأدفع الثمن لوحدي
- فليحرسك الله ولتصل بالسلامة لكن اظن انه حرصا على سلامتك وخروجك من نقاط تمركزنا بأمان عليك المغادرة عند انتهاء الليل وقبل الفجر بقليل أي في الظلام كي لا يراك احد

...

عند الساعة الثامنة صباحا نهضت زينب باكرا وأوصلت ابنتها للمدرسة وعادت من ثم الى بيتها:

- مرحبا اماه
- اهلا عزيزتي
- هل اوصلت ولديك؟
- اجل اوصلت كلا منهما الى مكانه ثم ذهبت لاقتناء بعض الخضر والغلال شيء لا يعقل كم ترتفع الاسعار في الازمات والحروب لا اصدق كم أضحت المواد باهضة مقارنة بما كانت عليه قبل نشوب الحرب.
- وستزداد اذا تواصل حالنا هكذا
- اذا كان الناس ميسوري الحال كأمثالنا يتعذبون في ظل هذه الاوضاع فماذا يفعل الفقراء؟
- المشكلة ان ازمة الدولة الاقتصادية تشتد ومع ذلك فالحكومة لا تهتم ولا تحاول فعل شيء
- انها تأبى ايقاف الحرب لاجل ان ينتهي عذاب شعبها وما يقاسيه من ويلات
- وتقول انه ليس في مصلحتها او من كرامتها ان تتراجع
- وهل من كرامة شعبها ان يهان بويلات الحرب؟ افتحي الراديو يا امي لقد حان موعد الاخبار

فتحت ام حسين الراديو فاذا بالمذيع يقول:

"مستمعينا الكرام نوافيكم بهذا الخبر العاجل طائرات ايرانية تقصف مدنا عديدة في بغداد وتستهدف مواقع مدنية ومدارس للاطفال منهم مدرسة السيدية الدولية في شارع قطر الندى في العاصمة بغداد ويأتي ذلك بعد ان قامت قواتنا الجوية العراقية بعمليات مماثلة في ايران"

قالت زينب مرتعدة : يا ويلي لعلها مدرسة رقية علي ان اذهب وانقذها.

نزلت مسرعة وركبت سيارتها متجهة نحو المدرسة وقد بردت اطارفها بالخبر الذي سمعته علها تجد ابنتها قد ارتقت في تعداد الشهداء اذا وصلت الى المدرسة...ذهبت كمن يذهب الى موته لا يمكن لها ان تخسر ابنتها بعد كل ما لحق بهاو اصابها من كرب وحزن وصلت لشارع المدرسة فوجدت الدخان يتصاعد من البناية المستهدفة بقنبلة والناس في ذعر الكل تتعالى صرخاته والخوف يتملك عيون الاطفال الباكية نزلت وسط ذلك المشهد تكاد لا تصدق ان ذلك المكان اضحى كما تراه ركضت بين الاولياء

المذعورين اللذين انقسموا بين راكض بابنائه مبعدا اياهم عن المكان وبين مرتعدين يبحثون عن ابنائهم وبين متأسين يبكون على جثث ابنائهم او ما تبقى منها اظلمت الدنيا في عينيها واحست بانعدام قدرتها على الوقوف ووجع في ركبتيها اللتان تكادان ان تقعا ارضا فأضحت تنادي بأعلى صوتها "رقية...رقية" دخلت ثنايا المدرسة تبحث بين القاعات ووسط الاطفال عن طفلتها...فوجدت ابنتها في احدى الزوايا تبكي واقفة وتصرخ "اماه...اماه" ركضت وحملتها مبتسمة وقد انفجرت عيناها دمعا واثلج صدرها برؤية ابنتها سالمة "رقية عزيزتي تعالي معي" ركضت بها نحو سيارتها حاملة اياها وركبت عائدة بها الى البيت كانت ام حسين تنتظر في البيت عودة زينب وقد تملكها البكاء خوفا من حصول شيء لرقية وهي تروح وغدو في بهو البيت آملة دخول زينب بابنتها ...فتحت زينب الباب فدخلت رقية وركضت الى جدتها وعانقتها صرخت ام حسين حاملة حفيدتها بين ذراعيها:رقية...حمدا لله على سلامتك يا نور عيني حمدا لله.

اخذت تقبلها وتكرر الثناء على الله أن غادرت المدرسة سالمة جلست زينب على الكرسي وقد خارت قواها واخذت بالبكاء والشهيق فقالت لها ام حسين مربّتة على كتفيها:

- اهدئي يا ابنتي حمدا لله ان رقية بخير
- لا يمكنني ان اصدق ما حصل لا يمكن ان تصل ويلات الحرب لتطال اولادي اقبل بخسارة كل شيء الا ابنتي اموت ولا يمسها خدش
- استغفري الله يا زينب...اذا حدث لها شيء لا سمح الله فإن ذلك سيكون قدرالله عليها
- لا لا يمكن ذلك. ثم التفتت الى رقية وقالت:تعالي يا عزيزتي تعالي.

وعانقتها بشدة حتى اعتصرتها بين ذراعيها:

- اخفت يا عزيزتي؟
- اجل يا ماما كثيرا كان الامر مرعبا وظننت انني لن أراك مجددا
- لا يا ابنتي لن يحصل ذلك لا تخافي انا معك لن أتركك قط.

...

كان الليل كانت جالسة الى حماتها في الصالون وابنتها تلعب بالدمى نظرت اليها زينب وقالت:

- ما زلت لا اصدق ما حدث معي اليوم يا امي ولا يمكنني ان افعل كيف لدولتي ان تقتل أبنائي ؟
- هوني عليك يا ابنتي واحمدي الله ان رقية بخير هنالك من دفنوا اولادهم اليوم
- كيف لهذا ان يحصل؟ كيف للمعارك ان تصل الى المدارس ؟ ما ذنب الاطفال الابرياء؟ ما دخلهم في حرب قذرة كهذه؟ أيعقل انه بامكانمي ان افقد ابنائي ذات يوم ؟ أيمكن ان اجد نفسي يوما قد خسرتهم بعد ان خسرت شركتي ومالي وزوجي؟ لماذا يحصل معي كل هذا؟ يا رب تغمدني برحمتك لقد ضاقت بي السبل.
- جلست ام حسين الى جانبها وامسكت بكتفيها :
- يكفي يا ابنتي ارجوك كلها اقدار الله ولا يمكننا ان نعترض اين لنا ان نذهب بأنفسنا؟ انه قدرنا وسنعيشه احمدي الله انك حين وصلت وجدت ابنتك من الاحياء وضممتها وسمعت صوتها واخذتها الى بيتها سالمة وطيبت جروحها بيديك ماذا يفعل اولئك الاولياء اللذين وصلوا الى المدرسة فوجدوا ابناءهم جثثا واشلاء وبدل ان يأخذوهم الى بيوتهم اخذوهم الى آخر

مثواهم...سكتت وغصت بريقها وامسكت دموعها واصفة يدها على فمها وقالت بعد برهة:"حمدا لله" مسحت دموعها وقالت:اخاف على اولادي من قادم الايام كيف يمكن ان يكون مستقبل ابنائي؟ ماذا ستفعل ابنتي وقد دمرت مدرستها؟ كيف سيكون مستقبل ابنتي؟ ماذا ستفعل ابنتي وقد دمرت مدرستها؟ كيف لها ان تنسى انها رأت اصدقائها ومعلميها موتى امامها؟ يال بشاعة الامر...لن اتركها تغادر البيت مجددا

- لا حول ولا قوة الا بالله هوني عليك يا زينب أريحي بالك الان وسننظر في الغد ماذا نفعل

....

استيقظت صباحا وقد كانت حماتها تجهز القهوة أطلت على ابنتها التي كانت نائمة متعبة من يوم قضته خائفة باكية مما رأته ولم تفهم شيئا منه...طبعت قبلة على جبينها ونظرت اليها وقالت "فليحفظك الله"..ثم ذهبت الى المطبخ وقد كانت حماتها بصدد سكب القهوة في فنجانين قالت لها بابتسامة مقبلة جبينها"صباح الخير يا امي"

- صباح الخير يا ابنتي كيف اصبحت ليومك ؟ أتشعرين انك افضل؟
- احسن من البارحة لكن لازلت خائفة ترتعد فرائصي كلما تذكرت صورة المدرسة حين وقفت أمامها ثم دخلتها
- حاولي ان تنسي عزيزتي سيمر كل شيء بخير باذن الله
- انشاء الله البارحة في الاخبار قال المذيع ان الضربة الايرانية التي استهدفت المدارس العراقية في عدة مدن كانت نتيجة لمبادرة الطرق باستهداف المدارس في ايران انني خائفة على ابناء اخوتي أتراهم بخير؟
- اتصلي باخوتك واسأليهم عن اخبارهم
- سأفعل

ذهبت نحو الهاتف ونقرت رقم هاتف اختها فقالت لها:

- الو
- الو اختي عزيزتي انا زينب
- اهلا عزيزتي زينب كيف انت؟
- بخير الحمدلله وانت؟
- الحمدلله بخير
- زينب ما به صوتك؟
- ما به؟
- صوتك متغير يا اختي وكأنك تبكين
- لا لا بأس انا بخير لست ابكي
- لا لست بخير ما بك؟ هل انت بخير؟ لقد سمعت ان العراق استهدفت في ايران عدة مدارس في عديد المدن هل انتم بخير ؟ ألم تستهدف الضربات احدا من ابناء العائلة؟
- لا لم يحصل هذا
- ليلى لا تكذبي علي لماذا تبكين؟
- لقد...

- ما بك؟ ماذا جرى؟ تحدثي ارجوك ولا تحرقي اعصابي نفذ صبري
- لقد نزلت قنبلة على مدرسة ابن خالتي زهراء
- ماذا؟ يا ويلي وماذا جرى له؟
- لقد اصيب عدة اصابات خطيرة ودخل المستشفى وأنا وامي الى جانبه منذ يومين هنا
- لا غير معقول هل هو بخير الان ماذا قال الاطباء عن حياته؟

(اجهشت اختها بالبكاء):يقولون ان حالته حرجة ونسبة موته عالية انه يم يستيقظ منذ دخل الى المستشفى

- لا يا عزيزتي لا تقولي هذا مؤكد انه سيصحو ويستيقظ ويستعيد عافيته ماذا عن بقية عائلتنا؟
- انهم بخير لا تقلقي.
- حسنا يا اختي لم يبقى في رصيد هاتفي الكثير وافيني بأخباركم وطمنيني عن ابنك اذا نهض او فتح عينيه فليصحو بالسلامة انا مضطرة لأن اقطع اتصالي بك.
- حسنا عزيزتي لا تقلقي سأخبرك بكل شيء
- انتبهي لنفسك وابقي قوية... سيصحو بإذن الله في امان الله يا اختي اوصلي لسلامي لخالتي ووالداي واخوتي.
- حسنا الى اللقاء

جلست الى الاريكة ووضعت يديها على رأسها مذهول ما سمعت وقفت حماتها امامها وقالت:

- ما بالك يا ابنتي؟ هل اصيب احد ابناء اخوتك في غارة ما؟
- ابن خالتي زهراء ابنها مصاب في المستشفى والاطباء وقيولون انه في حالة حرجة ونسبة حياته قليلة جدا.
- فليعافه الله وليكتب له عمرا مديدا لا تعرفين عله يستيقظ غدا هيا تعالي للفطور يا بنيتي لقد بردت القهوة...الم تخبريها عن رقية؟
- لم أرغب في ذلك.

"بعد الوصول الى نقطة معينة لا بد من الاستمرار مهما كانت النتائج "

- اوفه شومبروغ-

اسدل الليل ستاره على بغداد
الثامنة والربع ليلا ...وزينب في الشرفة تشاهد انتهاء الغروب وبداية الليل بخيط من اللون الداكن غطى السماء ثم شملها جميعا واشتعلت اضواء المدينة وتمايلت نخلاتها بنسمات الليل...كانت ابنتها قبالتها تلعب بدماها على الارض...نظرت اليها بشفقة ثم ذهبت الى غرفتها واقفة امام المرآة متفرسة في ملامحها التي ذبلت من شدة الالم والبكاء
كم اشتاقت شفتاها الى البسمة وعيناها الى الفرح...فتحت ربطة شعرها وصففته ثم تجملت وتأنقت... وغادرت...
قررت الذهاب الى المقهى الذي سمته مع زوجها ايام العشق "الموعد" اقتنت ثوبها الاسود ذلك الذي طالما كانت ترتديه عندما تكون على موعد مع الحب على كرسي بالغ الفخامة في احدى

مقاهي بغداد المطلة على الفرات ...وصلت الى ذلك المقهى...فجلست في ذلك الركن الايمن المطل على النهر ...انها نفس الطاولة التي سجلت جميع مواعيدهما ولقاءاتهما لم تكن تهتم بشيء حولها على انها لاحظت تغير كل شيء تغير الوجوه الايام الاجواء الاخبار التي تعرض على التلفاز الملتصق بأعلى الحائط...النادل...عدا الديكور الذي بقي على حاله ...
بقي صوت حسين وصدى كلماته التي قالها على هذا الكرسي تتردد في داخل اذنيها ...
انها على موعد مع الغائب حضورا !
كانت تتذكر كل لقاء وكلمة قالاها في هذا المكان ...كيف لم ينتبها الى انهما لم يغيرا الطاولة ذاتها التي ارتاداها كموعد لهما مع الحب اتراه كان متعمدا ذلك معها ووحدها التي التي لم تلاحظ؟
بينما هي الذكرى اتى احد الى الطاولة واقفا امامها وقال بصوت متعجب :

- سيدة زينب؟

التفتت اليه فنزع الرجل نظاراته وبدا لها وجهه بنفس الملامح قالت مدهوشة :

- ايهم؟ ماذا تفعل هنا؟
- انت ما الذي جاء بك الى هنا ؟ منذ متى لم تزوري هذا المقهى سيدتي؟
- منذ زمن لا اذكره اجلس لماذا انت واقف؟ وضحكت بيأس
- شكرا سيدتي

جلس ثم قال :منذ مدة لم أرك كم اشتقت لايام الشركة أي صدفة جمعتني بك؟ منذ احتراق شركتك وذهابك في ذلك اليوم الى مركز ال شرطة لم اعلم عنك شيئا ألم تعلمي من الذي فعل تلك الفعلة الشنيعة سيدتي؟

- لا ليس بعد
- ألا يزال التحقيق مفتوحا؟
- لا اعلم ارجوك ايهم لا اريد استرجاع هذا الموضوع
- حسنا آسف سيدتي
- لا بأس لقد اتيت الى هنا هربا من الحياة وكي اتذكر ايامي مع حسين انني اعيش اوضاعا صعبة هذه الفترة كم اتمنى الهروب من نفسي وجسدي وكل ما حولي
- هوني عليك سيدتي كل شيء سيكون بخير باذن الله
- ماذا فعلت بعد ان خسرت وظيفتك في الشركة؟
- وجدت وظيفة جديدة في مصنع للوح التحقت به منذ اشهر
- جيد
- بقيت سنوات اعاني البطالة لكن وضعي تحسن قليلا اثر عثوري على هذا العمل
- الحمد لله اما انا فوضعي يسوء بدل التحسن اعيش مرع والدا زوجي وابنتي لوحدنا حماتي امرأة فاضلة تساندني في كطل شيء ووالد زوجي رجل مسن يعمل عاملا يوميا ما يأتي به لا يكفينا لشيء وابنتي في رياض الاطفال
- ماذا اصبحت تعملين الان؟

- اصبحت احيك الثياب للناس حتى ادبر شؤون البيت مؤخرا اصبح عمي مريض ومرهق جدا واضحى يتخلف عن عمله في كل مرة لأعذار صحية
- ألم تأخذيه لاحد الاطباء للعلاج؟
- بلى انه يخضع للمراقبة الطبية منذ اكشر من شهر والطبيب يقوم بفحصه يومين كل اسبوع وقد أعطاه جملة من الادوية لكنه لم يتحسن.
- مما يشكو؟
- لقد قال الطبيب ان في ظهره فقرتين يتماسان لكن تالادوية التي يتعاطاها لم تغير بصحته شيئا قال الدكتور ان عليه البقاء في المستشفى
- ألا تملكين ثمن بقائه في المستشفى؟
- لا لا اجدري كم يلزمه للبقاء هناك ولا كم ثمن علاجه لكنه اذا كان سيخضع لعملية مؤكد ان ثمن ذلك سيكون باهضا جدا وانت تدري جيدا انني اصبحت خياطة ولم يعد يكفيني ما أتقاضاه لأدفع ما يلزم للمعيشة اليومية ومصاريف الادوية التي اشتريتها ومصاريف ابنتي ...كلما تذكرت انني لم اخرج بشيء بعد سنوات عملي الطويلة في الشركة وانها افلست واحترقت ولم تعد شيئا يذكر بعد ان كانت من اوائل لشركات البترولية في المنطقة احترق قلبي يصعب علي تصديق ما فعلته يد الزمن في حياتي.
- هوني عليك سيدتي قدر الله وما شاء فعل...لعل في ذلك خيرا تجهلينه
- خير؟ من اين لي الخير؟ منذ بدأت الحرب لم أعش يوما واحدا مفرحا...انت تعلم حال زوجي الذي في الجبهة منذ ما يقارب الاربع سنوات وهو ليس على علم بكل ما يحصل معي ولا اريد إخباره بذلك في مراسلاتنا كي لا اعكر صفو قتاله وأتسبب في ارهاقه اكثر يكفيه ما يقاسيه لقد ثمل وثملت واحترت في امري من اين لي كل هذا الامر انا "زينب حميدي" صاحبة اكبر شركة نفطية في المنطقة انا المرأة التي كان الكل يحسب لمجادلتها الف حساب ويأخذ قراراتها ويستشيرها في كل اعماله كيف لكل هذا ان يحدث معي ولماذا؟ انني لم أظلم احدا في حياتي ولا هضمت حق احد هل كل هذا من نقمة القدر وغدر الزمن ؟ لماذا يا ربي ما عدت اعرف ماذا افعل..اصبحت احمد الله لانني لم ارتد الشوارع للتسول ان عمي يضاجع الموت وامي تصارع حزنها وابنتي تعيش اليتم وليست بيتيمة وانا لم اعد ادري من أكون ؟ أسيد انا ام عاملة ؟ اثرية انا ام فقيرة؟ أمكتفية انا ام محتاجة؟ أزوجة رجل انا ام ارملة ؟ انني لا اعلم بأي وقت يمكن لأحدهم ان يدق باب بيتي ليوصل إلي خبر وفاة زوجي آتيا لي ببزته العسكرية أين أنا مما كنت عليه اين أنا من السيدة "زينب حميدي" انا لست بزينب أين أنا من حياتي السابقة ؟ لماذا يا ربي كل هذا الشقاء والاسى واللوعة من أين لي كل هذا وأين كان مخبأ؟ لماذا يا رب لماذا؟

اغمي عليها حتى سقطت من على كرسيها

- سيدتي سيدة زينب سيدة زينب انهضي ارجوك ماذا حصل لك؟ ايتوني بكأس من الماء ارجوكم

اتى صاحب المقهى بكوب مياه رفع ايهم رأسها بيده جعلها تشرب بتأن ثم أوصلها بسيارته الى بيته...فتحت عيناها عند وصولها..قال:

- سيدتي هل أنت بخير الآن؟
- اين انا؟

- اوصلتك الى بيتك سيدتي
- ماذا حصل لي؟
- لقد سقطت مغشيا عليك بعد ان اخذت بالصراخ والبكاء
- انا آسفة ايهم انا حقا آسفة جدا
- لا تقولي هذا انا بخدمتك حمدا لله على سلامتك الآن هيا سأساعدك في الدخول الى البيت
- هيا اصعد معي الى البيت يا ايهم لأعرفك على والدي حسين انهما طيبان جدا
- لا مشكلة يا عزيزتي انا لا اريد ذلك الآن اتمنى ان اتشرف بمعرفتهما في فرصة اخرى انتبهي الى نفسك
- وانت ايضا
- سأفعل شكرا لك
- شكرا لك انت لن انسى فضلك عن اذنك
- حماك الله

عادت الى بيتها ودخلت الى سريرها فورا طلبا للراحة لم يراودها نوم وهي تفكر في حبيب قلبها حسين..

"من اين لي ان آتي بالقوة اللازمة لأحيا الايام القادمة من حياتي يا حسين ...لو أنك لم تغادر ولم تتركني لما حصل معي كل ما حصل..لو انك ترى فراغ بغداد من دونك...تأتي الي فقط للحظات فتسعدني برؤيتك والحديث اليك ثم غب كما تشاء ..لقد طال الزمن يا حسين ..فمتى تأتي ؟ متى؟"

...

بعد الفطور جلسوا يحتسون الشاي قالت ام حسين : لقد قامت الطائرات العراقية برمي غارات جوية على جزيرة "خرج" الايرانية أمس يوم 27 فبراير والتي يصدر عنها حوالي 1.6 مليون برميل نفط يوميا وقد سبب هذا أزمة كبيرة غفي النفط لدى ايران وبالتالي ستنتقل العدوى للعالم قريبا وكالعادة غدا سنجد المجتمع الدولي يندد بذلك نظرا لخطورة الامر على مصالح الولايات المتحدة الاقتصادية ....زينب زينب عزيزتي

- نعم
- ما بك؟ في ما تفكرين؟
- لا لا افكر في شيء لكن قصص الخسارات النفطية التي تتكبدها الدولتان لم تعد تهمني فالشركة قد افلست واحترقت واغلقت وتبخر اسمها ونسيت تماما فيما تهمني كل هذه الاخبار؟
- لا بأس عليك يا زينب ربما هكذا افضل ارتاح بالك من تكبد عناء التفكير في هذه الازمات المتتالية التي تسببت في الخسارات لكل الشركات النفطية في الدولتين
- سمعت مؤخرا ان حرب المدن قد اضحت على أشدها في بغداد والموصل وطهران واصفهان وتبريز تلك المدينة الجميلة التي قضيتا فيها مع حسين ايام الزواج الاولى والاكثر الما ليس في هذا.
- في ماذا اذا؟
- لقد قصف النزل الذي قضينا فيه تلك الايام الجميلة من شهر العسل في تبريزانا وحسين واحترق بالكامل
- حقا؟ كيف علمت؟

- سمعت ذلك في اخبار الثامنة مساء البارحة واحترق قلبي ليتك رأيت جمال تلك المدينة يا امي انها مدينة الورود والنزل والاضواء والجبال والغابات والمساحات الخضراء كم كان ليلها جميلا وشروقها اجمل..كنت ازورها مع عائلتي عندما كنت طفلة كل عام في عيد النيروز ونحتفي بالورود في جبالها ونجوب شعابها ونحن نأكل الحلوى والآن هي فقط ساحة للحرب لا أكثر
- دوام الحال من المحال يا ابنتي هوني عليك ستنتهي الحرب مهما طالت...ابو حسين الى اين تذهب؟
- اريد أخذ قسط من الراحة في غرفتي
- سأساعدك على الذهاب الى الغرفة يا عمي

أجلست زينب أبا حسين على الفراش في الغرفة قائلة:

- اجلس يا عمي هل تريد شيئا؟
- لا شكرا الى اين يا زينب؟
- سأكمل خياطة بعض الثياب والفساتين
- إجلس بجانبي لنتحدث قليلا أكملي الخياطة في ما بعد
- حسنا يا عمي سأجلس
- أسأل الله ان تنتهي هذه الحرب قريبا بمعجزة ما ليعود الينا حسين وأملأ عيناي برؤيته بعد كل هذا الغياب كم اتمنى رؤيته والامتلاء بحضوره وجلوسه بجانبي لسماع صوته واشتمام ريحة ...كم احتاج للشعور باعتنائه بي في هذه الايام الاخيرة من عمري كي اموت سعيدا بوجود وحيدي بجانبي
- سلمت يا عمي اطال الله عمرك وأعاد لنا حسين قريبا كي تسعد برؤيته وتنعم بقربه لا تتحدث عنه الموت ثاينة جعله الله بعيدا عنك
- هذا هو الواقع يا ابنتي انا رجل هرم لم يبقى لي بهذا العمر عدا أياما معدودة كل يوم منها اموت فيه شوقا لقضائه مع ابني وحيدي لا أحد يدري متى تنتهي الحرب وتسريح الجنود امر مستحيل قبل انتهائها لم اتوقع يوما اننا سنرى كل هذا في نهايته حياتنا ولم اتخيل لحظة انني سأكون على فراش الموت بعيدا عن ابني ومحروما من رعايته
- حياتنا مليئة بالمفاجآت يا عمي فأنا لم اتوقع يوما ان اعمل خارج ايران وأن ازوج عراقيا واعيش في بغداد كي تقوم الحرب بعد سنة من زواجي بين بلدي وبلد زوجي لأول مرة في التاريخ
- الوطن أيضا يخبأ لنا مفاجآت غير متوقعة...لماذا عليه ان يهدر دمائنا جيلا بعد جيل كي يبقى بسلام؟ لماذا بين كل جيلين يعيد الوطن ترتيب اوراقه بافتعال حرب يبني فيها جيلا عسكريا جديدا ...على ايام جيلنا خلقت بنا ثورة **رشيد عالي الكيلاني** ضد الانكليز عام 41 شعورا بالقوة...حلمنا خلالها بالوحدة...وقتها كنا ثوار نحلم بتحرير العراق لبناء دولة وطنية تقدمية نبلغ بها سماء الحضارة التي ستقهر الغرب...انظري الى العراق اليوم...أي حال هي عليها؟ ترى كم تبقى من الموت كي ترتوي هذه الارض دما؟

تأخرت الساعة وشارف الليل على الانتصاف...كان البيت مظلما وكانت على سريرها وقد غفت ابنتها بجانبها ونامت حماتها في الغرفة الجانبية جالسة تفكر وقد وضعت رأسها على ركبيتها وضمنهما بيديها فجأة سمعت صوت الباب أحدهم يدقه دقا خفيفا رفعت رأسها متفاجئة ارتعبت من تراه يأتيها في وقت

كهذا نظرت الى الساعة فوجدتها تشير الى الحادية عشرة والنصف نزلت كمن فراشها وارتعدت نعليها واتجهت خائفة واجمة بعينيها نحو الباب تواصل الدق قالت بصوت خافت :

- من؟

أجابت صوت مخملي رقيق الخامة:

- انا حسين افتحي يا زينب لم تصدق اذنيها وقد ظنت نفسها في حلم جميل فتحت ونظرت من شق الباب فوجدته امامها وقد بدا التعب على وجهه وتلطخت بدلته بالتراب وبدا عليه انه لم يغتسل منذ مدة بقيت تفرك عينيها وتفتحهما عساها تصدق انه بحق امامها سألته محاولة استيعاب الامر:
- حسين؟
- اجل حسين ألم تشتاقي الي أم اصبحت لا تعرفينني ؟
- بلى اشتقت لك حتى ذاب قلبي توقا لرؤيتك ادخل

اغلقت الباب فالتفت اليها فضمته وتعانقا بحرارة شوق دام لسنوات قالت بدموع حارة غشيت عيناها:

- هل حقا عدت ؟ هل حقا أتيت لتبقى بجانبي مجددا الى الابد ولن ترجع الى الجبهة؟ هل انتهت الحرب؟
- لا يا زينب تمهلي ان الحرب لم تنتهي وانا لم اعد لأبقى معك الى الابد انما اتيت هاربا في فرصة لا تعوض كي اراك وارى اهلي

قالت وقد تغيرت ملامح وجهها وعادت الى حزنها:

- حقا؟ أيعني ان عذابنا لم ينته وفراقنا لن ينطوي؟
- بلى ليس بعد اصبري يا زينب واحمدي الله لانني استطعت ان آتي وأراك
- حمدا لله ادخل لما تقف هنا؟ اجلس وارتاح وضع حقيبتك جانبا
- لقد تعبت من السفر بقيت يوما كاملا كي اصل وعلي ان اعود فجر هذا اليوم
- ماذا؟ ألم تأت في اجازة لتبقى اياما هنا؟
- أي اجازة واي ايام؟ قلت لك اتيت هربا لاجلك وتقولين ابقى بجانبك اياما؟
- ولماذا لا تأخذ اجازة
- الحرب على اشدها وممنوع علينا أخذ اجازات
- لم تقل لي كيف اتت اليك هذه الفرصة
- الوقت ليس مناسبا للحديث الآن أين والداي وابنتنا ؟
- انهم نائمون جميعا
- انني أتوق لرؤية ابنتي كيف اصبحت
- حسين لا ادري كيف لك ان توقضهم في وقت كهذا اخاف ان تصدمهم او ان يحصل لهم شيء ما من وقع الفرح على قلوبهم فقد تعودوا جميعهم غيابك وعودتك ستكون بمثابة الصدمة لهم
- أتعنين ان ليس علي رؤيتهم او ايقاظهم؟
- لا ابدا لكن تمهل لقد اشتقتك

اقتربت اليه وضمته وحضنها الى صدره حتى عصرها بين ذراعيه وقبّل رقبتها متنشقا ريحا...قائلا:

- وأنا أيضا اشتقتك واشتقت لريحك واشتقت البيت والجلوس اليك والى والداي والاستيقاظ ليلا على صوت بكاء ابنتنا وفزعا منه اشتقت التحدث اليك لساعات والخروج معك ومشاركتك كل شيء متى سيعود كل هذا؟

اختلطت دمعاتها بابتسامات الفرح بتذكرها احلى اللحظات وضعت يداها على صدره وقالت:

- لقد كبرت ابنتك الآن ولم تعد تستيقظ باكية ...ابقى بخير يا عزيزي انا سأظل أدعو الله ان تعود تلك الايام
- يا رب آمل ان تعود لحظات الفرح وايام الوصال
- يا رب
- زينب انني جائع ألديك شيء آكله
- اجل عزيزتي تعال معي الى المطبخ

دخلت الى المطبخ واشعلت الضوء ووضعت الاكل يسخن على الموقد ...قال لها وقد جلس على الكرسي الى الطاولة:

- كيف حال عملك كيف تسير الشركة وكيف هم حرفائنا؟

قالت بعد تردد:الشركة بخير يا عزيزي اطمئن حرفائنا لا يزالون اوفياء الينا وامور الشركة تسير بخير

- وماذا عن الازمة النفطية؟
- بالعكس ليس لدينا ازمة ارتفاع اسعار النفط يعود علينا بالخير لأن الاقبال من قبل الشركات المستوردة من الدول غير النفطية تتزايد رغم الاسعار الباهضة الا انهم يقبلون باستيراده
- حمدا لله يعني كل شيء بخير
- اجل
- الا تتعرضين لمشاكل؟
- لا ابدا عزيزي تفضل كل
- شكرا عزيزتي

اخذ قطعة خبز وضعها في فمه وما إن بدأ يأكل حتى اقتربت والدته من الباب قالت بزهو:

- امي اماه كيف أنت؟
- حسين

ضمته الى كتفها وقد انفجرت عيونها بكاء من الفرح فقال:

- امي اشتقتك كيف انت؟
- كيف انت يا حبيبي وقرة عيني كادت تعمى عيناي من شوقي لرؤيتك
- سلمت عيناك يا امي ها قد عدت ورأيتني

لم تكد تتركه امه حتى اتى أباه على عكازه مناديا:

- حسين ابني هل اتيت؟

فإرتمى حسين على يديه يقبلهما حتى وقع العكاز ...ضمه اباه الى صدره واخذ بالبكاء وقال:

- كيف حالك يا ابنتي؟
- كيف انت يا ابي؟ اشتقت اليك كثيرا اراك اصبحت تتكأ على عكاز
- أي والله يا ابني لقد تعرضت لوعكة جعلت من رجلاي لا تقويان على المشي بغير هذا العكاز يا ابني

قالت امه:اعدت لتعيش معنا كالعادة يا بني؟ مؤكد انك لن ترجع الى الجبهة

التفت اليها وتنهد وقال بحزن : لا يا امي لا لقد اتيت هربا لرؤيتكم وسوف اعود فجرا اليوم

- ماذا؟

قال اباه: ألا تبقى عندنا حتى يومين فقط يا ابني؟ ألم تأت في اجازة؟

لا يا ابي الاجازات ممنوعة والبلد في وضع كهذا

ابقى معنا يوما فقط يا بني فقط واحدا لقد ذبلت اعيننا جميعا من البكاء على فراقك وأرهق ارواحنا الشوق ابقى ارجوك

أجهش اثنتيهما بالبكاء ووضعت زينب جبهتها على ظهر حسين وضمت خصره بيديها حتى أحس ببزته تبتل بدمعها...امسك دموعه وضم وجه زينب لصدره وقال لأبويه:

- يا ابي يا امي كفا عن البكاء فذلك لن ينفع ولن يغير شيئا حسنا سأظل معكما لمساء اليوم وأرحل قبل الليل

ارتموا عليه وعانقوه باكين..قال:

- استميحكما عذرا علي الذهاب لغرفتي لأرتاح منذ يومين لم أنم
- حسنا عزيزي تصبح على خير

دخل الى غرفة النوم مع زوجته وأغلق الباب:

- أبمكانك ان تخبرني كيف أتيت؟ وكيف وصلت الى هنا؟ولماذا اتيت وانت لم تحصل على اجازة؟ كيف حصل هذا يا حسين لا اصدق !
- اشتقت اليكم كثيرا اشتقت ان ارى ابنتي التي لم اعرف كيف اصبح شكلها منذ قرابة الثلاث سنوات ولم احصل على اجازة ولو ليوم تعبت ومللت ....اردت رؤيتكم مهما كانت العواقب ربما اموت بأية لحظة وانا لم أركم ولم ارى ابنتي لماذا؟ لماذا اضحت حياتي هكذا دون ان يكون لي ذنب في كل ما يحصل؟ لا تلوميني على ما فعلت يا زينب فما أردته فعلته ولا تهمني النتائج
- في هذه الدنيا لا احد يدفع الثمن عدا الابرياء لكن في ذلك خطر على حياتك يا حبيبي وانا اخاف عليك
- مهما حصل لي سأتحمل مادمت قد تحملت البقاء في الجبهة كل هذه السنوات...لقد تركت رقية في اللفة وها قد اصبحت تمشي على قدميها

- اجل واصبحت تنطق بعض الكلمات لكنني دائما أتمنى ان تناديك بابا فتحملها وتضمها انها بحاجتك.
- كم هي جميلة وهي نائمة لقد كبرت ليت تلك اللحظة تأتي

قبلها ثم التفت الى زينب وقال:

- لكن زينب ما به والدي؟ لاحظت ان صحته متدهورة
- اجل انه مريض بعض الشيء
- ماذا لديه؟
- بعض الاوجاع في ظهره لقد جلبت له الطبيب الى اليست وقال انه يحتاج الراحة
- فليحفظك الله يا زينب انت امينة بيتي في غيابي
- فليجعلني الله بقدر هذه الامانة
- كيف مرت عليك هذه السنوات؟
- مرت كيوم بائس كئيب لكنه طويل ولا زلت انتظر نهايته
- سينتهي مهما ازداد طولا يا عزيزتي

وضع وجهها بين كفيه "لقد اشتقتك"

- وانا اكثر يا عزيزي

اقتربت منه واستنشقت ريحه

- كم اشتقت ريحك وانفاسك ولمساتك واشتقت لضمك ووضع رأسي على صدرك

حملها الى السرير وسهر واياها حتى اخذهما النوم...

استيقظ صبحا فأخذ فطوره مع عائلته واجلس ابنته بجانبه يطعمها بيده ...سأله والده:

- كيف هي حياتك في الجبهة يا بني؟
- انها عادية لكن المعارك تحتدم والاشتباكات تشتد كنا في البداية نقاتل بأريحية مع اوقات استراحة نأخذها ثم اصبحنا ننام ببذلاتنا العسكرية واحذيتنا وبدل الست ساعات من نوم اصبحنا ننام فقط اربع ساعات في اليوم لا انتصارات في صفوفنا ولا انتصارات في صفوف ايران...لا يزال كل منا يحقق الخسائر في جبهة الثاني دون تقدم في أي من الجبهتين ...مؤخرا شنت ايران عملية "خيبر" لقد دامت هذه العملية شهر و خمسة ايام من 14 فبراير وحتى 9 اذار ...اجتاحت ايران منطقة الاهواز واجبرت قواتنا على مغادرة الجزر الايرانية زوهو ما كان بمثابة الكارثة لقواتنا وخسارة استراتيجية فادحة لها...لقد كانت ايران تحاول السيطرة على طريق بغداد- البصرة ودون ان تقيم اعتبارا للتصدي الذي كان قويا من طرف قواتنا ردا على عمليتي فجر 5 و6 الفاشلتين واذا بها تفشل مرة اخرى ...لقد خسرت رفاقا كثيرين في هذه المعركة الشرسة ...لم تمضي بضعة ايام على دفني لرفاقي قبل مجيئي الى هنا...

قال والده:

- افهم من كلامك ان الاوضاع تسوء؟
- اجل كثيرا لا نعلم الى اين تأخذنا هذه الحرب ومتى تراها تنتهي
- فليجعل الله القادم خيرا يا نور عيني
- امين يا امي

اكمل الفطور وجهز حقيبته وارتدى بزته للانطلاق ...كانت زينب تساعده على ارتدائها قال لها:

- لا يمكن اتن تتصوري مدى سعادتي برؤيتك ورؤيتي لابنتي
- وانا ايضا حمدا لله انني رأيتك اؤكد لك ان رؤيتي لك ستعطيني طاقة كبرى لمواصلة المقاومة والصمود في غيابك اعدك ان احافظك على والديك وارعاهما وابنتنا بكل ما لدي

قبل جبهتها مبتسما:"اعرف جيدا من تزوجت"

وقفت امام الباب وقام بتوديع اهله ثانية تماما كما فعل منذ ثلاث سنوات تلك الوقفة التي لا يدري فيها أله عودة تليها ام لا .

الصقت جبهتها بصدره واطلقت العنان لبكائها فنظر اليها بحزن:

- زينب ؟ أتبكين؟ كفي عن البكاء ارجوك اعلم انك قوية وستصدمين اطمئني سأكون بخير
- عدني انك ستبقى بخير ولن انقطع عن سماع اخبارك
- اعدك سأفعل واعدك ان هذه الحرب ستنتهي يوما وسنعود كما كنا صدقيني
- سأنتظر مراسلاتك بلا ملل

تملص من بين ذراعيها ووالداه يبكيان وابنته واجمة تنظر اليه بغرابة وليست تفهم شيئا مما يحصل قبل جبهة والدته ويد أبيه ورفع ابنته بين يديه وقال:

- رقية عزيزتي اطيعي امك ولا تتعبيها

غادر البيت واغلق الباب وقد احترق قلبه قهرا وندما على مجيئه ونزل مسرعا من العمارة واخذ طريق العودة الى الجبهة احترق قلبه مرارة على ما اصبح عليه وضع اهله في غيابه

.....

وصل الى الجبهة ليلا فوجد زملائه نائمين في الخيمة دخلها واقترب الى عبد الجليل وايقظه:

- عبد الجليل عبد الجليل استيقظ يا اخي
- من؟ حسين؟ اعدت؟
- اجل
- متى وصلت؟
- للتو انني متعب جدا سأنام الى جوارك
- حسنا تصبح على خير

كان الصباح وقد استيقظ الجنود للالتحاق بصفوفهم اتى عبد الجليل لحسين وقد كان بصدد ترتيب اغراضه وتجهيز سلاحه:

- حسين
- صباح الخير عبد الجليل
- صباح النور حمدا لله على عودتك بالسلامة
- شكرا
- حسين قائد فرقتنا يريدك
- حقا؟ لاجل ماذا؟
- لم يقل قال فقط ان عليك ان تكون عنده فورا
- حسنا سأفعل

....

قال حسين:

- تحياتي سيدي
- حسين؟
- قال لي عبد الجليل انك طلبتني
- اجل
- هل لي ان اعرف لماذا طلبتني؟
- اجل طبعا
- حسين اخبرني عندما اتيت الجبهة كنت تعرف القوانين هنا؟
- طبعا
- وكنت تعرف ان كل من يخالف هذه القوانين سيتعرض لعقوبات مهما كانت رتبته العسكرية وتسميته في الجيش؟
- اعلم ذلك
- وتعلم طبعا انك اتيت الى هنا للدفاع عن وطنك ونصرته وبالتالي لا للتهاون ولا للتهرب او التقاعس
- اعلم يا سيدي
- وهل ظننت اننا متغافلون عن جنودنا هنا اظننت اننا لن نعلم بتحركاتكم؟او نلحظ مخالفاتكم؟
- اعلم ان ما ارتكبته خطأ لكن...
- لكن ماذا؟ لكن ماذا يا سيد حسين؟ ما فعلته غير معقول ولا يطاق لقد تجاهلت المؤسسة العسكرية بقوانينها واعتديت عليها بل على نفسك بما فعلت...لقد تصرفت تصرفا كشاب في العشرين وهل اذا اشتقت لاهلك تترك الجبهة هاربا دون ان يعنيك وطنك ولا الجهاد ولا محاربة العدو فررت لتذهب اليهم وتلاقيهم وكأنك لست ملتزما بدفاعك عن الوطن ولا بالقتال في الجبهة ولا بأي شيء كيف فعلت ذلك؟ من لا يقاوم مشاعره وعواطفه لن يقاوم عدوه
- سيدي لقد اشتقت لهم ماذا افعل؟ والدي مريض ووالدتي مسنة وزوجتي وحيدة معهم ولم احصل على اجازة منذ قدومي الى الجبهة منذ وقت يقارب الاربعة سنوات
- وهل وحدك تملك عائلة تفكر بها؟ أوليس لنا نحن ايضا أهالي وقرى تركناها ؟ هل عدنا اليها هاربين؟

- لم اهرب
- وهل انت فوق القانون؟ بلى هربت وستعاقب ام ظننت انك ستعود الجبهة كما كنت؟ هل دخول الجبهة مثل مغادرتها؟ لا يا سيد حسين بتاتا
- لكن سيدي
- سوف تعاقب بالاشغال الشاقة لمدة اسبوع مع مواصلتك القتال في الصفوف الامامية
- سيدي
- لا اريد كلمة ستبدأ من اليوم زهير...زهير...
- احترامي سيدي !
- خذ حسين يا جندي وأره ماذا سيفعل ابتداء من الان
- حاضر سيدي تفضل معي سيد حسين

قضى حسين اسبوعا كاملا يذوق الويلات في الاعمال الشاقة التي فرضت عليه مع وجبة واحدة في اليوم وتنظيف المكان للمقيمين فيه وترتيبه بعد ان قال له الضابط:

"سأكون رحيما مع ولن اطردك" ...كان يعمل وهو يقول في نفسه"ليتك لم تكن رحيما معي وطردتني كي ارتاح يا رب اجعل الفرج قريبا وارحني من هذا الوضع وحدك من تملك امري وتدري ما في نفسي يا رب لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقد ارهقت نفوسنا من هذا الوضع"

.....

ايار 1984

قال ابا حسين:

- بعد ان قامت الطائرات العراقية بضرب سبعة سفن بالقرب من جزيرة خرج هاهي ايران ترد عليها بهاجمة ناقلة نفط سعودية في اول الشهر واخرى قرب البحرين يوم امس
- هاك كأس الشاي يا ابا حسني
- شكرا ... لقد تحولت هذه الحرب الى حرب خليجية لا بين دولتين فقط ان الحال يسوء اكثر ودائرة الحرب تتسع في كل مرة ونحن مع بداية كل عام جديد نقول لانفسنا "جعله الله العام الاخير في هذه الحرب...اننا نبيع انفسنا وهما لا اكثر"

كانت زينب جالسة الى الة الخياطة تعمل باجتهاد بعد ان خلقت فيها رؤية حسين شعلة امل واعادت قلبها الى الحياة...كانا منشغلين عنها...وهي تقول في نفسها"سأعمل وسأصمد لاجلك يا عزيز قلبي ونور عيناي فبعد عودتك سنكمل حياتنا سويا وسننسى كل ما حصل وسيبقى كل ما عشناه وتعرضنا اليه مجرد كابوسا مزعجا سننساه ونواصل الحياة ونبتدأ من جديد كي نعوض عن خساراتنا ونحيا مع اولادنا بسلام وسعادة ...سأعمل وسأصبر وسأبقى لاجلك يا حبيبي...فقط عد الي وسأنسى كل ما حصل"

اخذت زينب الثياب لتضعها في كيس ثم ارتدت ثوبها لتوصل الطلبات الى بيوت اصحابها قالت:

- امي انا ذاهبة الى بيت صاحبة هذا الطلب انه بعيد قليلا وربما أتأخر انتبهي الى حبيبتي رقية
- حسنا يا ابنتي حاولي ان تعودي سريعا وانتبهي الى نفسك في الطريق بغداد ليست آمنة
- اطمئني يا امي سأكون بخير

كانت تمشي بسيارتها في شوارع بغداد وترى الوجوه الواجمة الخائفة المترقبة لاي شيء مفاجئ بأية لحظة ...

كانت تسمع صوت صافرات الانذار وصوت الرصاص البعيد ومع كل دقيقة يصبح الشارع فارغا اكثر ومخيفا اكثر ...بعد الغروب عادت الى البيت وما ان فتحت الباب حتى وجدت حماتها بانتظارها قلقة عليها قالت لها :

- لماذا عدت متأخرة يا ابنتي لقد تأخر الوقت كثيرا...خفت عليك
- البيت الذي اوصلت له الفساتين كان بعيد المسافة وقد استقبلتني سيدته وضيفتني شايا لان عملي اعجبها لذا تأخرت
- طيب حمدا لله على سلامتك هل اخذت النصيب الكافي من المال؟
- مهما كان المبلغ كبيرا يا خالتي فلن يكون كافيا فبالاضافة الى المصاريف اليومية لدينا ادوية عمي وحصصه العلاجية ومصارفي ابنتي الدراسية ...هذا فضلا عن ارتفاع اسعار المواد الغذائية والاولية ...لقد اصبحت افكر في بيع سيارتي كما فعلت مع سيارة حسين
- ماذا؟ لا تفعلي ذلك انت بحاجتها ثم هوني عليك يا ابنتي فسيكون الله في عوننا ان الله كافي المحتاجين ومجيب السائلين عله يرزقنا من حيث لا نحتسب
- ونعم بالله...هل حال عمي بخير؟
- لا والله يا ابنتي وضعه متغير كلما اشرف على ان يطيب وظننت انني سأفرح سرعانما تدهور صحته من جديد
- ألم يأت اليه الطبيب؟
- لا سيأتيه غدا صباحا
- حسنا اذن سأدخل لغرفتي واغير ثيابي ...ام...ام
- ما بك يا بنيتي؟ ماذا جرى لك؟

دخلت ركضا الى الحمام واغلقت الباب فلحقت بها ام حسين صارخة:

- زينب زينب ما بك؟ ماذا اصابك؟

خرجت بعد دقائق وقد اصفر وجهها وهي تجففه بالمنشفة مرهقة:

- ما بك يا زينب؟ اخبريني
- لا ادري
- هل تقيأت ؟
- اجل اشعر بأن بدني مرهق منذ صباح اليوم والدوار يصيب رأسي ولا ادري ما علتي
- اتراك مريضة؟
- لا ادري
- لماذا لا تزورين طبيبا؟
- ان المال الذي احصل عليه يجب ان يكفينا لأكلنا ولباسنا ومستلزماتنا اليومية ولشراء ادوية عمي
- مهما يكن يا ابنتي يجب ان تزوري طبيبا اذا شعرت بأي تعب او ارهاق وهل تتكرين نفسك عليلة لاجل ان تخبئي المال؟ اذهبي الى الدكتور لتعرفي ماذا بك لعل الهل يعوضك عما

تصرفينه من اموال لا تفكري من هذه الناحية يا عزيزتي انت امانة لدينا ولن ارضى الا ان تكوني بخير

- سأدخل الى غرفتي لارتاح قليلا علني اقوم بخير
- حسنا اذهبي

دخلت الى غرفتها وقد تملك التعب جسدها حتى اخار قواها فلبست ثوب نومها ووقفت ناظرة الى المرآة فاذا بوجهها شاحب قد بدا عليه الذبول واحاطت بعينيها هالات الارهاق جلست الى فراشها وضمت اليها بصورة "حسين" وتلك التي تجمعهما ليلة زفافهما ليلة ابتسما جاهلين ما تخبأه لهما الايام اثر ذلك الزواج...ليلة اتفقا على الا تفارقهما عذابات القدر وألام الزمن وان يبقيا على اجتماعهما بالرغم عن كل الظروف...تأملت تلك الصورة حتى تفطنت الى دموعها تنزل على خديها حزنا على ما لم يتوقعاه ولم يكن في حسبانهما...

تمددت على فراشها وقد اخذتها غفوة النوم والصورة بين يديها وقد رأت نفسها واقفة ب الى جانب حسين وهو مبتسم اليها بزيه العسكري وسلاحه في يده وهو يتقدم نحوها وقد قال لها :

"يا زينب يا حبيبتي ويا سيدة بيتي ويا صندوق اسراري انني اودع لديك امانة بين يديك احفظيها وحافظي عليها الى حين عودتي واصبري الى ان يهبك الله اياها فعساها تكون فأل خير علينا وتأتي معها برزقها وخيرها فتكون وجها جالبا للسعادة الى بيتنا ونطوي بها ايام مآسينا حافظي عليها يا زينب ...انها امانتي لديك"

استيقظت مذعورة وقد ظنت رؤياها حقيقة:

- حسين حسين

نهضت صارخة وقد ارتعدت من رؤياها "تراه بماذا كان يبشرني يا ربي ؟ "

...

كان صباح يوم جديد نهضت الساعة السابعة وغيرت ثيابها لتغادر بيتها متجهة نحو عيادة الطبيب ...كانت قد وصلت عند الساعة الثامنة وقضت ساعة في قاعة الانتظار ثم دخلت اليه وقد بدا لها في بدلته البيضاء وادواته الطبية المعقمة والمرتبة في مكانها قد زادتها ارتباكا وخوفا من نتيجة الفحص قال لها:

- اهلا بك سيدتي تفضلي اجلسي
- صباح الخير دكتور
- كيف حالك سيدتي؟ هل انت بخير
- لو كنت بخير لما اتيت لزيارة طبيب
- اجل صحيح مم تشكين سيدتي؟
- اشعر بدوار دائم في رأسي مع التقيؤ ووجع في جسدي حتى اصبح احيانا لا اقوى على الحركة وأعاف كل رائحة
- حسنا تعالي معي لافحصك

وبعد بضع دقائق اذا بها تسمع الدكتور يقول:

- مبروك سيدتي انت حامل

اغمي عليها ووقعت مطروحة ارضا :

- سيدتي سيدتي ما بك؟

اجلسها على الكرسي ورشها بالمياه وهو يلطمها على وجهها حتى شهقت واستفاقت:

- سيدتي هل انت بخير؟ ما الذي جرى لك؟
- انا اسفة دكتور لم اتمالك نفسي من سماع الخبر فاغمي علي

فأصلحت جلستها وجلس الطبيب على كرسيه وابتسم

- أكان هذا من شدة سعادتك بالخبر؟

نظرت اليه صامتة وامتنعت عن اجابته وقد امتقع لونها وامتلات عيناها بالدموع لحالها قال لها:

- تفضلي هذه وصفة لمسكنات سوف تمنع عنك آلام الرأس ان كل ما تتعرضين اليه هو اعراض حمل لا اكثر فليحفظك الله وليحفظ الجنين
- شكرا دكتور

وقفت متثاقلة وقد ثقلت قدماها حتى اضحت تجرهما بصعوبة للمشي وقد غادرت عيادة الطبيب مذهولة وقد غمرها حزنها وطغت عليها حيرتها بعد ان ضاقت حياتها من كل المآرب فتراءت لها هواجس مرعبة كيف لها ان تواصل الحياة على هذا الشكل ؟ كيف لهذا الرضيع ان يأتي بلا اب؟ كيف له ان يعيش في ظروف مزرية تمر بها عائلته؟ كيف له ان يولد في حرب؟

لطالما خافت الامهات عن اولادهن اذا ولدوا ابناء حرب ما ذنب طفل رضيع ان يكون ابن حرب ويعيش احدى ضحاياها ويمكن له ان يموت جراءها فهي حرب بأجل غير مسمى لا احد يعلم فيها مصيره كيف لها ان تتقبل ان يكون ابنائها ابناء حرب او ضحايا لحرب دائرة لا ذنب لهما فيها غير أنهما ولدا خطأ تزامنا معها...عادت لبيتها وقد غمر قلبها الغم ولم تعد تقدر على الكلام دخلت الصالون وجلست بتثاقل وتعب على الاريكة المحاذية للتلفزيون اتت حماتها وحيتها بابتسامة:

- عزيزتي زينب اتيت ؟ حمدا لله على سلامتك
- اهلا يا امي اجل اتيت
- ماذا فعلت عند الطبيب اعرفت ما مرضك؟ هل اعطاك دواء ؟
- لا داعي لدواء فمرضي ليس له علاج
- يا ساتر يا رب ما بك؟ بماذا انت مريضة؟ مما تشكين؟ ماذا قال لك الدكتور اجيبيني؟
- انني...
- ماذا؟
- انني حامل يا امي
- ماذا؟ كيف حصل ذلك؟ ومتى؟
- اظن ان تلك الليلة التي اتى فيها حسين الينا كانت السبب
- هل ضاجعك؟

أومأت برأسها قائلة "اجل" وقد احمرت وجنتاها ووضعتوجهها بين يديها واجهشت بكاء.

- وهل يمكن للحمل ان يحصل بهذه السرعة؟
- اجل يا خالة ها قد حصل ولست ادري ما افعل لا لا يمكن لهذا الصغير ان أتي
- استغفري الله يا ابنتي اذا كانت هذه مشيئة الله فكيف ترفضينها؟
- كيف له ان يأتي في ظرف كهذا؟ وطنه في حالة حرب وعائلته تعاني الفقر والعوز والحاجة وامه تعمل خياطة وأباه في الجبهة كيف له ان يأتي ؟ كيف سيعيش؟ وكيف عساني اعتني بأمره؟كيف سيصدق الناس انه ابن حسين وهو لم يعد من الجبهة منذ اربع سنوات؟
- هوني عليك يا ابنتي من خلقه ولن يتركه بلا عناية في أي شهر انت الآن؟
- قال الطبيب انني قاربت الدخول في الشهر الثالث
- اذا انت في فترة حساسة من حملك وعليك بالراحة والاعتناء بنفسك كثيرا
- اين لي بالراحة يا امي واذا بقيت في البيت بلا عمل انى لنا ان نأكل ونعيش
- لم اقل لك اتركي عملك يا زينب فقط ارتاحي وتجنبي اجهاد نفسك منذ هذه اللحظة سأتكفل انا بأخذ رقية الى المدرسة.
- لا يا امي لا تتعبي نفسك وهل سأبقى في الفراش لا اصنع شيئا حتى شهري التاسع؟ لا اريد ان اتعبك يكفيك عنائك وما تقاسينه في الاعتناء بعمي
- فليحفظك الله يا زينب وليجعل حملك هذا ينتهي بسلامة لكن اهتمي بنفسك ومنذ الان سأحترس لك اكثر.

ضمتها قائلة: فليقبك الله لي يا امي.

....

"انها لمأساة ان يجهل الانسان ماذا سيحدث لا اقول غدا وإنما في اللحظة القادمة"
- نوال سعداوي -

رأت زينب حماتها في حيرة فبادرتها بسؤالها:

- ما بك يا امي ؟
- احترت في امري يا ابنتي
- لماذا؟
- ان صحة عمك تتدهور اكثر فأكثر يا بنيتي ولم يستفد من حصص الطبيب وأدويته لقد اصبحت أجهل بماذا يمكنني ان افيده وماذا لي ان اقدم له؟
- يا رب يا شافي ماذا بامكاني انا ايضا ان اعطيه اكثر مما يمنحه الطبيب؟ فليعافه الله وليغمره بالشفاء قريبا
- امين
- ما رأيك ان نأخذه الى المستشفى عله يتلقى عناية اكثر؟
- ومن اين لنا ثمن بقائه في المستشفى يا بنيتي ؟
- لا ادري ألا نسأل مساعدة احد الجيران يا خالة

- و من يملك المال في ازمة كهذه حتى يقوم باعطائك ومساعدتك ...لقد اضحى الكل محتاجا...فليساعدنا الله لا تقلقي يا بنيتي ان الله لا يترك احدا انه راع للجميع
- ونعم بالله لكن متى سأبقى اسمع هذه الكلمات دون ان يتغير شيء من حالنا ؟
- لا ادري علينا امن نتيقن دائما ان دوام الحال من المحال
- خالتي هل لي ان آخذ رأيك بشأن موضوع؟
- ما هو با ابنتي؟
- ما رأيك اذا قمت باجهاض من في بطني؟
- ماذا؟ اجهاضه؟ ولماذا تفعلين؟
- انني خائفة عليه يا امي؟
- ومما تخافين عليه
- هذا البؤس الذي نعيشه وهذه الاوضتاع الصعبة في البلاد والميؤوس من تحسنها كيف له ان يعيش فيها؟ وانى له ان ياتي وحالنا هكذا؟
- وماعلاقة بؤسنا واوضاع بلادنا بولادة ابنك؟
- كيف له ان يولد ويعيش هكذا يا اماه ...ماذا اذا اشتدت المعارك اكثر إلى حين ولادتي كيف سأذهب الى المستشفى ؟لقد اضحت حياتنا اخطر بعد وصول المعارك الى المدن لست مستعدة ان اثكل ابنا في عمر اشهر معدودة
- لا سمح الله لا تقولي هذا يا ابنتي ولا تفكري بهذه الطريقة..المستشفيات تبقى على عمل حتى في حالة الطوارئ الا اذا قصفت او هدت لا سمح الله.
- يا امي انني اتعبتك معي انك تعتنين بعمي الذي يعيش حالة صحية عسيرة واضيفت اليك مهمة الاعتناء بابنتي واخذها الى المدرسة كل يوم بعد ان لم اعد اقدر على ذلك بسبب الحمل اما بعد ولادتي لهذا الجنين سيزيد تعبي وتعبك وستزداد مصاريفنا اكثر
- زينب كفي عن هذا ما كل هذا الذي تقولينه؟ ان ما افعله واجبي ولا شيء يتعبني انك امانة ابني حسين هنا ولن اتركك او اتخلى عنك حتى عودته والجنين الذي في احشائك هو قطعة من ابني حسين لن اسمح لك بقتله مهما فعلت ان اوضاعنا المادية وكل ما يحصل معنا هو مشيئة الله وقدره ارجوك لا تخلطي الامور ولا تحرمي ابني من رؤية ابنه على يديه عله يكون صبيا جميلا يحمل اسمه واسم ابيه...لا تحرمينا هذه الفرحة فلطالما انتظرناها....اما عني فلا شيء يتعبني عدا غياب ابني عني اعاده الله لي سالما معافى حتى تقر عيني برؤيته قبل منامها...صدقيني ستزداد طاقتي ويسعد قلبي بولادة هذا الجنين الجديد
- سلامتك يا امي فليرجعه الله سالما وليكتب لك العمر المديد
- فليحفظك الله يا زينب وليحفظ من في بطنك ادفعي عنك هذه الافكار السيئة وثقي بالله انه لا يخيب احد وثق به...ربما يكون هذا المولود سببا لعودة الفرحة الى بيتنا.
- ربما..لقد تعبت من فراق زوجي ومن هذه الحرب لذا اصبحت اهذي
- عزيزتي الحرب والفراق قدر الله الذي لا قدرة لنا على رده ادخلي غرفتك وارتاحي بالذكر وسيصرف الله عنك هواجسك هذه
- عن اذنك يا اماه

كانت ستذهب الى غرفتها عندما رن جرس البيت قالت زينب:

- من تراه يأتينا في هذه الساعة؟
- لا اعلم سأذهب وافتح الباب
- مرحبا ام حسين
- ابو يحيى؟
- اجل انا بعينه
- اهلا يا ابني متى عدت من الجبهة؟حمدا لله على سلامتك
- شكرا يا خالتي لقد عدت عشية امس الى بغداد
- تفضل يا ابني ادخل لماذا تقف خارجا؟
- شكرا خالتي ام حسين
- اهلا ابو يحيى
- زينب؟ اهلا يا اختي كيف انت؟
- حمدا لله على سلامتك وعودتك بخير انا بخير الحمدلله
- شكرا سيدة زينب
- تفضل سيد ابو يحيى اجلس
- هل احضر لك قهوة يا ابني
- اجل من فضلك يا ام حسين
- اخبرني سيد ابو يحيى كيف حال اهلك وزوجتك وابنائك كمؤكد انهم قد فرحوا بعودتك
- اجل لقد فعلوا
- اعودتك هذه نهائية ؟ ام انك في اجازة؟
- انها اجازة بعشرة ايام فقط اما عودتي النهائية فلا تزال بعيدة المدى
- جيد...
- سيدة زينب لقد رأيت زوجك السيد حسين في الجبهة
- حقا؟ كيف حاله؟ هل هو بخير؟ ماذا قال لك؟
- اجل انه بخير وهو يبلغك سلامه اليك ولاهله جميعا
- فليسلمه الله من كل شر ومكروه
- امين لقد اتيت لك اليوم لانه قد بعث اليك معي رسالة اوصاني ان اعطيها اليك بيدك تفضلي خذيها
- حقا؟ اخبرني اين هو؟ كيف يعيش؟ طمني ارجوك
- انهم الان على الحدود لكنه بخير لا تقلقي فقط ضراوة المعركة وشراسة المواجهات تتعب الجنود على كل ستجدين كل ما تريدين معرفته في هذا الظرف
- شكرا يا اخي شكرا جزيلا لك

اتت ام حسين قائلة"تفضل قهوتك يا ابني"

- شكرا خالتي ولا شكر على واجب يا زينب ان هذه الرسالة امانة من اعز اصدقائي وقد وصلتك علي ان اذهب الان
- اشرب قهوتك اولا يا اخي

احتسى فنجان القهوة برشفة واحدة وحياهم وغادر

قالت ام حسين"ما الذي في هذا الظرف الذي اتاك به جارنا يا زينب؟

- انها رسالة من حبيبي حسين يا اماه
- حقا؟ اقرئي لي هذه الرسالة سريعا يا زينب ارجوك
- يقول حسين :

"مرحبا والداي العزيزان ارجو لكما الخير والامان وارجو ان يعم اللسلام بغداد قريبا كي نعود الى ديارنا واعود اليكما وانعم برؤيتكما ورؤية عزيزة قلبي زينب وريحانتي رقية ...لقد عوقبت بالاعمال الشاقة والساعات الاضافية اثر عودتي الى هنا لانني خالفت القانون ولذت بالفرار لساعات دون اذن ولكنني الان عدت الى الجبهة مع زملائي ...الاوضاع سيئة ولن تتحسن ابدا لان الجيشين يقاتلان دون تحقيق أي انتصار فقط الهزائم تتالى لا غير...لا تقلقا علي انا بخير وقد تعودت على الروتين اليومي من القتال وقلة النوم والاكل...انتبهوا لانفسكم جميعا واخبروني بمستجداتكم...

في امان الله...قبلاتي الحارة لكم جميعا"

ضمت الى صدرها الرسالة وقالت :

- كم احبك يا نور عيني ليتك اتيت انت بدلا عن هذه ال رسالة
- اعطني الرسالة يا زينب ...اه ما اطيب ريحك يا عزيزي متى تأتي الي لاكمل عمري بسلام بقربك...زينب اعطني كل رسائل حسين اريد اعادة قراءتها
- حاضر يا امي اقرئيها متى شئت لكن لا تبكي ارجوك ها قد علمت ان حسين بخير وسيعود قريبا

كان عليها اجابته برسالة اخرى...فأخذت الورقة والقلم وكتبت له:

"حبيبي حسين لن يطول كلامي هذه المرة فقد طمأنتني عندما اخبرتنا انك بخير بعد ما تعرضت له من العناء والشقاء بسبب مجيئك الينا وحمدا لله انك قد عدت الى الجبهة وتم الصفح عنك ...أسأل الله ان تبقى بخير حتى لحظة عودتك لنا اما عنا فنحن بخير رغم كل الصعوبات اليومية والمعيشية التي نلاقيها وبما انك دعوتني لاخبارك بالمستجدات فأنا سافرحك بأن هناك جنين يتحرك في بطني قد خلق ليلة اتيت الينا هنا في بغداد سيولد بعد اشهر أعدك ان احافظ عليه واربيه جيدا الى حين عودتك كي تراه وتلمسه وتربيه معي عدني ان تبقى بخير"

- حبيبتك زينب -

..

اكملت السطر الاخير من رسالتها الى زوجها ونامت بجانب ابنتها وقد جف دمعها على وسادتها فرحا وشوقا للقاء

...

ناولت ام حسين كأس الشاي الاخضر لزوجها وقالت بتنهيدة عميقة:

- مسكينة هذه الفتاة هي وابناءها كم اخاف ان يستشهد ابني في الحرب فيجد اولاده انفسهم يتامى انهما لم يريا شيئا من الدنيا ...ما ذنبهما في هذه الحرب حتى يكملا حياتهما بلا اب يحميهما وينفق عليهما للعيش ويرافقهما في دروب الحياة ويكون سندا لهما اذا وقعا يساعدهما على الوقوف ؟ ماذا كان ذنبهما كي يخسرا والدهما بسبب حرب لا ناقة لهما فيها ولا جمل أي عدل هذا؟

واجهشت بالبكاء ....فقال ابو حسين كاتما لوعدته محاولا مواساتها :

- اهدئي يا ام حسين وضعي ثقتك بالله ما خاب من أمل به ...في الحرب دوما الابرياء هم من يدفعون الثمن لا عدل في الحروب ...دوما سيخسر الابرياء كل ما لديهم...كي ينعم صناع الحروب بالثراء...ثم ان لو لكان لدولتنا قليل من العقل والرصانة وشيء من الحكمة لما ورطت نفسها مع ايران واستصغرتها وهي تدري جيدا بقوتها لقد ظنت دولتنا ان خصمها ضعيف ومنهك لانها قد خرجت للتو من ثورة لكن ثورتها جعلتها اقوى...سترين سوف يحكم ايران اناس اقوياء لا يشبهون في شيء الشاه الذي كان يحكمها...ستصبح قريبا دولة قوية تهابها العراق وتحترمها حتى لو أبت ذلك
لا تهمني ايران ولا العراق يا رجل افهم انا لا يهمني شيء عدا حفيدي ومستقبلهما وابني الذي القي به في الجبهة ظلما وتعسفا يا رب امنحني صبرا يقويني لعيش هذه الحياة التي لم تعد تحتمل.
قدر الله وما شاء فعل يا امرأة نواحك هذا لن يغير شيئا لو كان شعبنا شعب يغار على وطنه ويريد الخير لبلده لخرج في مظاهرات مطالبا بالسلام وايقاف القتال بدل تشجيعه لصدام على تصعيد وتيرة الحرب اكثر فأكثر
ماذا عسانا ان نفعل لا احد ينشد السلام هذه الايام أسفي عليك يا عراق

بينما هما يتحدثان اتت زينب واضعة يدها على بطنها صارخة من الالم قالت لها ام حسين :

- زينب مما بك عزيزتي؟
- اشعر بوخز في بطني لا ادري ماذا حصل لي
- وخز؟ اتراك جائعة ام ان ابنك يريد الغذاء؟
- لا لقد كنت في المطبخ بصدد الاكل منذ دقائق
- اتراه انتفاخ؟
- لا ادري انه يؤلمني مع ان صغيري لم يتحرك
- حسنا سأجلب لك مسكنا للالم

مرت الايام والاشهر وزينب وحماتها يتشاركان العناية بالجنين ويرقبان ولادته ورؤيته بلهفة

كان الشهر الخير...وبعد الفطور قالت ام حسين لزينب:

- هل تريدين شايا يا ابنتي؟
- اجل يا امي
- حسنا اجلسي سأسكب لك كأسا

وما ان جلست حتى بدأ صراخها وعويلها فسألتها ام حسين بغرابة:

- زينب ما بك؟ ماذا حصل لك؟
- وهي تمسك ببطنها وصراخها يشتد وآهاتها تعلو
- اتراه المخاض؟ هل ستلدين؟
- لا اعلم يا امي اشعر بصغيري يتحرك
- يا ويلي ماذا افعل مؤكد انه مخاضك فأنت في الشهر التاسع انتظريني لحظة سآتي اليك

ذهبت الى بيت ام محمود وسألتها:

- اهلا يا ام حسين ما بك ؟ ماذا اصابك؟
- زينب
- ما بها زينب؟
- اظن انه المخاض قد اتاها وعلينا اخذها الى المستشفى ابإمكانك مساعدتي؟
- اجل طبعا

نادت الى زوجها ابو محمود:

- ابو محمود يا ابا محمود تعال بسرعة
- ما بك؟ ماذا هناك؟
- قالت السيدة ام حسين ان زينب اتاها المخاض
- اهلا سيدة ام حسين
- اهلا يا ابني ارجوك ابوسعك ان تأخذ زينب الى المستشفى لقد أتاها المخاض وليس لي احد يساعدني
- اجل طبعا انتظري لحظة
- حسنا ساساعدها على ارتداء ملابسها وآتي برقية لابقيها عندكم بينما جهزت سيارتك
- حسنا يا ام حسين

عادت ام حسين الى البيت مسرعة وقالت لزينب:

- هيا يا ابنتي سيقوم جارنا ابو محمود بإيصالك للمستشفى وسابقي ابنتك في بيتهم حتى تعودين
- مؤكد انني سأنام في المستشفى ولن اعود قبل الغد خذي لها بعض الثياب لتنام عندهم
- حسنا سأدخل لاخبر عمك

دخلت لغرفة ابي حسين وقالت له:

- يا ابا حسين عذرا منك لقد أتى لزينب المخاض وسآخذها مع جارنا ابو محمود الى المستشفى وآخذ "رقية عندهم لتنام هناك فلتدبر شؤونك لوحدك هذه الليلة
- حسنا اذهبوا فلتقم زينب بالسلامة...انتبهي اليها جيدا
- - اطمئن

خرجت زينب من بيتها وركبت السيارة برفقة ابو محمود وحماتها التي سلمت "رقية" لجارتها قائلة"انها امانة لديك يا اختي ام محمود سنأتي غدا صباحا لاخذها

- اطمئني يا ام حسين انها بأمان عندنا فلتقم زينب بالسلامة في امان الله

وضعت زينب مولودها في المستشفى وكان صبيا جميلا يشبه والده فرحت به مع والدي حسين كثيرا قالت"سأسميه عباس لأن كناية حبيبي حسين"ابا العباس" استكملت جميع التحاليل والعلاجات في المستشفى وعادت الى البيت لتهتم بابنها الفرد الجديد في البيت الذي ملأها صراخا وبكاء وضحكات واهتمام الاخ الاصغر لرقية التي أحبته وشاركت امها الاعتناء به ... بينما كانت حالة ابا حسين تسوء اكثر فأكثر يوما بعد يوم حتى لم يعد يقوى على مغادرة الفراش في الايام الاخيرة من عمره وهو يطلب دوما ابقاء عباس الذي كان يسميه "حسين الاصغر" بجانبه كي يرى فيه وجه حبيبه ووحيده الذي هو مفارقه...

وفي احدى الصباحات استيقظت ام حسين لتذهب اليه في غرفته وتوقظه اتناول فطوره ودوائه ...حاولت ايقاظه كثيرا ولم تستطع فصرخت باسمه صرخة ملأت البيت كله ..انطفأ البيت واجتمع الجميع حول البيت يستمعون الى القرآن...

...في نهاية اليوم...

انتهى العزاء وبدأ الناس واحدا تلو الاخر بمغادرة البيت مكلل وداعه بدعوات التصبر والسلوان لزينب وحماتها ....قامت زينب من على الاريكة :

- الى اين انت ذاهبة يا ابنتي؟
- سأدخل الى غرفتي لأتفقد حال ابني
- حسنا اذهبي

دخلت غرفة نومها تتفقد حال ابنها على السرير وهو في لباس رضيع ابيض بوجه ملائكي يمتص اصابعه ويبتسم ابتسامة الرضع تلك الخالية من مفاهيم الحياة الزائفة....حملته بيديها الى صدرها واجهشت على كتفه بكاء "آه لك يا بني أي حظ اخذته من الدنيا...اب يقاتل في الجبهة لا ندري ايعود ام لا وجد مات وانت لم تتجاوز الاشهر وستكبر وانت لا تعرفه...وام تعاني الفقر والخصاصة والحاجة وتخدم الناس لتلتقط اللقمة عنوة وتضعها في فمك...اه لك يا بني لماذا أتيت في زمن كهذا؟ لا يرحم عبدا ولا يرأف بحال احد...لماذا اتيت في زمن حرب؟ لماذا لم تنتظرها حتى تنتهي..؟ اخذت بالبكاء حتى ارتفع صوتها وتعالت شهقاتها ...اتت حماتها الى الغرفة وقد بدأت تسمع صوت بكائها منذ اقترابها من الباب ...دخلت الغرفة وقالت لها:

- ما بك يا ابنتي لماذا كل هذا البكاء؟ ما به عباس؟

قالت وهي تمسح دموعها وتضع ابنها على السرير :

- ليس بي شيء يا خالتي فقط ابكي على عمي ابكي على حالنا ماذا لنا ان نفعل بعده بقينا امرأتين لوحدنا في البيت لا احد لنا ولا احد يحمينا كيف لنا ان نعيش في ظرف كهذا بلا وجود رجل في البيت؟

قالت وقد غشت عيناها غيمة من الدموع ووضعت يدها على كتف زينب:

- يكفي يا زينب لنا الله يا ابنتي.

مسحت دموعها وربتت على كتف زينب :

- هيا يا ابنتي هيا قومي نرجع للصالون بجانب جاراتنا من العيب ان نتركهن لوحدهن وقد أتين لتعزيتنا.

تواصل بقاء المعزين من الجارات بضعة دقائق قبل ان يغادرن وبدأ البيت يفرغ وانخفض صوت القرآن كانت زينب جالسة بجانب جارتها ام محمود واذا بها تقف وتقول لزينب:

- معذرة يا زينب علي ان اعود الى بيتي الان قد تركت اولادي وحدهم فليرزقكم الله جميل الصبر والسلوان وليجعلها خاتمة احزانكم وآخر مصيبة تحل ببيتكم
- شكرا ام محمود تفضلي نشكر واجبك ومعروفك ووقوفك معنا
- عظم الله اجركم
- عظم الله اجرك

أوصلتها الى الباب ثم عادت وجلست بجانب حماتها ووضعت رأسها على كتفها وقد احمرت عيناها بدموعها وقالت:

- ها قد فرغ البيت بقينا لوحدنا

امسكت حماتها دموعها في عينيها كي لا تزيد زينب ألما وقالت لها:

- لست وحدك انا معك واولادك معنا والله بعوننا ينظر لنا ولا يهملنا لحظة واحدة اريدك قوية ان الموت حق علينا وعمك مذ تدهورت حالته الصحية أيقننا ان هذا مصيره لقد خف المه الان...لقد توفي منذ لم يعد يقدر على الحركة وليس صبيحة اليوم...لا داعي للصدمة والاستغراب فليرحمه الله وليجعل مثواه الجنة.
- يحزنني انه قد مات ولم يرى ابنه يؤلمني جدا ان حسين لم يحضر جنازة ابيه ماذا سنقول له اذا عاد يوما؟
- سيستغرب الخبر فيبكي ويتألم ثم ينسى ويرضى بقضاء الله...ان هذا ما أراده الله يا زينب وليس لنا ان نعترض عن مشيئة الله الحمد لله على كل ما فعل
- الحمد لله ونعم بالله

لا يزالان على ذلك الحال حتى طرق الباب فجأة فوجهت زينب نظرها نحوه ثم التفتت لحماتها:

- من تراه يأتينا في وقت كهذا؟
- لا اعلم اذهبي لتعرفي عله أحد المعزين
- هل يأتينا المعزون الان في الليل وقد انتهى العزاء؟

ثم اتجهت نحو الباب لتفتحه فإذا به "ايهم" امامها استغربت قدومه في ساعة متأخرة ثم قالت متفاجئة : "ايهم؟"

- عزائي الحار لك سيدتي فليجعلها الله خاتمة الاحزان وأخر المصائب التي تمرين بها.
- شكرا ايهم تفضل بالدخول تفضل

- امي انه ايهم احد الموظفين المخلصين اللذين كانوا يعملون معي في الشركة والتفتت اليه مشيرة الى حماتها التي وقفت:ايهم هذه حماتي "ام حسين".
- تشرفنا
- اهلا بك يا ابني اهلا تفضل
- تفضل ايهم اجلس
- شكرا يا خالة لقد اتيت لتعزيتكم
- شكرا يا ابني لا قهر الله قلبا بفقدان غال
- ايهم من احسن الناس يا امي انه لم يترك مساعدتي ولم يتوانى في الوقوف معي منذ احترقت الشركة
- جزاك الله خيرا يا ابني لك جزيل الشكر
- العفو يا خالتي السيدة زينب كأختي لقد عشنا سويا احلى ايام في الشركة مع حسين اعاده الله بخير وبقية الموظفين ايام كان عملنا كثيرا وشركتنا متميزة

قالت زينب :"رحم الله تلك الايام"

قالت حماتها"اتشرب قهوة يا ابني؟"

- لا امانع يا خالتي
- احضري لنا قهوتين من فضلك يا امي
- على عيني يا ابنتي

بينما ذهبت ام حسين لتحضير القهوة التفتت زينب لايهم وقالت:

- أرأيت حالي يا ايهم؟ لقد انتهى بي الامر لان بقيت وحيدة مع حماتي في بيت لا رجل فيه اعاني الفقر والحاجة والوحشة لقد توفي رحمه الله وهو يطلب لقاء ابنه على فراش الموت ثم وافته المنية دون ان يتحقق له ما اراد كم يؤسفني موت عمي بهذا الشكل.

وضعتى يدها على فمها ممسكة دموع قهرها في صدرها قال لها:

- يكفيك حزنا سيدتي لا يمكن لك رد اقدار الله ذلك ما شاءه لك ولا ذنب لك في كل هذا
- اعلم لكن حالي وحال عائلتي يشتد سوءا وذلك يعصف بقلبي وجعا
- ليست عائلتك الوحيدة من تعاني ويلات الحرب سيدتي الا تسمعين اخبار الناس كل يوم؟
- بلى اسمع كل ما يعيشه الناس ...شيء يندى له الجبين
- فليجعل الله القادم خيرا
- امين
- ما آخر التطورات في قضية حرق شركتك سيدتي؟
- لقد عرفت من كان المتسبب في ذلك
- جيد ومن كان السبب ؟ اخبريني سيدتي من فعل ذلك؟
- لماذا تصمتين سيدة زينب تكلمي ارجوك

(تنهدت) ثم قالت بحرقة:

- كان السبب في ذلك احد المنافسين الشرسين للشركة
- لا تقولي انها شركة A.O شركة السيد مراد
- بلى هو بذاته
- أتعنين انه من احرقها؟
- لا انا هو من كان السبب في افلاسها بعد ان اشترى عديد الموظفين لدينا بماله
- أي ان جميع الاسهم التي خسرتها الشركة ذهبت لصالح شلاركته؟
- تماما
- ولماذا فعل ذلك هذا الخسيس؟
- لا اعلم بالضبط لكنني اذكر ان شركتنا عندما اضحت الاولى في الانتاج والتصدير في المنطقة كانت شركته اولى الشركات المتضررة من ذلك لانها كانت في المرتبة الاولى واضحت الثانية بعدنا وقد اخبرتني احدى الموظفات يوما انه قد اغراها بالمال كي تبيع له احد الاسهم
- أي انه المتسبب في افلاس الشركة
- اجل

اتت ام حسين بالقهوة وقالت بابتسامة

- اهلا بك يا ابني شرفت بيننا بحضورك
- شكرا خالة رحم الله عمي "ابا حسين"
- امين تفضلا قهوتكما جاهزة...زينب سأذهب لاطعم ابنك
- حسنا امي اذهبي
- اذا ومن الذي احرقها؟
- احد حراس شركته بعثه ليلا في الايام اتي كانت فيها بغداد على صفح من نار وفي الليلة التي سقطت فيها قنبلة على بغداد فجرا أتذكر؟
- اجل
- اراد ان يبعد الشبهة عن نفسه كي يظن الناس ان القصة كانت محض مصادفة ونتيجة لوقوع القنبلة نظرا لاقترابها من الشركة
- وغد...غبي...ومن سيصدق ذلك ؟ لقد كانت القنبلة بعيدة عن مقر شركتنا امتارا عديدة...ثم انها قد تسببت في حرق عمارة قبالة الشركة فكيف للنيران ان تصل لشركتنا التي تفصلها عن العمارة شارع كبير وطريق سيارة؟
- لقد سبب لي خسارة كبيرة في حياتي
- لكن سيدتي لي فضول يجعلني اطرح سؤالا لربّما يزعجك اتسمحين لي؟
- انا لن اخبئ عنك شيئا أيا كان سؤالك انك الوحيد الذي وقف الي ووجدته بجانبي في محنتي ووقت تغيب زوجي وفقداني السند والمساعدة انني حقا دينة لك بكل شيء
- العفو يا سيدتي انه واجبي ففضلك وفضل شركتك علي لا ينسى لقد تحسن وضعي واصبحت من الناس المحترمين بفضل عملي في شركتك بعد أن عشت شابا تعيسا اعاني الفقر والضياع والحيرة على مستقبلي
- ولو...لقد كنت من الموظفين المتميزين في الشركة إسأل ما تريد

- ما الذي يجعله هو بالذات دون غيره من المنافسين لشركتنا على تعددهم وكثرتهم في البلاد والمنطقة يريد الانتقام منك بهذا الشكل ويفعل بك كل هذا ؟ عذرا على فضولي سيدتي لكن الا دافع لما يفعله ؟ اليس لديك علاقة سيئة به ؟

نزلت دمعة على خدها وشرقت بريقها ولم تستطع التكلم

- سيدتي سيدة زينب عذرا على ما قلته لم اقصد ازعاجك سيدتي كفى بكاء ارجوك
- لقد تعبت في حياتي تعبت من كل شيء من كل ما عشته وحدث لي حقا تعبت.

هوني عليك سيدتي ما تزالين قوية ولا تزال مكانتك في المجتمع سامية ..لا احد من موظفيك الاوفياء سينسى فضلك وفضل شركتك عليه ...لن ننسى اخلاقك ورقيك وسموك في التعامل معنا والايام الجميلة التي عشناها في الشركة رغم المصاعب التي لقيناها في العمل وتوحدنا لتحديها سويا لكن لولا الخونة لما سقطت الشركة انت لم تقصري ولم تتهاوني لا تحملي نفسك ذنبا لم ترتكبيه

- لماذا؟ لم اظلم احدا في حياتي ثم ألقى كل هذا الظلم لم اعرض احدا للذل والمهانة وذللت وقهر فؤادي بما رأيته في بضع سنوات فقط
- انه ابتلاء من الله سيدتي وربما اختارك الله وأرادك ممتحنة في خلقه محبة منه لك ...لكن سيدتي لم تقولي لي ما قصة ذاك الرجل معك؟
- انه ايراني مثلي
- حقا؟
- اجل اتى الى بغداد واخذ يعمل فيها أجلي ...لحقني الى هنا...كي يكون قريبا مني...بعد ان سافرت انا هربا منه لمواصلة دراستي والعمل في بغداد ...كان يريد الزواج مني وكان ابي رافضا لذلك الرجل كارها له ولوالده لعناد أبيه ولتحيله على الناس وسوء سمعته وأباه بدوره كان صاحب شركة مقاولات وكان مشتهرا بسوء سمعته في طهران...لذا بعث بي ابي الى بغداد للتخلص منه والابتعاد عنه ونسيانه ولكنه ما ان عرف حتى اتى الى بغداد ليعمل فيها ويبقى قريبا الي ومنذ ان فتح الشركة في نفس المجال الذي تعمل فيه شركتي اخذ في منافستي وفي محاولة إسقاط شركتي وإفلاسها وكل صعوبة كانت تعترض شركتنا يكون هو السبب فيها ثم...
- ثم ماذا ؟ اكملي ارجوك
- حين سمع انني اصبحت على علاقة بحسين وافكر في الارتباط به كرهني اكثر وعاتبني ...اذكر انه اتى الي مرة مقتحما مكتبي ليأخذ في توبيخي ولومي على حبي لشخص ليس ابن بلدي وليس من نفس مكانتي الاجتماعية علاوة على انه احد الموظفين لدي في الشركة فطردته وخرج غاضبا من عندي
- والسيد حسين ؟ هل علم بالامر؟
- انه لا يعلم بشيء من هذا حتى الان
- امر لا يصدق هل يمكن للحب ان يجعل انسانا بهذه البشاعة؟
- ان الحب لقادر على خلق ابشع القلوب تماما كقدرته على جعل اسوئها الافضل
- هوني عليك سيدتي ها أنا ذا قد خسرت عملي منذ احترقت شركتك وكنت من المتضررين مثلك وعدت اعيش على ما يعطيني اياه والداي من مصروف يومي وكأنني لم أعمل يوما...لولا بعض الاموال التي ادخرتها في حسابي البنكي لكان وضعي محرج جدا اعلم ان الحرب قد طالت ويئنا

انتهاءها لكن ذلك قدر الله علينا وليس لنا ان نرفضه او نرده كل الناس تضررت ومن ذهب الى الجبهة كان المتضرر من الدرجة الاولى اننا مهما قاسينا ودفعنا ثمن جميع الازمات لم نرى ذرة مما عانوه وتحملوه وفضل الامان الذي نعيشه عائد اليهم لا لأحد غيرهم...ان كل ما يحصل لنا لسنا إلا نستحقه والله اعلم بنا وبما نستحق ولن يظلمنا ولن نكون أعرف بأنفسنا منه ...نحن لسنا إلا بشرا من طين اذا وقع علينا مكروه قلنا كرهنا الله فعاقبنا وإذا سررنا قلنا لقد احبنا الله وليس ما نقوله بصحيح قط فإنما الابتلاء بنوع من انواع محبة الله لنا وغفرانه عله يطهرنا من الذنوب

- لا ليس صحيحا ما تقوله ففي هذه الدنيا دوما نأخذ ما لا نستحق
- ربما تصيبنا الحياة بأنواع شتى من العذابات نظن لبعض الوقت اننا لا نستحقها...لكنها ستصنع منا الاقوى والأشد والأكثر ثباتا والأنضج في الحياة ارجوك يا زينب لا اريد لك ان تيأسي

...

بعد مغادرة ايهم دخلت زينب الى غرفتها حزينة حائرة ...امسكت بالورقة ولم تستطع كتابة كلمة بين سطرين ...كيف ستخبره أن والده قد فارق الحياة وهو الذي يرى الموت ويمارسه كل يوم ...قدر له سابقا الا يحضر ميلاد ابنه ويراه ويستقبله ويضمه بين يديه واليوم يقدر له الا يحضر عزاء ابيه او يراه او يودعه ...بين استقبال وتوديع ...بين ولادة ووفاة واحتفال وعزاء...وبداية ونهاية تتواصل حياته في نفس الاسطر على نفس الكتاب...داخل نفس السلم وضمن نفس النغمات...امسكت بقلم بأصابع ترتعش وجعا وكتبت على الورقة:

"مرحبا عزيزي حسين

رسالتي لك اليوم ليست كالرسائل العادية التي ابعث بها اليك عادة انني اكتب رسالتي لك اليوم وقلمي يرتعش بين أناملي المرهقة وجعا تماما كقلبك ومهجتك المتعبين...انني لم اكن اريد اخبارك بأي موجع وغير سار وأنت في الجبهة تعاني تعب القتال وألم الفراق كل لحظة...لكنني مجبرة على اعلامك اليوم بخبر قاس يجب ان تعرفه لأنني كنت قد وعدتك ان تبقى على علم دوما بكل ما يحصل معنا هنا...انت تعلم بمرض والدك وحالته الصحية المتدهورة التي اخذت تتردى اكثر وأكثر طوال سنوات عديدة من غيابك وكنت قد اعلمتك بذلك في رسائلي اتليك ...اما اليوم فلن اخبرك عن حالته الصحية كيف اضحت لان والدك يا حسين قد رفعه الله الى سمائه التي اختارت له ان يفارق الدنيا ويفارقنا ويترك قلوبنا ملتاعة بهذا الغياب ...لقد كان يقول وهو على فراش الموت"اريد رؤية حسين" وهذا اكثر ما آلمني ليتك كنت هنا بجانبه وأثلجت صدره برؤيتك وسماع صوتك حتى ينام قرير العين مرتاح البال لكن للأسف لم يحصل ذلك أنا آسفة جدا على هذا الخبر حبيبي لكنني رأيت أنه من واجبي اعلامك وانا احثك على ألا تبقى حزينا وملتاعا في الجبهة كي لا يؤثر هذا على ادائك العسكري...لا تحزن على ابيك يا حسين فان الله قد أحبه فإختاره دون غيره ليأخذه الى جانبه في عالم افضل من دنيانا هذه بكثير...لقد ارتاح بعد معاناة طويلة فليرحم الله روحه وليجعله من الصالحين المستبشرين بجناته.

سلامي لك يا حبيب قلبي وارجو عودتك عن قريب لزيارة قبر أبيك وقراءة الفاتحة على روحه كان الله معك وبعونك...

-حبيبتك زينب-

كان يقرأ هذه الكلمات ويداه ترتعشان ثم رمى بالورقة من يده واجهش بكاء امام جميع من كانوا بالغرفة يستعدون للنوم...قال له عبد الجليل:

- ما بك أخي حسين؟ ماذا حصل؟
- ابي ...ابي يا عبد الجليل
- ماذا حصل له؟
- لقد توفي ...توفي وهو ينادي "يا حسين" وهو يناديني ..كان يرغب في رؤيتي ولم يقدر على ذلك
- رحم الله روحه يا اخي ادعو له بالغفران والرحمة...لماذا ا لبكاء يا حسين؟ والدك كان مريضا جدا وحالته متدهورة كما اخبرتك زوجتك.
- لست مقهورا على وفاته بقدر حسرتي على عدم قدرته على رؤيتي وعدم قدرتي على الذهاب اليه والاعتناء به انه لم يحقق آخر امنية له في حياته وهي رؤيتي أي حياة هذه...يارب لم اعد احتمل..لم اعد مستعدا لخسارات اكثر
- هون عليك يا حسين يا حبيبي سينتهي كل شيء باذن الله وتعود الى الديار والى عائلتك وتعود الى رعايتهم والاعتناء بهم هيا قف واصمد وابقى قويا ..انها مجرد ظروف صعبة وستنتهي قريبا باذن الله هيا قف علينا ان ننام قليلا لننهض باكرا للقتال

توالت الايام والاسابيع والاشهر ودخلت السنة 1988

مرت سبع سنوات من الحرب وهاهي مقبلة على عامها الثامن

تدهورت صحة ام حسين لوعة وقهرا على فقد زوجها وفراق ابنها...كانت تصطبر بالاعتناء بأبناء ابنها ومداعبتهم واللعب معهم بينما واظبت زينب على الاعتناء بها بعد ان لازمها مرض القلب وأنهكها بالادوية والعلاج والتداول على المستشفى...

كانت الحرب تتواصل كل يوم دون أي انتصار من الطرفين...وبخسارات متتالية يتراجع احدهما مرة لينتصر الاخر ثم يتراجع بدوره لينتصر الطرف المقابل في مرة اخرى...وتستمر الازمات ويستمر القتال وزهق الارواح وتفاقم عدد ضحايا الحرب وانتشار رائحة الموت اكثر فأكثر...

"في الحروب نحتاج أن نصاب بشخص جميل لنستمر في الحيا ونحس بأن الحياة تستحق أن تعاش"

- واسيني الأعرج -

كانت زينب تهتم بأبنائها بعد ان اطعمت حماتها بيدها وناولتها دواءها لحظة طرق الباب فقامت سريعا لفتحه واذا بها تجد نفسها امام زوجها...عاد حسين وفي يده نفس الحقيبة التي اخذها معه...ذهلت لرؤيته ثم سألته مبتسمة

"هل أتيت هاربا هذه المرة؟"

قال بابتسامة متعبة:"لا أتيت بقرار تسريح صدر بحق دورتي لأبقى معك ما تبقى من عمري"

- حقا؟ تم تسريحك اخيرا؟ مبارك ..مبارك لك يا نور عيني وبهجة قلبي ...ادخل هيا ..ادخل الى بيتك وهات عنك الحقيبة...لقد أنار البيت اخيرا بعودتك...كم اشتقتك واشتاقت اليك امك وابنتك...ربما لا يمكنني ان اقول ان عباس اشتاق اليك لانه لا يعرفك
- لا بأس وأنا لم أره منذ ولادته نادي لي أولادي لقد اشتقتهما

طبعت على شفتيه قبلة مفاجئة حتى احمرت خداه فابتسم لها ثم همس في اذنها"اشتقت اليك"قالت و"انا"ثم اخذ يلاعب اولاده ويقبلهما ويعانقهما ويملأ عينيه برؤيتهما وهي تعانقه وتقبل رأسه وجبهته وكتفيه وظهره وقالت:هل اجهز لك الحمام للاغتسال؟

قال لها :

- لا لا بأس سأستحم فيما بعد ...أين امي الان؟
- انها في فراشها
- في فراشها
- انها مريضة بعض الشيء فمنذ فترة وهي في الفراش تصارع حزنها وفراقك تنادي دوما "حسين...حسين" تطلب رؤيتك والحمدلله ان ذلك قد تحقق لها ولم يتكرر ما حصل مع والدك

لم تكمل كلامها حتى سارع بالذهاب لغرفتها ليرى وجهها ويقبل يديها دخل عليها ووقف ينظر لشحوب وجهها وجمود يديها وهي نائمة لا تحرك ساكنا ركض نحوها مناديا "امي" وأخذ بتقبيل يديها فاستيقظت فجأة على صوت ندائه لاسمها نظرت اليه ولم تكد تصدق نفسها أن ابنها حقيقة امامها تراه وتكلمه..صرخت:

- حسين؟ حبيبي حسين متى اتيت؟ ارجعت؟ اعدت لي؟ ألن تفارقني بعد اليوم؟ انهال عهلى يديها يثملهما تقبيلا ودموعا ويعانقها ويطبع على جبهتها قبلا من شفاهه وهي تضمه وتتحسس قربه منها وقلبها يكاد ينفجر فرحا قال لها:

- اجل عدت يا امي عدت ولن أفارقك بعد اليوم وقفت زينب بباب الغرفة تنظر اليهما باكيةاقتربت الى الفراش من الجانب الايمن له وقالت لامها وهي تقبل يدها:

- احمدي الله يا امي ها قد عاد عزيز قلبك وقرة عينك اخيرا ليفرح مهجتك وينسي عينيك سهادا طويلا قاسيته.

قالت مبتسمة:

- الحمدلله يارب ما أكرمك.

قالت زينب :"انه موعد الفطور يا جماعة ما رأيكم أن نجتمع حول الطاولة ونتشارك الطعام كما كنا في السابق؟"

التفت حسين لها وقال:"زينب احضري الطعام اريد ان اطعم امي بيدي."

اجابت بابتسامة:"حاضر يا حبيبي"

ومنذ تلك اللحظة اضحى يطعمها ويناولها دواءها بيده ويشرف على شفائها بنفسه كطفلة وهو يأمل طوال الوقت ان تنهض وتشفى وتتغلب على مرضها وتعود كما كانت عليه يوم كانت تطبخ له وتنظف البيت وترتبه وتعطره وتشرف على ملابسه وتدعو له ولزينب بالفرح والسعادة وتعتني بابنته التي كانت في "اللفة"

كانت كل تلك الصور تراود ذاكرته وتعصر قلبه ألما عن ضياعها في زمن قديم ناضب لن يعود...مرت الايام...وهي ترى زوجها شخصا لم تعرفه من قبل...شخص عاد اليها لكنه عاد مغايرا لما اكن عليه....مثقل بتفاصيل الحرب التي كان احد سطورها...

مضجر بما رآه من جثث مترامية مفصولة عن اعضائها ..

اعضاء بلا اجسام واجساد بلا ثياب وابدان محترقة..نتن رائحتها يبلغ عنان السماء...تلك هي الحربي التي بلا معنى ..التي تتحكم بالمصير الانساني وتعبث بأقداره..وتلطخ صفحات حياته ...بعفن الدماء...

يصعب عليه أن ينسى تلك الصور التي عاد محملا بها عالقة في ذاكرته صدمت عقله وارهقت نفسيته ..كيف يتحول العبث الانساني والتوحش البشري الى بشاعة تدمر كل ما حوله....هو قد صنعها بيديه...ظل اياما لا يستيقظ سوى على اصوات رصاص البنادق ..دوي الصواريخ والمتفجرات والقنابل...كله كان يراه بعينيه ويدري انها حرب ظالمة جائرة لا شرف فيها ولا شهادة...سنوات سجلها التاريخ ...في الوقت الذي كانت فيه حياتهم خارج التاريخ...لا احد يمكنه ان يدرك جحيم الحرب غير الذي ذاق ويلاتها...لا احد حوله سيشعر بما عاناه الا من عاش تفاصيل ذلك معه...لم يستطع ان يفهم سبب حرب بلا معنى اهملت اقدار الناس اضاعت كرامتهم وحرمتهم حقهم في الحياة ...عاشوا ضحاياها دون ان يكونوا سببا لها...لن تستطيع الدموع أن تغسل ما بداخله ان تنسيه ...ان تقتل دواخله..العذابات والالام التي تجرعها على مهل طيلة ثماني سنوات ...قدر له ان يأخذ نصيبه منها...اناس اضحت نفسياتهم المزرية اشبه بنيران تحت ركام من رماد...رماد حرب جعلت من حياتهم شريطا سينمائيا مرعبا ...اناس ضاعوا بين صفحات التاريخ وضاعت صفحات حياتهم في السراب...بسبب حرب لم يكونوا سببها ...ولكنهم كانوا وقود نارها...

هي تعيش معه الان آملة ان يكون ما حصل كابوسا مر بين فترتين ...جلست اليه واضعة يدها على كتفه وقالت بحزن:

- ما بك؟ الا تريد ان تحدثني بكل شيء؟
- عن ماذا تريدينني ان اتحدث اليك ان ماعشته اكبر من ان يحكى
- معك حق ....اوجاعنا اكبر من ان تحصر في بضعة كلمات

وقفت باكية مخفية شهقاتها داخل حلقها واضعة يدها على فمها كي لا تجهش بالبكاء قهرا تركته لشرود ذهنه وغادرته ألما.

قال: الاتعس لا ان تقتلنا الحرب بل أن نعيش موتى بعد انتهائها فلو كنا استشهدنا ايام الحرب لكل منا كأبطال وطن لكننا الآن نحيا فلن يعترف بتضحياتنا وآلامنا واعمارنا التي ضاعت هباء أحد ...لقد أضعنا وسام البطولة بمواصلتنا الحياة...

- لم تقل لي يا حسين كيف عدت الينا ؟ هل انتهت الحرب ام ماذا ؟ ماذا حصل حتى اتيت ؟ اذا لم تكن الحرب قد انتهت بعد كيف أمكن لك المجيء؟
- لا ادري ...انا ايضا لا اكاد اصدق الى الان ما حصل قالوا لنا انهم سيقومون بتسريح أعداد كبيرة من الجنود وكان اسمي بينهم فعدت الى هنا وانا اشبه بشخص يرى حلما جميلا ويتمنى الا ينتهي أتعلمين شيئا يا زينب؟
- ماذا يا حبيبي؟
- خفت ألا اعرف مكان البيت أو أن أجدكم قد غيرتم مكان سكنكم وانت لم تخبريني وحين رأيتك تفتحين الباب كدت اجن فرحا وصدمة في آن لكنني آسف على اولئك اللذين لم يعودوا الى عائلاتهم بعد انظري ماذا سنقل الاخبار

"مرحبا بكم مشاهدينا الكرام:"قامت اليوم السابع عشر من نيسان الموافق لليوم الاول من رمضان على الساعة الخامسة والنصف صباحا قواتنا الجوية الباسلة باستهداف القوات المعادية في "الغاو" وتضمن عدم وصول الدعم اليها اضافة الى ان قواتنا قد ضربت بالمدفعيات مواقع الجيش الايراني وقوته الاحتياطية مستخدمة غاز الاعصاب لتشتت جيش العدو وبعد ساعة تحركت الغرفة السابعة لتحرير الغاو وبدأت سفننا بقصف القوات المعادية من الجنوب وهو ما تسببت في استسلامها بعد 35 ساعة قتال متكبدة خسائر بشرية فادحة هذا وقد غنمت قواتنا الاف الاطنان من معدات من اسلحة وتجهيزات هذا وقد تابعت قواتنا هجماتها بالقطاع الجنوبي وقامت باستعادة مدينة شلامجة حيث تكبدت القوات المعادية خلال عشر ساعات فقط 50 الف مقاتل مع معدات رئيسية ضمن العملية التي اطلقتها قواتنا باسم"توكلنا على الله" والتي لم تسجل الا بعض الخسائر البسيطة"

- هذا يعني ان الخسائر لا تزال متواصلة
- طبعا وستتواصل كل يوم الى آخر ساعة من هذه الحرب
- متى تنتهي هذا القتال الذي قسم ظهورنا وأخار قواتنا طيلة سبع سنوات ونصف.
- ستنتهي يا زينب قريبا جدا صدقيني لقد انهكت الدولتان ولم يبقى كل منهما على استعداد للخسارة اكثر ...لقد انهك الشعبان وأصبحا حاقدين على كلا الدولتين ...لقد خسرنا كثيرا ومع كل يوم تتعمق جراحنا وآلامنا اننا لم نعد نقدر على التحمل والصمود اكثر...ستنتهي هذه الحرب بلا معنى وبلا سبب تماما كما بدأت...سترين ...دعيني اذهب للنوم انا متعب
- تصبح على خير يا عزيزي

استيقظ صباحا الساعة الثامنة والنصف وتوجه نحو المطبخ فوجد زينب تحتسي كوب قهوة ساخنة ...قال لها بابتسامة شاحبة:

- صباح الخير حبيبتي
- صباح النور عزيزي
- اين الاولاد؟
- ذهبوا الى المدرسة
- الم توقظي امي؟
- لا ليس بعد
- حسنا جهزي الفطور لآخذه اليها سأذهب لاوقظها

- حسنا

دخل غرفتها وأبعد الستائر بينما كانت مغمضة العينين ممدودة على ظهرها ...قال لها:

"امي استيقظي حان وقت الفطور...امي...امي..هيا استيقظي"اخذ يحرك كتفها بيده محاولا ايقاظها...قال"امي استيقظي ما بك ؟ لماذا لا تستيقظين؟ زينب زينب تعالي

أتت زينب هرولة مستغربة:"ما بك حسين؟"

- امي لا تستيقظ
- لماذا ؟ ما بها؟ امي امي استيقظي يا عزيزتي امي !

وضعت يدها على جبهة ام حسين فأحست بالبرودة في جسدها

- امك باردة كالصقيع.

امتلأت عينا حسين بالدموع:

- لا لا يمكن ذلك

وضع رأسه على صدرها واجهش بكاء:"امي امي استيقظي ارجوك لا تتركي ابنك وحيدا في هذا العالم لم يبقى له غيرك

اخذت زينب بالبكاء:"امي امي لما فعلت هذا لماذا رحلت بهذه السرعة وتركتنا وحيدين بعد أن كنت من يصبرنا على الحياة

أخذا بالبكاء بجانبها ثم قال حسين "علينا إعلام الجميع ...علينا أن ندفنها اليوم بعد العصر اذهبي واتصلي بالاهل والجيران ليعلموا خبر وفاتها ويحضروا عزاءها.

كان العصر وكان الجميع في بيت حسين يؤدون واجب العزاء وامه على المغسلة جثة هامدة تنتظر نزولها ببيتها الجديدة وضعوها في تابوتها الذي حمله الرجال على اكتافهم واخرجوه نحو المقبرة وسط بكاء ونحيب النساء ...عادوا الى البيت بعد الدفن...

مساء جلست وزينب في الصالون وبجانبها ولديها مسحت وجهها بكفيها بعد ان ابتل بدموعها وقد بدا على ملامحها شدة البكاء واللوعة ...دخل حسين البيت واغلق الباب فقالت زينب:

- رقية عباس ادخلا لغرفتكما

جلست بجانبه وقد وضعت يدها على كتفه محاولة مواساته وقبل ان تتكلم قال:

- مازلت لا اصدق كيف غادرتنا بهذه السرعة.
- فليتغمدها الله بواسع رحمته
- امين سنبقى الان لوحدنا بعد أن كانت سندنا

- صحيح أتعلم طيلة فترة غيابك لو لم تقف بجانبي ولو لم تساندني هي لما كنت صمدت كل هذا الوقت وبقيت قوية حتى عودتك لقد اصبحت كصديقتي واختي وامي أشعر أنني فقدت رفيقة دربي.
- حمدا لله على كل شيء
- الحمدلله ...أتريد أن تأكل شيئا؟
- لا سلمت يداك سأذهب للنوم لا اريد فعل شيء

كانت جالسة الى الاريكة تنظر اليه كيف يمشي متثاقلا وقد أثقل الحزن كاهله حتى لم يعد يقدر على حمل كتفيه ماذا عساها تقول له وأي الكلمات تقدر أن تواسيه أو تخفف عنه همه وهو الذي أخذت الاحزان تتتالى وتتراكم على روحه حتى عصفت بقلبه وجعا وكلما قام محاولا التشبث بحبل من الامل وقع واهيا على عتبة مصائبه

احتار في امره ...الى متى يتواصل حاله هذا؟

الى متى يستمر كابوس الخسارات والخيبات والفجائع والفرح القصير الذي لا يدوم طويلا ولا ينتهي الا بفاجعة جديدة...هل سيبقى على انتظاره هذا الذي دام لسنوات دون جدوى ؟ لم تنتهي قائمة خساراته حتى بعد عودته منن الجبهة ...حتى بعد رجوعه الى بيته واستقراره مع اسرته واولاده

أي حل عساه يجده؟

أي طريق عساه يسلكه ليخرج من كل هذا...

اضحى البيت ضيقا والوطن لا يتسع له...

وطن اسود بذكريات سوداء وأيام حالكة أبى السلام أن يغمرها ولم تشأ السعادة أن تطويها كي يبدأ الجميع من جديد..

رحلت الحرب العسكرية لتخلف وراءها حربا نفسية من ذكريات حزينة ومخاوف وخسارات وأشخاص رحلوا واناس شوهوا وأطفال يتامى ومفقودين ومصابين ومتألمين ...مشردين وعاطلين عن العمل...أرامل وثكالى وحزينات يرتدين اللون الاسود مترقبين عودة مفقوديهم ...هكذا هي الحروب ...لا يمكن ان ترحل بسلام او تغادر في صمت ...ولا تنتهي الا لتترك خلفها علامات على اجساد الكثيرين وفي نفوس العديدين وفي اذهان الجميع لا يمكنهم التغلب عليها ولا يمكنها مفارقتهم...الحرب دوما ترحل لتترك بنا علامة على انها مرت بنا ...على اننا عشناها وتحملنا عواقبها شتى انواعها تنتهي لتبقى تذكرنا دوما ان حياتنا لم تمر بسلام وأن الموت لم يأتينا الا بعد أن رأيناه وخفنا اقترابه وشعرنا به عدة مرات..

الحرب تأتي لتقتل كل شيء جميل فينا دون أن تقتلنا ...

قرر الهروب للحظات أو لساعات من حياته تلك ووضعه ذاك الذي يئس من ترقب تغيره أو نهايته...

غادر البيت الى ذلك المقهى المطل على الفرات...

المكان الذي التقى فيه بمسقط قلبه لأول مرة...

ذاك المكان الذي يحب أن يرى منه بغداد دوما

لا يزال يذكر تلك اللحظة الاجمل والاشهر والاجمل تكرارا...

لحظة اعلانه لحبه امام زينب وقت قال لها:

" لا اريد ان تفارقني عيناك ...اريد أن ارى فيهما الجنة الخضراء...اريد ان ارى منهما بغداد دوما...فلونهما نفسه لون نخيل بغداد المطلة على شاطئ الفرات...فلا كذب السياب وقت قال

"عيناك غابتا نخيل ساحة السحر **وشرفتان راح ينأى عنهما القمر"

ولا نزار حين قال"عيناك مدينتي فأرجوك يا مدينتي وجنتي الخضراء لا تجعليني غريبا كوني وطني دوما"

كان ينظر الى الفرات من نفس الشرفة ...في نفس المقهى ...على نفس الكرسي وامام نفس الطاولة...كان يرى في ملامح بغداد التعب.

قال في نفسه:"كم انت متعبة يا بغداد كم اشتاق السلام اليك وكم اشتقت الى الفرح..ما زال غموضك هو نفسه..وما زال جمالك نفسه أيضا..وما زلت بذات الملامح..وعشقي ما يزال نفسه"

وبينما هو يتأملها دخل ايهم الى المقهى وحين لمحه أتى اليه"حسين أهذا انت؟ غير معقول أعدت من الجبهة؟"

قام حسين متفاجئا وصافحه قائلا:"أيهم ؟ اجل عدت من الجبهة منذ أيام ...كيف انت؟جيد أنك ما زلت في بغداد"

فقال له جالسا:"وأين لي ان اذهب بعد ان خسرت عملي في الشركة ؟ لقد بقيت هنا لاجل البحث عن عمل."

- خسرت عملك في الشركة؟
- اجل الم تخبرك زينب بأنها قد خسرت الشركة لأنها احترقت عام 84
- ماذا؟ الشركة احترقت؟ ومنذ عام 84؟ ايهم ماذا تقول؟
- اسف لم أدر أن زينب لم تخبرك ...أنا...

وقبل ان يستكمل ايهم كلامه غادر حسين مسرعا الى البيت صارخا "زينب...زينب اين انت؟"

اتت اليه مذهولة وقالت:

- ها أنا هنا ما بك لماذا تصرخ؟.

فأمسك بيدها غاضبا:

- لماذا لم تخبريني يا زينب؟

قالت له محاولة الهرب من قبضته:

- اتركني اترك يدي ما الذي تريد أن اخبرك به؟.

- هل ان الشركة قد احترقت منذ عام 84؟

- لا غير صحيح

- اذا كان غير صحيح قولي لي يا زينب لماذا اصبحتم على هذه الدرجة من الفقر؟ اين انتم مما كنتم عليه؟ اين عملك في الشركة؟ ماطا حصل معك؟ لماذا لم ارك تذهبين الى الشركة منذ عودتي من الجبهة؟ هل حصل للشركة شيء ؟ لماذا لم تخبريني؟ لماذا تخبئين عني كعادتك؟

بقيت تنظر ارضا ملازمة الصمت

- زينب تكلمي لماذا لا تجيبينني ؟ ماذا حدث معك؟ ماذا حصل للشركة؟
- لقد احترقت بع أن افلست وأوقف معظم حرفائها معاملاتهم معها....لكن من اخبرك بهذا؟ كيف عرفت؟ لم اكن اريدك ان تعرف.
- لماذا؟ كيف حصل هذا؟ لماذا لم تخبريني؟
- - لقد كنت في الجبهة ولا ينقصك هم اضيفه الى همك لم أكن اقدر على اخبارك لقد كنت مشغولا عنا.
- ثم لم تخبريني بحملك ووضعك ثم بوفاة ابي أنا غاضب جدا مما فعلته يا زينب..أيعقل لانني غائب عنكم لا تخبرينني بما يحصل معك من مصائب ؟ وما فائدة مراسلاتك الي اذا ؟
- قلت لك لم أقدر كيف لي وأنا اعلم بكل ما تمر به من شدة ومصاعب ومتاعب هناك ان اخبرك وانت على ذلك الحال بمصائبنا؟
- وان كنت على تلك الحال حقي ان اعرف كل شيء عنكم.
- ما كنت لاعكر صفوك واشغل بالك بالتفكير بما ليس من شأنك أن تفكر به وقتها وليس عليك أن تلومني يا حسين لست أرى نفسي مخطئة
- حسنا ومن فعل ذلك بالشركة؟ اعلمت؟
- اجل علمت
- من؟
- لقد بدأت القصة منذ ان ذهبت الى الجبهة للقتال وتركتني لوحدي أعمل في الشركة
- ماذا حصل بالضبط؟ اخبريني ولا تخفي شيئا
- تعرضت الشركة لمشاكل مادية وبدأت أسهمها تنخفض نوعا ما بعد أن عرفت انتعاشة بفضل أسعار النفط التي ارتفعت قبل ذهابك أتذكر؟
- اجل
- بدأ الحرفاء يغيرون وجهة معاملاتهم تحو الشركات الاخرى ولم أتمكن من السيطرة على الوضع رغم الحلول العديدة التي قمت بها وبعد فترة طويلة من العمل الفاشل للشركة أفلست حتى تراجعت مكانتها في السوق ولم تفدها أرباحها السابقة في شيء وأفل نجمها وسقط إسمها ثم ما فتئت أن استيقظت ذات صباح على خبر احتراقها وبعد خساراتي المتتالية لم أقدر على استرجاع شيء لأن لا مال بقي معي أثناء محاولاتي انقاذ الشركة التي كان من بينها بيعي لسيارتك.
- احصل هذا قبل مجيئي اليكم في ثالث سنة من غيابي؟

- عندما اتيت وقتها لتنام ليلة عندنا كنت قد بدأت العمل كخياطة منذ فترة كي أقتات منها وأعيل عائلتنا
- لكنك قلت لي أن كل شيء بخير
- كنت مجبرة على قول ذلك وتلك الليلة كانت السبب في حملي بإبنك "عباس" ثم توفي اباك بعد مصارعة طويلة للمرض وإبنك لا يزال ابن بضعة أشهر معدودة وقتها ثم تعلم ما جرى.

ظل واجما محدقا بها تتحدث وهو لا يصدق كل ما يسمعه حتى نزلت على خدها دمعة حاولت معها امساك غصتها كي لا تنهار أمامه وتزيده ألما لألمه...بينما هم بسؤالها باستغراب شديد:

- من فعل هذا بك؟ من الذي أفقد الشركة حرفائها وتسبب في افلاسها ؟ألم تعلمي بعد من يكون؟
- بلى علمت
- من؟
- مراد
- ماذا؟من؟ أعيدي؟
- قلت مراد...لقد إشترى العديدين من الموظفين الخونة في الشركة بماله وقاموا ببيع أسهم عديدة من الشركة له لقد نجح في جلب جميع حرفائي الى شركته حتى أضحت من أقوى الشركات في البلاد والمنطقة بأكملها
- سأذهب لتوي الى شركته وأقتله لقد حذرتك من هذا السافل مرارا ومن موظفيك أيضا

فمنعته صارخة:

- لا حسين ارجوك لا تفكر في ذلك انه ليس في صالحنا.
- ليس في صالحنا ؟ اوكان في صالحنا ما فعله بنا؟ بسببه عشتم الفقر والمذلة والحاجة وبسببه أصبحت تخيطين ثياب للناس حتى تقتاتين سوف آخذ حقك وحق عائلتي بيدي اتركيني يا زينب انه سافل حقير سأقضي عليه.
- لا أرجوك حسين لا تذهب ليس في الخياطة عيب الكل قد عرف الحاجة بسبب اللحرب وليس في أخذك لحقنا بيديك حق لسنا من نأخذ حقوقنا بأيدينا يا حسين فليجعل الله جزاءه قريبا ..اهدأ ارجوك.

...

اتى في احدى النشرات "يأتي في اخبارنا وقوع تفجير في مبنى السفارة السعودية في بيروت بعد ان اعلنت السعودية أن طائرتها ال f-15 قد اعترضت طائرة f-4 خانتوم ايرانية واسقطت احداها فوق مياه الخليج بعد ان اخترقت الطائرة الاجواء السعودية منذ يومين"وفي نشرة اخرى"بعد ان رفعت الاعلام الامريكية على السفن الكويتية ليتم حمايتها من قبل الولايات المتحدة هاجمت ايران هذه السفن مما جعل الاسطول الامريكي يهاجم سفنا ايرانية وقد نفذ اليوم احدى أقوى هجماته منذ بداية الصدام دمر فيها سفينتين حربيتين في ايران"

وفي اخرى"أسقطت البحرية الامريكية اليوم طائرة ركاب مدنية ايرانية من نوع (ايرباص_E_ 300) تابعة لشركة ايران للطيران فوق مضيق هرمز الدولي ...هذا وقد قتل جميع من كان على متنها من

مدنيين وعددهم 240 راكبا بعد ان اسقطت بصاروخ ارض-جو اطلق من الطراد اثر تحليق الطائرة فوقه ويأتي في خضم هذه الاحداث ان الادارة الامريكية قد كشفت برئاسة "دونالد ريغان" بأن الولايات المتحدة كانت تبيع اسلحة لايران وتستخدم اموالا من تلك الصفقة لدعم الثوار في نيكاراغوا"

وتتواصل النشرات وتتوالى الاخبار والجميع ينتظر فرجا..

قالت لزوجها امسك الصحيفة واقرأ هذا المقال شيء مخز يندى له الجبين.

أخذ بالقراءة

"خسارة ما بعد الحرب...هل للدولتين ان يتداركاها؟

لقد خاضت كل من العراق وايران حربا جعلت كلا الدولتين تتكبد خسائر جسيمة على جميع الاصعدة خاصة في المجال النفطي بما ان الدولتين من اكبر الدول المنتجة والمصدرة للنفط فما التحولات التي تراها طرأت على النفط في البلدين؟

في العراق مثلا كانت تبلغ صادرات النفط قبل الحرب 3,3 مليون برميل يوميا بين سنتي 79 و80 الا ان هذا المعدل انخفض كثيرا خلال سنوات الحرب بسبب تعذر تصدير النفط من الموانئ البحرية الى الخليج العربي والاعتماد على خط الانابيب (كركوك-جيهان) لتصدير النفط أما عن ايران فبعد أن بلغ النفط في السنتين 81/80 1,28 مليون برميل يوميا يصدر منه 762,000 برميل يوميا.

وانخفض هذا المعدل كثيرا اثر سنوات الحرب بسبب التضرر الكبير الذي تعرضت له جزيرة "خرج" اضافة الى تضرر معامل تكرير النفط لا سيما "مصفاة عبادان" التي تعد اكبر مصافي النفط في العالم فقد كانت نسبة تكريرها 630الف برميل من نفط وقد قدرت الحكومة الايرانية بعد الحرب ان خسائرها الاقتصادية قد بلغت 450 مليار دولار شملت البنى التحتية والخسارة في الانتاج دون احتساب خسارة النفط...فهل أن البلدين تعتبران من هذه الحرب؟"

- منقول عن نيويورك تايمز-

قال:ليس غريبا قط فلا احد دفع الثمن في هذه الحرب عدا الضحايا أما الدولتان فخسارتهما ستعوض في بضع سنوات لا أحد يخرج خاسرا من الحروب عدا الشعوب ...مدنيين وعسكريين قضوا نحبهم واخرون خسروا ممتلكاتهم وأموالهم وأحبتهم وكلها لن تعوض ...اما اقتصاد الدول فينمو بعد سنوات فوق جراحنا وعلى حساب ذاكرتنا.

دخل حسين الى البيت قالت زينب:

- ابو العباس اعدت؟ اين كنت البارحة طوال اليوم؟ واين نمت؟ لم يغفو جفني وانا افكر بك ليلا كاملا اين كنت؟
- ذهبت لى قريتي
- ماذا انتمت هناك؟
- اجل ذهبت لاستنشق هواءها وامشي على ارضها وارى وجوه اناسها التي تغيرت ولم تعد تعرفني ولا عدت ادرك احدا منها ذهبت لارى الفرات كم اشتقته

جلس وجلست زينب بجانبه وقد سعدت لرؤيتها لابتسامته التي نسيتها منذ زمن ...قالت:

- لكن كيف ذهبت وصحتك هكذا؟ كان عليك الا تغامر
- الا تذكرني كم احببت معي المغامرة ؟ الان تحثينني الا اغامر؟
- كان ذلك منذ زمن بعيد الان اصبحت اخشى عليك
- حتى معي؟
- احكي لي اولا كيف كانت رحلتك وماذا فعلت هناك
- اتعلمين؟
- ماذا؟
- زوجك محظوظ جدا
- كيف ذلك؟
- عندما نزلت في القرية ذهبت الى الفرات وجدت احد الصيادين القدماء على الشاطئ كان صديقا لي منذ
- وقت طويل "عمو ابو علي" يعرفني ويعرف افراد عائلتي منذ كنت طفلا العب امام بيتنا سلمت عليه فعرفني بعد ان ذكرته من اكون اخذني في نزهة في قاربه الصغير جبنا فيها مياه الفرات حتى وصلنا مصبه في شط العرب ثم عدنا الى القرية واخذت امشي على شواطئه وضفافه أتأمل نخيله الفرات كنز طفولتي ونهر احلامي الذي على ضفافه كتبت اجمل لحظات حياتي ومن خلال نوافذ شواطئه فتحتت عيناي على الدنيا اتعلمين كم اعشق ذلك البيت الذي ينقله الشاعر الصابئي المندائي "عبد الرزاق عبد الواحد" في ترجمته للكتاب المقدس لدى الصائبة "كنز ربا" الذي يقول

"صغير انا بين الملائكة الاثريين ....طفل انا بين النورانيين ...ولكني اصبحت عظيما لاني شربت من ثغر الفرات"

لقد رأيت الغروب ببعث البريق في مياه الفرات مشهد لم أره منذ بداية شبابي لقد اجهشت ذكرياتي امام ذلك المشهد يا زينب

ولماذا لم تعد ليلا؟

قلت في نفسي لا يمكن ان ازور قريتي واعود منها دون الذهاب الى بيتنا دخلت بيتي القديم الذي اخذت فيه اول شهيق لي يا زينب ...البيت الذي عشت فيه مع والداي اجمل ايامي واسوأها دخلت لارى الجدران التي حفظت صوت ضحكاتي وشهقات دموعي وجدته خاليا مظلما موحشا يخاف المرء اقترابه لبرودته وخوائه لكنني وجدته بداخلي على عكس ما يبدو عليه لقد احسست بدفئه وبالفرح الذي تبثه في تخاليجه رغم ظلمتها وقفارها لقد رأيت سريري ومكتبي وخزانة كتبي رايت سرير والداي والارائك التي جلسنا عليها طويلا والطاولة التي كانت تجمعنا لحظة الغداء لقد كان دافئا باللحظات التي مازال يخبئها بين جدرانه لكنه باردا للايام التي مرت عليه وحيدا خاليا لم يزره احد شعرت انني من تسببت في جعله على ذلك الحال عندما تركت والداي يغادرانه حتى انه اضحى غريبا بلا اهل في تلك القرية شعرت ان بابه ينشد طارقا وان نوافذه تنتظر فاتحا لها ...لقد نمت فيه يا زينب ولم اشعر بالخوف او الوحشة مطلقا رغم الغبار الذي كان عليه ورغم خلوه من كل مرافق الحياة لقد سمعت صوت صراخ اصدقائي في الحياة وصوت شجارات والداي ونداء امي لي كل

مساء لقد تراءت لي الكرة التي نلعب بها ولازلت اذكر لونها ...لقد شعرت بعودة الحياة ونبضها في اعماقي بتلك الساعات التي قضيتها فيه يا زينب لا اصدق علاقتنا الغريبة بالامكنة كيف لها القدرة على ان تسكننا بعد ان نغادرها؟

- كم شعرت بفرح عاصف يجتاح قلبي رغم رياح الحزن التي لم اقدر على مقاومتها اثر رؤية بيتنا على ذلك الحال.
- حمدا لله
- على ماذا؟
- على انك فعلت شيئا اضاء الحياة بداخلك فقلبك منذ عدت مظلم لا نور فيه ةلا نبض ولا حياة كنت
- قلقة عليك اما بعد ان سمعت هذا ارتحت احيانا يجب علينا ان نصنع الحياة بدلا من انتظار مجيئها وهذا ما فعلت انت البارحة حقا انك الوحيد الجدير بقلبي اتعلم؟ حتى حزنك يستهويني ووجعك يغريني لقد ي احد سني الحرب قرأت قولة للمنفلوطي في كتابه "العبرات" يقول فيها "ان العظيم عظيم في كل شيء حتى في احزانه والامه" وانت كذلك انا التي طالما صنفت نفسي من المحزونين بعدما حصل لي ف ي غيابك ولكنني اعتبر انني علي ان اتعلم عظمة الحزن منك
- اظنك قد قرأت كثيرا في غيابي
- اجل كنت احسب عدد ايام غيابك بعدد كل صفحة لقد عددت كثيرا كي تعود ...يال لوعة قلبي كم كانت تلك الايام سيئة الحمد لله على عودتك لي يارب
- لو رأيت كم هي جميلة قريتي لو رأيتني كم فرحت لذهابي كم اشتقت لتلك الايام ايام طفولتي ايام مراهقتي وشبابي وايام غربتي هنا في بغداد لحظة عرفتك احببت بغداد واصبحت اراها في عينيك مازلت احب عيناك كثيرا
- وانا مازلت احب مقلتيك وشفتيك وصوتك وكل تفاصيلك وكل شيء فيك ادمنت مشاهدة صورك وقت كنت في الجبهة كم كانت ايام شهر العسل جميلة في تبريز وكم كانت حياتنا في بغداد اجمل !اتعلم شيئا ؟ بعد زواجي بك اصبح العراق وطني واصبحت بغداد مدينتي لانني ولدت من جديد في كنفها لحظة عرفتك والتقت روحي بروحك لن افارق هذه المدينة مادامت روحك معلقة هنا سارافقك حية او ميتة سأكون معك دوما وابقى بجانبك فقط ابقى معي يا عزيز قلبي كي تبقى سعادتي لا تفارقني

ابتسم لها وقال لها

- زينب
- نعم عزيزي
- اريد منك طلبا واحدا فقط قبل مماتي
- اطال الله في عمرك يانور عيني لا تتحدث عن اللموت مجددا ارجوك
- قولي لي هل ستستجيبين لطلبي ؟
- طبعا وماهو؟
- اريد منك ان ترتدي ذلك الفستان الاحمر الذي اهديتك اياه في ذلك النزل في تبريز في شهرر عسلنا اثر الزواج ونذهب الى ذلك المقهى الذي تعودنا على ان نجلس فيه لفترة طويلة وتبادلنا فيه الاحاديث وتناولنا فيه عدة مرات برفقة بعضنا اريد ان نسترجع تلك اللحظات مرة واحدة

على الاقل اريد ان اراك مجددا في كامل زينتك وقد جملت نفسك وتزينت بابتسامتك الساحرة التي عهدتها على وجهك الجميل اريدك ان تعودي زينب تلك القوية الساحرة الفاتنة التي عرفتها واغرمت بها اريد ان اراك مجددا تشبهني زينب ابنة السادسة والعشرين اموافقة؟

- اجل حبيبي طبعا سأفعل المهم ان تكون فرحا
- الليلة سنذهب برفقة بعضنا البعض ولتتركي الاولاد عند جارتنا ام محمود
- حسنا امرك يانور عيني سنستعيد تلك الايام وسنفرح كما كنا من قبل لم ازر ذلك المطعم منذ وقت طويل

***

اخذت زينب الاولاد ليلا الى بيت جارتها ام محمود واوصتها ان تنيمهما عندها حتى الصباح وتفرغت للاستحمام والتجمل بينما ارتدى هو كسوة عرسه السوداء الانيقة تأنقت زينب بفستانها الاحمر ذاك الذي اهداه اياها في تبريز في ايام شهر العسل ففي النزل ووضعت فوق كتفيها شال فرو اسود وقد اسدلت شعرها المصفف على كتفيها وزادت ملامحها جمالا بتحديد عينيها بكحل اسود ورسم شفتيها بأحمر شفاه وارتدت نفس الاقراط والعقد الماسي التي كانت قد تحلت بهم في تلك الليلة في تبريز ثم اخذت حقيبة يدها السوداء اللامعة الصغيرة وذهبت
كان جالسا على الاريكة بانتظارها في الصالون بشوق وحماس وعيناه تشعران بحنين شديد لرؤيتها من جديد بذلك الجمال الذي عهدها عليه وقفت امامها كنجمة لامعة مبتسمة بثقة وأمل في ان تعيد لمهجته السعادة والوئام وتغمر لقبه بفرح بسيط ولو لمرة واحدة بعد كل هذا العناء اخذ يرمقها بعينين لامعتين وابتسم ابتسامة حلوة لم ترها مرسومة على شفتيه منذ وقت طويل وتأملها بنظرة شملتها من اسفل الى فوق قالت له بفرح:

- ما رأيك؟ هل ابدو شبيهة بما كنت عليه في ذلك اليوم؟
- الله لم اكن اتوقع انك هكذا ستكونين لم تتغيري قط مازلت عيناك جميلتان ووجنتاك محمرتان كما كانتا وشفتاك عنقوديتان تماما كما احببتهما ...كم انت رائعة يا عزيزتي
- هيا يا عزيزي فلنذهب الى مكاننا المعتاد ذلك المقهى المطل على نهر الفرات
- هيا لنذهب

وصلا الى ذلك المطعم الذي شهدت كراسيه وطاولاته على جل لقاءاتهما العاطفية التي عاشاها منذ زمن بعيد يتمنيان عودته وقفا امامه فاستغربت زينب التغير الطارئ عليه

- كم تغيرت ملامحه لم يكن هكذا على ايامنا
- لا مشكلة عزيزتي اذا كانت ارواحنا قد تغيرت فلم نستغرب تغير الامكنة ؟ هيا فلنصعد

امسك بيدها وساعدها على صعود الدرج ودخلا الباب ووقفا لاختيار طاولة قالت بدهشة

- حتى طريقة ترتيب الطاولات تغيرت فلنجلس في تلك الشرفة المطلة على النهر كالعادة
- حسنا عزيزي.... يا سلام مكان طاولتنا لم يتغير كم اشتقت الجلوس هنا
- لست وحدك الحمدلله ها انا ذا هنا مجددا ومع حبيبتي وقرة عيني ماذا اريد بعد هذا؟ كم خفت في ايام الجبهة واثناء القتال الا يحالفني الحظ ولا يكتب لي القدر لقاء معك في هذا المكان مجددا

- الحمدلله هاقد عدت الى وطنك وزرت قريتك وجلست في هذا المكان مجددا برفقتي وانا ارتدي فستاني المفضل لديك
- امسك بذقنها واقترب الى عينيها وقال بهدوء:"ستبقين الوحيدة التي تصنع سعادتي حتى في اضحل ايام حياتي
- يكفي هذا لا ايام ضحلة ولا حياة حالكة لك وانا هنا معك مفهوم؟لقد جئنا الليلة للمرح ولم نأت لنتذكر الامنا ونبكي عليها انا معك يا عزيزي انا فقط اريد لك ان تكون صامدا وقويا ومتفائلا بالغد حمدا لله انك قد عدت من الجبهة سالما معافى فالعديدات قد اصبحن ارامل والكثيرون قد اضحوا يتامى.
- فليبقك الله لي

***

"عند نقطة معينة ليس عليك إلا ان تستسلم وتجلس ساكنا وتترك الرضا يأتي اليك"

-اليزابيث غيلبيرت-

كان يوم 18 يوليو 1988

فتحت الراديو منتظرة نشرة الاخبار بعد ان وضعت الالعاب لابنها في الصالون على الارض وذهبت بابنتها الى المدرسة وعادت.

بدأت نشرة الاخبار وقال المذيع"السلام عليكم مستمعينا اعلنت ايران صباح اليوم الثامن عشر من يوليو عن قبولها قرار مجلس الامن رقم 598 وبالتالي قبولها وقف الحري مع العراق هذا وقد عبر الخميني عن غضبه في خطاب له بأحد اذاعات ايران عن تردده في قبول هذا القرار واستيائه من ذلك قائلا "ويل لي لاني مازلت على قيد الحياة لأتجرع كأس السم بموافقتي على اتفاقية وقف اطلاق النار وكم اشعر بالخجل امام تضحيات هذا الشعب" نبارك للعراق والشعب العراقي العظيم هذا الخبر آملين ان يكون انتهاء هذه الحرب باعث خير لمستقبل العراق ودورها في المنطقة "

اغلقت الراديو ولم تكد تصدق ما سمعت دمعت عيناها فرحا وسرورا ولم تدر ما تفعل :انحزن ام تفرح اتزغرد ام تصمد خجلا امام دماء الشهداء وحزن زوجها المرسوم في عينيه بعد ان فقد رفاقه عمر له في الجبهة

- حبيبي اسمعت؟ لقد اعلنوا انتهاء الحرب الان
- ماذا؟ ماذا اعلنوا؟
- قلت اعلنوا انتهاء الحرب الان سمعت الخبر في الراديو لقد قبلت ايران قرار مجلس الامن الذي يقضي بوقف اطلاق النار من طرف الدولتين
- احقا ما تقولين؟
- اجل لماذا لا تصدقني؟ افتح التلفاز وسترى
- واذا كانت الحرب قد انتهت فأوجاعنا لن تنتهي لن يفرح بانتهاء الحرب من غيرته الحرب فالسلام قد يعود اما الامان فلن يعود امانا الداخلي راحة عقولنا ونفوسنا سعادتنا احبتنا الاناس

الاقرب الينا اللذين ودعناهم او فقدناهم بلا وداع اللذين كانوا بحاجتنا ولم يجدوننا قربهم من سيعوضنا عن خساراتنا الفادحة التي تحملنا تبعاتها لوحدنا

- لسنا لوحدنا يا عزيزي لقد ذاق الشعبان الامرين بسبب هذه الحرب والمهم ان تنتهي فلنفتح التلفاز

فتحت التلفاز منتظرة نشرة المساء لتسمع اخر التطورات للاوضاع فبدأ الاخبار بقول الصحفي:

" السلام عليكم مشاهدينا الكرام اليوم السبت 20اغسطس 19888 وافقت الدول الاعضاء بمجلس الامن على قرار وقف اطلاق النار بين ايران والعراق رقم 598 الذي تضمن 5 نقاط وهي:

- وقف اطلاق النار
- الانسحاب الى الحدود الدولية المتعارف عليها
- تبادل الاسرى
- عقد مفاوضات السلام
- اعمار البلدين بمساعدة دولية

لتبدأ بذلك المفاوضات بين البلدين في جنيف والمقرر عقدها غ لفترة ستتواصل بين يومي 25و26 اغسطس 79 ايلول من هذه السنة"

***

قالت لزوجها: لقد قال الخميني انه تجرع كأس السم بقبوله قرار وقف اطلاق النار

- هه لقد نسي انه جرع شعبه السم لثمانية سنوات
- لقد كان يرفض أي قرار لمجلس الامن اذا لم يعترف العراق انه هو البادئ بالحرب ويقوم بتقديم تعويضات لايران قدرها ب200 مليار دولار ما الذي تراه غير رأيه بعد كل هذا العناد؟
- ربما عرف ان عناده ذاك لن يوصله لشيء فلا ايران انتصرت ولا العراق فعلت يسمونها نظرية الحرب العادلة ..كان عليهم ان يسموها الحرب القذرة
- اكان على الحرب ان تتواصل ثمانية سنوات حتى يقتنع هو بأن طريق هذه الحرب مسدود؟
- حمدا لله انها لم تدم اكثر من ذلك
- وكم كان بامكانها ان تدوم؟ لقد دامت اكثر من الحربين العالميتين الم يرتوي السياسيون ومديرو الحروب بعد من رؤية دماء شعوبهم تراق هدرا؟ ام ان على عدد الضحايا ان يبلغ الملايين حتى يشفق السياسيون على شعوبهم ويرأفوا بدمائهم المهدورة ظلما؟
- عزيزتي زينب ليس لدى السياسيين شعور حتى يرأفوا بأحد..

***

"ما كره الانسان الموت الا لانه لم يحسن محبة الحياة وما كان الموت نكبته لو لم يجعل الانسان من حياته نكبة" ميخائيل نعيمة

دخل البيت يجر اذيال خيبته متثاقلا بينما كانت زينب ترتب الصحون على الطاولة وقف في باب المطبخ رفعت رأسها وابتسمت له وقالت:

- مرحبا عزيزي
- اهلا زينب
- ماذا فعلت؟ الم تجد شيئا؟

جلس على الكرسي متعبا :

- كالعادة ككل يوم اجوب البلاد كلها لاجل ان اعود كما غادرت البيت تمام بلا شيء .... لقد تغيرت البلاد كثيرا وتغير عبادها ايضا.
- لا تحزن عزيزي على كل انت اجتهدت في البحث اضافة الى ذلك فنحن لسنا بحاجة ماسة لان تعمل وتجلب لنا المال فالمال الذي اجنيه من عملي في الخياطة وبيع الثياب يكفينا.
- اعلم ذلك لكنني حتى ان كان مالك يكفينا فأنا لا يرضيني ان ابقى على هذا الحال ايعجبك ان تعملي وابقى في البيت اقتات على ما تجنينه لا لا اقبل بذلك يازينب هذا يشعرني بالذل توفير المال مهمتي انا قبل الجميع

ربتت على كتفه وقالت:

- لا تقلق عزيزي ستجد باذن الله عملا وتعود مسؤولا علينا ومتكفلا بنا زد على ذلك فانفاقي عليك وعلى اولادنا وبيتنا واجبي وانا لم اتذمر من ذلك يوما .... هيا يا عزيزي لقد جهزت لك طبخة تحبها غير ثيابك وتعال الى الفطور
- ماهي هذه الطبخة
- انها "تشريب"
- جميل دقيقتين وآتي

على الغداء....قال حسين :

- اين الاولاد.
- عباس في المدرسة ورقية في بيت احدى صديقاتها
- جيد

اخذ بالسعال والتنفس بصعوبة فنظرت اليه باستغراب:

- حسين ما بك؟ خذ كوبا من الماء

اخذ من يدها كوب الماء وشرب

- مابك يا حسين ؟ منذ مدة وانت تسعل بشدة وتعاني صعوبة في التنفس اتراك مصاب بمرض ما لا سمح الله
- لا ادري... لا تقلقي انا بخير اجلسي للفطور
- كيف لي الا اقلق عليك انك تسعل بطريقة غريبة منذ لحظة عودتك من الجبهة اخاف ان يكون بك شيئ ويستفحل بعدم علاجك له عليك زيارة الطبيب وفحص صحتك
- لا انا بخير لا تقلقي ليس بي شيء
- ارجوك عزيزي اقبل طلبي لاجل مصلحتك علينا زيارة الطبيب في اقرب وقت ارجوك فلنذهب سويا
- حسنا حسنا سافكر في الامر
- لا داعي للتفكير سنذهب غدا باذن الله ولا تقل لا
- فلنذهب متى اردت ذلك

....

كان الصباح وقد اتجه حسين مع زينب نحو عيادة طبيب الامراض الصدرية بعد ان الحت عليه زينب بالذهاب ...كانا في قاعة الانتظار عندما نادت الممرضة باسمه ليدخل للفحص وبعد ان القيا التحية على الدكتور وقف ليفحصه وزينب بجانبه تراقبه كان يطرح عليه الاوامر والاسئلة من نوع "خذ شهيقا... اطرح زفيرا ...بماذا تشعر؟ ...اي منطقة تؤلمك بالضبط؟"

بعد دقائق اكمل الفحص ورتب اغراضه على جنب وجلس على مكتبه بينما كان حسين يغلق ازرار قميصه قالت زينب:

-دكتور هل لك ان تخبرني مما يشكو زوجي؟

بصراحة لم اتوصل الى شيء جلس حسين على الكرسي قبالة زينب وقال:

- هل يعني هذا انني لا اشكو شيئا؟
- لا ليس كذلك لكن ليس لي ان اعرف ما تشكوه بالضبط عبر الفحص السطحي عليك انن تذهب الى المستشفى وتقوم بالكشف عن قلبك ورئتيك كي نتمكن من معرفة نوع المرض
- - حسنا دكتور سنفعل ذلك شكرا لك جزيلا
- هذا واجبي يا مدام اهلا بك

وقفا وبادراه بالسلام وغادرا العيادة .... ركبا السيارة وقد امسكت زينب بالمقود ونظرت لحسين بحزن ويأس :

- اسمعت ما قاله لك الدكتور؟ انه لم يتمكن من معرفة مرضك وعليك ان تقوم بتصوير قفصك الصدري في المستشفى انا لن اصبر اكثر يا حسين غدا سنكون في المستشفى...ستنهض باكرا وترافقني لنقوم بالكشف
- وهل لدينا المل الكافي للقيام بذلك؟
- اجل طبعا لدينا لا تقلق بشأن المال صحتك اثمن من كل شيء
- حسنا موافق انطلقي

....كان المساء وكانت زينب جالسة تفكر كيف لها ان تأتي بثمن الفحص الذي تحتاجه حسين وقد كذبت على زوجها وهي لا تلك المال التفت اليها وقال لها:

- زينب زينب
- نعم
- بماذا تفكرين؟ لماذا انت صامتة؟
- لا لا شيء
- حسنا انا سأذهب الى المقهى
- وانا سأذهب لبيت ام محمود وسأقضي المساء برفقتها

....كان حسين قد ذهب الى المقهى فغادرت زينب البتي وذهبت لبيت جارتها طرقت الباب فخرج لها صغير بيده قطعة بسكويت :

- مربحا رائد عزيزي هال امك هنا؟
- اجل يا خالة
- نادني اياها
- حسنا

اتت ام محمود وقالت:

- زينب؟ عزيزتي اهلا بك كيف انت؟
- الحمدلله ماذا عنك انت عزيزتي؟
- نشكر الله تفضلي ادخلي
- لا شكرا ام محمود لم ات لادخل لقد جئت في طلب وارجوا لا تخيبيني
- تفضلي يا ام عباس كل طلباتك اوامر
- انا بحاجة ماسة لكرمك
- لم افهم يا زينب ماذا تعنين بالضبط؟
- احتاج لبعض المال لاجل زوجي انه يشكو مرضا لا ادري ماهو بالضبط وهو بحاجة للقيام بكشف في المستشفى
- اهذا فقط ما تريدينه ؟ طبعا تفضلي ادخلي

اعطت ام محمود المال لزينب وقالت:

- تفضلي وان لم يكفك هذا المبلغ اخبريني وسأزيدك قدر ما تشائين
- شكرا جزيلا يا ام محمود لا اعلم كيف لي ان اشكرك على هذا الفضل
- لا داعي لذلك انتم جيراننا ولا يمكننا نسيان العشرة التي بيننا
- على كل هذا المال دين سأسدده اليك متى استطعت ذلك
- اعيديه على راحتك المهم طمئنينا عن وضع ابو العباس وصحته
- شكرا جزيلا ام محمود انا ممتنة لك عن اذنك عليان اذهب
- فليحمك الله

عادت زينب الى البيت وأطلت على ولديها لتجدهما نياما ثم دخلت غرفتها وأشعلت الضوء لتغير ثيابها وتذهب الى النوم وجدت حسين على السرير وقد رفع رأسه على الوسادة وقال.

زينب اين كنت كل هذا الوقت؟ارتعدت وقالت دون ان تلتفت اليه :

- حسين اجئت من المقهى؟ لماذا لم تنم بعد؟
- انتظرك

وضعت النقود في الدرج وقالت:

- كما قلت لك ذهبت الى بيت ام محمود
- ماذا فعلت عندها؟
- لا شيء اكتفيت بمسامرتها قليلا وعدت
- اهذا كل شيء؟

اخذت تنزع ثوبها وقالت :

- طبعا وماذا تريد اكثر من ذلك عليك ان تنام جيدا الان فغدا سنذهب الى المستشفى للقيام بالكشف

أطفأت الضوء وقالت :

- تصبح على خير عزيزي
- تصبحين على خير زينب

***

كان صباح جمعة واستيقظت زينب وحسين باكرا وايقظت ولديها امرة اياهما بالبقاء هادئين حتى عودتهما وان لا يفتحا باب البيت لاحد ثم اخذت النقود وخرجت وزوجها باتجاه المستشفى ...كانا جالسين بانتظار دورهما على الكراسي البيضاء عندما نادت الممرضة "حسين الزين" هل انت هنا؟

- نعم
- تفضل بالدخول انه موعدك

دخل الى مكتب الدكتور وبادرا بمصافحته بالتناوب:

- مرحبا دكتور

قال: اهلا بكما تفضلا

قال حسين: جئتك اليوم لاقوم بكشف على القفص الصدري وهاهي الورقة الطبية لقد بعثني دكتور مختص بالامراض الصدرية والتنفسية.

- جيد حسنا سيد حسين تفضل معي

بقيت زينب جالسة تنتظر...عاد حسين مع الدكتور بعد ثلاث دقائق فقالت زينب:

- متى يمكننا معرفة النتيجة دكتور؟

- بامكانكما العودة بعد يومين لاخذ النتيجة او الاتصال بي لمعرفتها هاهي بطاقتي لمعرفة الرقم الخاص بي
- شكرا يا دكتور

غادرا العيادة

كان الاحد واستيقظت زينب وزوجها ابكرا وجلسا للفطور بعد ان اتجه كل من ابنيهما الى المدرسة قال حسين:

- انا ذاهب الى المقهى زينب اتريدين شيئا ؟
- لا يا عزيزي فقط لا تتأخر على الغداء
- حسنا ها انا ذاهب
- في امان الله

انتهزت زينب فرصة مغادرة زوجها واتصلت بالطبيب ..قال:

- الو
- الو مرحبا دكتور
- مرحبا من معي؟
- انا زينب قمت بزيارتك مع زوجي "حسين الزين" الذي قام بالكشف على صدره يوم الجمعة اول امس
- اجل تذكرت لقد عرفنا نتيجة الفحص سيدتي
- اخبرني ماذا كانت النتيجة دكتور ارجوك؟
- حسنا سيدتي لا اريدك ان تنزعجي بالخبر فزوجك يحمل مرضا يبدو نوعا ما خطير وعليك ان تتمالكي اعصابك
- حسنا سأتمالك قل لي بماذا هو مصاب دكتور ارجوك قل
- ان زوجك مصاب بداء السل في رئتيه
- ماذا؟ حقا دكتور؟
- اجل مع الاسف لماذا تستغربين زوجك يسعل دما سيدة زينب اضافة الى سعاله المزمن وتعرقه الدائم الم تلاحظي هذا؟
- بلى ولكن كيف له ان يشفى؟ عندما تأتين لاخذ ورقة نتيجة الكشف ساعطيك قائمة باسماء المضادات التي قد تفيده لكنها باهظة وعليه بالمواظبة عليها
- اجل حسنا شكرا دكتور
- سيدة زينب علي نصحك بأن هذا المرض معد وعليك الحذر من الان فصاعدا عليك ان تستعملي اغراض زوجك كالملعقة او المنشفة او المحارم وعليك الا تقتربي منه عند السعال بشدة
- حسنا شكرا دكتور شكرا جزيلا
- على الرحب

وضعت السماعة وقد بردت دماءها ويبست اطرافها ووضعت يدها على فمها ممسكة دموعها أي مرض انتاب عزيز قلبها؟ أي ابتلاء اتى عليه من الله هو الذي عصفت الدنيا بقلبه وجعا اجهشت بكاء وهي تلطم

رأسها وقالت"اخ يا عزيز قلبي اه يا حبيب عيناي يا ويلي لم يكن ينقصك الا ان تبتلى بمرض عضال لماذا؟ لماذا يا ربي؟ "

عاد حسين الى البيت بعد وقت قصير من مغادرته وبادرها بالتحية

- مرحبا زينب
- قالت محاولة التظاهر بالقوة : اهلا حبيبي
- اعاد الاولاد من المدرسة؟
- اجل
- اين هما؟
- انهما في غرفتهما
- حسنا انا جائع زينب
- هاهو الفطور جاهز هيا اجلس ايا عزيزي

وضعت الصحن الاخير على الطاولة فأخذ قطعة خبز وهو يقول "بسم الله" واعطاها واحدة مبتسما "خذي هذه حبيبتي" اخذت من يده قطعة الخبز وتناولتها ببطئ وهي تفكر كيف عساها تخبره بما قاله لها الدكتور...لاحظ حسين تغير ملامحها وقال:

- زينب ما بك؟
- ماذا؟
- قلت ما بك؟ لماذا لا تأكلين؟ بماذا تفكرين؟ الن يأتي الاولاد ليفطروا معنا؟
- لقد فطروا قبل مجيئك
- جيد زينب ما بك اخبريني انك تفكرين بشيء ما هل اتصل بك الطبيب؟
- انا من اتصلت به
- حقا؟ وماذا كانت نتيجة الفحص؟
- لا تهتم يا عزيزي انت بخير وليس بك شيء
- ماذا قال لك الدكتور بالضبط؟
- لم يقل شيئا عدا انك بخير
- الم يفسر لك سبب سعالي المزمن
- قال انه التهاب في الرئتين وعليك ببعض المضادات الحيوية لا اكثر
- اهذا فقط ما قاله؟
- وماذا تريد ايضا؟ لا تهتم ياعزيزي ادام الله عليك الصحة وادامك سيدا على هذا البيت انت بخير كل ولا تفكر بشيء
- حسنا طمأنتني

... بعد الفطور وضعت له الشاي على الطاولة قائلة:

- تفضل عزيزي هاهو كأس شاي لك
- غير معقول
- ماذا؟
- صدام

- مابه؟ ماذا فعل مجددا؟
- لم يكتف بقتل الالاف من شعبه طيلة ثماني سنوات وتشريده وتفقيره وايذاقه الويلات بسبب حرب بلا معنى فقام مؤخرا باستهداف قرية كردية باكملها بالغازات السامة مما ادى الى وفاة خمسة الاف من المدنيين من رجال ونساء وأطفال وإصابة اكثر من عشرة الاف اخرين بإصابات اخرى
- ولم هذا؟
- قال ان سكان هذه القرية ساعدوا الايرانيين في العدوان على العراق اثناء الحر ب
- ما هذا ؟ أي دليل على كلامه هذا؟ وهل يبرر هذا قصف القرية باكملها بالغازات السامة؟ أي نوع من الاجرام هذا الذي يمارسه؟
- لا يجب علينا ان نستغرب شيئا بعد الان انه فنان بالاجرام ولا يصعب عليه أي نوع من انواع القتل والقتال مازال سيفعل الكثير مادام في السلطة اظن انه سيصاب بجنون العظمة خلال ايمه الاخيرة يريد ان يصنع من نفسه بطلا عربيا وزعيم ا قوميا من خلال اعلان الحروب
- (ضاحكة) : انه يذكرني بهتلر لا سامحه الله كم كان حقيرا

اخذ حسين بالسعال ولم تتم كلامها بعد قالت له خائفة

- سلم الله روحك من كل اذى
- كالعادة لا يريد هذا السعال ان يرحمني سيفتك بي
- سلامتك يا عزيزي سلامتك
- تفضل
- ما هذا ؟انا اسعل دما يا زينب
- حقا؟لا تخف ياعزيزي ربما يكون هذا من شدة السعال هيا تعال معي الى غرفتك لتجلس في سريرك وترتاح قليلا هيا

اجلسته في سريره وجلبت له الدواء وهو لا يزال يسعل دما وبالمنديل الابيض يغطي فاهه اتت اليه بطبق فيه علبة ادوية وقالت

- هاهو دواءك عزيزي فلتشربه لتتحسن
- زينب لا اردي دواء اريد ان تجيبيني
- عن ماذا؟
- قولي لي احقا قال لك الدكتور انني بخير وليس بي شيء او مرض؟
- وماذا تريده ان يقول؟
- اذا كان قد قال ذلك حقا فلم تتدهور صحتي يوما بعد يوم زينب قولي لي الحقيقة انت تكذبين وانا لم اعد اصدقك لقد عهدتك دوما تخبئين ما تريدين قوله لقد سبق وخبأت عني سابقا ولادتك بابننا ومن ثم احتراق شركتنا ثم مرض امي لماذا لا تقولين لي الحقيقة ؟ لماذا؟ هل انا مريض بالسل يا زينب ؟ قولي هذا الدم الذي اسعله ؟ ماذا يعني هذا النوع من السعال ؟ اعلم انني مريض بهذا الداء ولا داعي لتخبئي عني بعد الان لم لا تكلمينني يا زينب

اجهشت بكاء ووضعت وجهها بين كفيها: يكفي يا حسين يكفي هذا ارجوك مللت عذابا وثملت وجعا اجل انت تعاني من هذا المرض وخفت اخبارك لانك مكتف من العذاب ولا ينقصك ان تسمع خبرا كهذا يكفي قلبك ما عناناه انا لا اريد ان اصدق هذا ولا اريد ان اعاملك كمريض انت

حبيبي ولا اريد لك ان تمرض يكفي يا حسين تعبت تعبت وانا اراك تضعف وتتعب وتكابد هما كل يوم

رفعت راسها فمسح دموعها وقبل جبهتها بينما طبعت هي قبلة على شفتيه وقالت

- كن بخير ارجوك اريدك صامدا قويا فاتكا بكل قدر الله قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يكفي بكاء يا حبيبة قلبي يؤلمني عندما اراك تبكين انا تقبلت م كتب الله لنا ساكون بخير لاجلك شرط ان تكفي عن البكاء هيا يا عزيزتي ارفعي رأسك وامسحي دموعك لا اريد ان ارى خديك مبتلة بهذه العبرات

وواصلت بكاءها وهو ينظر اليها في الم وحنو فوضعت رأسها على فخذيه وضمها الى صدره وقبل رأسها هذا ورضيت يؤلمك ويؤذيك كما عهدتك اريدك "ابو العباس" الذي احببته ابقى ارجوك فأنا لاشيء بدونك لا اصدق انني نجوت من خسرانك في الحرب لاخسرك الان بوباء عافاك الله لا اصدق ان صبري وانتظاري لعودتك طيلة هذا الوقت ستكلل بالفقد هنا في البيت وعلى السرير بعد ان نجوت من نيران الجبهة

- يكفي يا زينب لا تقلقي سابقى لاجلك

دخلت ابنتها الى غرفتها وهما على ذلك الحال وقالت بغرابة:

- امي مابك؟ سمعت صوت بكائك من رفتي هل بك شيء؟هل حصل لابي شيء

اجابها حسين:

- تعالي عزيزتي رقية لا تقلقي امك وانا بخير اين اخاك؟
- لقد اتم دراسته وخلد الى النوم
- ولماذا لم تنامي انت ايضا مثلما فعل اخاك؟
- لا لم استطع انا خائفة
- مم يا عزيزتي؟
- لا ادري اريدك ان تنامي بجانبي يا امي
- حسنا عزيزتي اذهبي الى غرفتك سآتي اليك
- هل ستأتين حقا؟
- طبعا عزيزتي اذهبي كما قلت لك يا عزيزي اريدك قويا والان نم عميقا كي ترتاح
- لن انام سأنتظرك حتى تعودي الى الغرفة اشتقتك

*****

في صباح اليوم التالي

استيقظت زينب باكرا وأخذت فطور الصباح مع زوجها ثم تركته في سريره وانشغلت بإحضار الغداء وبعد فترة قصيرة ناداها قائلا:

- زينب زينب تعالي بجانبي زينب اين انت؟

جاءته وفي يدها ملعقة الطعام : ماذا تريد يا عزيزي انا اطبخ

ارجوك اتركي ما بيدك وتعالي اجلسي بجانبي اشتهيت ان اتحدث اليك

وضعت الملعقة على الطاولة وانتزعت ميدعة المطبخ وذهبت اليه قلقة مستغربة:

- ما بك يا عزيزي اخبرني
- اريد ان احدثك اسمعيني حتى النهاية...زينب ان اريد ان اعتذر اليك عن كل ما سببته لك في حياتك
- عن ماذا ستعتذر يا حبيبي؟
- قلت اسمعيني حتى النهاية
- لايا عزيزي لا تقل هذا انا راضية انت قدري وأنا احببت قدري هذا
- انك زوجة صالحة ومرضية وانا سعيد معك وفخور بك ولم اكرهك بعد عودتي من الحرب كما ظننت
- لم اظن هذا يوما
- انا لا استحقك بصراحة لانك كنت افضل مني في مواقف كثيرة انت صبورة وعظيمة انا نفسي اتساءل مكيف امكن لك تحملي كل هذا الوقت انا اسف زينب اسف اريد ان تسامحيني قبل ان اغادر هذه الدنيا
- اسفة اكمل
- لا تظني انني لم اشعر بكل ما سببته لك من الام منذ عودتي من الجبهة وحتى الان انا اعرف جيدا انني تغيرت وأصبحت شخصا اخر يصعب التعامل معه منذ عدت واعلم انك وأبنائي وجدتم صعوبة في التأقلم معي والعيش معي بطريقة طبيعية فأنا لم اعد طبيعيا بعد عودتي ولكنني رغم ذلك كنت اشعر بوجعك بسبب تغيري وقد سعيت جهدك لإرجاعي كما كنت لكنني لم اقدر زد على ذلك انني مرضت بهذا الداء العضال فأتعبتك اكثر انني اشعر بالذنب لأنني احببتك وتزوجتك فتسببت لك في كل هذا التعب والعذاب ...هناك قولة **لجورج صاند** يقول فيها **"كلما ازداد حبنا تضاعف خوفنا لأذية من نحب"** وكنت اخاف ايذائك طول هذا الوقت لكنني فعلت ليتك ما احببتني وما عرفتني يا زينب

اخذ كلامه يتقطع وسعاله يشتد بينما كانت دموع زينب تتقاطر على خديها "اريد ان تطبعي على شفتاي قبلة عفو تغسلين بها ذنوبي لتصفى روحي وتقر عيني برؤيتك اقتربي اقتربي يا حبيبة قلبي واطبعي على شفتي تلك القبلة الحارة التي عودتني بها"

اجهشت زينب بكاء وارتمت على صدره وأخذت تقبل شفتاه بحرارة صارخة " لا حسين ارجوك لا تتركني وحيدة لا احد لي غيرك في دنياي هذه ى من لي بعدك حسين

وفاضت روح حسين بين يديها واظلم البيت...وبرد قلبها حتى اضحى كالصقيع...لم يتبقى لها شيء في بغداد عدا ولديها وصورها المتبقية مع حبيبها .

اجتمع الجميع حولها واتى اهلها من طهران وعلا صوت القرآن.

.....

انتهى العزاء وانفض الناس من حولها وانتفض كل شيء بداخلها

جلست بجانبها اختها ووالدتها يعزيانها بعد ان ودعا جميع من غادر البيت لم تكن تستمع اليهما فهي تدري اليوم ان زوجها قد اضحى تحت التراب وان لا عودة له مهما حاولت ان تفعل لا تريد ان تسمع تعزية فلا شيء سيغنيها عن فقد حبيبها ولا شيء يعزينا عن فقد من نحب

قالت لوالدتها:

- امي هل ستعودين الى ايران؟
- ماذا ؟ اعود الى ايران؟ هل لي ان اتركك على هذه الحال؟ لا لا يمكنني ان افعل ذلك
- وهل ستتركين والدي لوحده؟
- اخاك معه في البيت ويرعاه لاتخشي شيئا اما انا فأريد ان ابقى معك طوال هذه الايام لا يمكنني تركك على هذه الحال وانت بهذا التعب
- شكرا يا امي حقا ان وجودك بجانبي يسعدني
- على ماذا تشكرينني يا ابنتي انه واجبي
- اكان على زوجي ان يموت حتى تقومي بواجبك يا اماه؟ منذ اتيت بغداد للعمل لم تزوريني يا امي كبر ولداي وانت لا تعرفيهما
- معك حق يا ابنتي انني مقصرة معك كان علي ان ازورك واهتم لشأنك اكثر تركتك وحيدة في بلاد انت غريبة عنها لسنوات انا اسفة حقا يا انتي لكنني كنت اهتم بعائلتي كنت افكر بالمجيء قبل وقوع الثورة في ايران ولكن عندا حصلت لم استطع ترك ايران اخوك كان يشارك باستمرار في المظاهرات التي تندد بسيطرة الاسلاميين على الحكم وكنت اخاف عليه من ذلك لان الحكومة كانت تواجه تلك المظاهرات بالعنف والقمع ثم ان مكاني في مجلس النواب وعملي في السلطة التشريعية لم يسمح لي مطلقا بايجاد وقت لمغادرة البلاد اعذريني يا ابنتي حقا انا مقصرة
- لقد مرت عشر سنوات على الثورة في ايران يا امي
- اعلم في ظل سنوات الحرب كنت اخاف عليك وافكر بك لكن لم اقدر على السفر تعلمين المشاكل الدبلوماسية التي حصلت بين البلدين قالت لي اختك ان حماتك كانت تعيش معك عندما كان زوجك في الجبهة
- صحيح لقد اصبحت اما لي طيلة سني الحرب رافقتني ووقفت معي في كل ما عشته شاركتني افراحي والامي وكل شيء كم فرحت لانها لم تمت الا ورأت ابنها وفرحت
- رحمها الله لقد حالفني الحظ مثلها بان لم احرم فرصة رؤيتك بعد طول هذا الغياب ورأيتك اخيرا قبل ان توافيني المنية اه يا ابنتي كم اتمنى الا اعرف فراقك بعد اليوم ولو كلفني الامر عدم العودة الى ايران مجددا قط علني اكمل ما تبقى من عمري برفقتك
- اطال الله بعمرك يا امي لا تقولي هذا حمدا لله على اجتماعنا اليوم على الاقل
- اكان يجب ان يقام عزاء في بيتك حتى نلتقي؟
- احيانا يجب علينا ان نخسر احدهم كي نكسب الاخر لازالت خسارتي لزوجي قد جمعتني بك فعزائي في لقائك على الاقل

- رحمه الله يا ابنتي اشعر انه كان قويا وشهما ولم يخشى شيئا يوما وانه احبك حقا ولم يتوانى عن حماتك حتى وهبك عمره انني لأأسف كثيرا لأنني لم اعرفه جيدا ولم اره قط مذ اتيت الى ايران في شهر العسل
- اذا كنت انت لم تعرفيه جيدا وقلت عنه كل هذا فماذا اقول انا التي عشت معه سنوات طوال لا يؤلموننا اولئك اللذين لم نعرفهم الالم يأتينا فقط ممن عرفناهم جيدا وذابت قلوبنا بعشقهم ثم لم نحظى برفقتهم بقية حياتنا كما كنا نريد ونتمنى حمدا لله على كل شيء بالنهاية ليس لنا ان نعترض على اقدرانا لم تقولي لي يا اختي لماذا ترتدين "الشادور" عندما اتيت؟ أولست انت التي طالما دافعت عن حرية لباس المرأة طيلة حياتك؟
- لم تعد هناك حريات في ايران يا زينب لقد اصبح الشادور واجبا وإلا تعرضت للإيقاف من طرف الشرطة الاخلاقية التي تجوب الشوارع في طهران كل ساعة لذا نزلت من المطار مرتدية اياه لكنني سأخلعه لا محالة
- جيد كدت اذنك خضعت لأوامر الشرطة الاخلاقية والتزمت بارتداء الحجاب
- اظنك لا تعرفينني يا اختي هذا شيء مستحيل ان تفعله اختك فقد اصبحت عقوبة عدم ارتداء الحجاب السجن او الاعتقال والتعذيب ايضا لأنها ممارسة تعتبرها الحكومة بمثابة المعارضة للمبادئ الدستورية ولقواعد الدولة لقد انتشرت شرطة اخلاقية لأجل ذلك وتم تجنيد القضاء وتكريسه لتنفيذ هذه القواعد القانونية المهمة في نظر الحكومة ...كم احسدك يا اختي لأنك لا تعيشين في ايران ...لقد اضحت الحياة في ايران خانقة ومملة مخيفة وصعبة وكي تعيش بسلام عليك فقط ان تبدي كل مظاهر التقي في شكلك وكلماتك ومضمونك وعليك ان تجعل حياتك تتمحور فقط حول ممارسة الشعائر الدينية وتهدف فقط الى ارضاء صاحب العصر والزمان الذي يذكره جميع اعضاء الحكومة والمجلس النيابي في كل خطاباتهم واحاديثهم وكأنهم ملالي او مرجعيات دينية ...انت هنا حرة ومرتاحة اما نحن فقد مللنا ويئسنا التغيير
..ربما نتعود على ذلك مع الوقت
- الاسوأ في كل هذه السنوات التي مرت يا اختي ليس اقمع الحكومات ولا استبدادها وخضوع الشعوب لدكتاتوريتها فقط وإنما الابشع من ذلك هو اعلانها للحروب التي بلا معنى ووضع شعوبها في الواجهة كي يكونوا وقودها وحطبها المشتعل دوما...في خدمة سياستها اصبحنا ادوات حروب ووقود للنيران التي اشعلتها الدول كي تحترق حياتنا
- معك حق يا اختي مذ دخل القرن العشرون والشعوب مجرد وقود نار مجرد اذرع للحرب وأدوات لإشعالها .

سهرت زينب مع والدتها يتحدثان ثم غفوا واستيقظوا صباحا ..قالت امها:

- هيا يا ابنتي جهزت لك فطور الصباح عليك ان تأكلي جيدا لقد نحلت في الفترة الاخيرة وضعف بدنك عليك ان تعودي كما كنت وتتداركي وضعك الصحي حتى تعتني بولديك ولا تشعريهما بأنك ضعيفة وان وفاة والدهما قد دمرتك عليك ان تكوني قوية امامهما فأنت قدوتهما والمثل الاعلى في عينيهما علميهما القوة في كل لحظة يعيشونها لا تعلميهما الاستسلام والضعف والخنوع للاقدار هيا كلي سأفتح الراديو لنسمع الاخبار:
- اين اختي ا امي؟
- انها تستحم ستأتي لا تهتمي

فتحت الراديو

"مرحبا بكما مستمعينا الكرام نقدم لكم نشرة التاسعة من استوديو الاخبار من اذاعة بغداد نبدأ بهذا الخبر العاجل فقد لقى مصره صباح اليوم الامام ورجل الدين والسلطة السياسية العليا في ايران قائد الثورة الايرانية ومؤسس الجمهورية الاسلامية"روح الله مصطفى الخميني" الذي اعلن الحرب على بلادنا وكبد دولتنا خسائر عسكرية بشرية رحل صباح اليوم عن عمر يناهز الثمانين وستشيع جنازته اليوم وسط مسيرة حاشد "

- غير معقول توفي الخميني يا زينب

خرجت ليلى من الحمام تجفف شعرها:من مات يا امي؟

اجابت زينب : الخميني يا أختي مات اليوم صباحا

- غير معقول اتراه يعود الامل بعودة الحرية لإيران بعد ان مات الزعيم الاسلامي القائد لهؤلاء الرجعيين في بلادنا؟
- الا يزال عندك امل يا ابنتي؟ لقد مات الخميني وترك شعبا خمينيا بأسره خلفه
- غير صحيح لست خمينية عقيدتي من صنعي فقط
- افطري وكفي عن الاحلام الواهية يا عزيزتي
- العديدون سيعتبرون هذا اليوم عيدهم
- اتقصدين انه عيدك يا اختي

(ضحكت) : ربما

- عزيزتي ليلى لا تحلمي كثيرا بانتهاء هذا الوضع في ايران بمجرد موت الخميني يا ابنتي فقد - مات هو ليترك دولة خمينية بأكملها خلفه لذا لن تنزعي الحجاب لمجرد وفاته
- حقا كلامك صحيح يا امي
- كلامها صحيح؟ حسنا لن انزع الحجاب لكن هذا الحال لنت يدوم في ايران صدقاني دوام الحال من المحال
- أي مجنونة انت يا ابنتي احمدي الله انك درست وتزوجت والان انت تعملين وتمارسين حياتك بطريقة طبيعية وجيدة ماذا تريدين اكثر من هذا؟
- اتركيها يا امي انها مثلك تماما يوم كنت شابة في عمرها تريد ان تكون مناضلة وان تكرس حياتها للدفاع عن مبادئها انسيت مغامراتك التي كنت تحكينها لي يا امي؟
- لا لم انسى لكن ذلك الزمن ليس كهذه الايام في شيء يا ابنتي لقد تغيرت ايران كثيرا وأصبح النضال فيها شيئا مستحيلا لا فقط مرعبا او مخيفا او وخيم العواقب انني اخاف عليها كثيرا وأخاف عليك انت ايضا انت هنا غريبة ووحيدة مع ولديك ما رأيك يا ابنتي ان تعودي معي غدا صباحا الى ايران وتستقري فيها انت هنا فقدت كل شيء وزوجك ايضا

لا يا امي لا ارجوك لا يمكنني مغادرة بغداد حياة ابنائي هنا وقبر زوجي هنا ولا يمكنني إلا ازوره او احدثه انه الشيء الوحيد الذي يريح نفسي الان لن اعود الى ايران ليس لي فيها شيء حسنا يا ابنتي كما تريدين لن اجبرك لكن اهتمي بنفسك ستبقى اختك معك لأيام او ربما لأشهر حافظي على نفسك وولديك سأزورك هنا دوما انا احبك يا عزيزة قلبي

- وانا يا امي

في الغد صباحا غادرت والدة زينب لتبقى مع اختها وولديها فقط في البيت

***

نوفمبر 89

كانت مع اختها في الصالون يشاهدان التلفاز

كانت ساعة النشرة والمذيع يقول "هذا وقد سقط جدار برلين صباح اليوم على اثر سقوط الاتحاد السوفيتي وتحوله لجمهوريات فدرالية منفصلة وقد تم ذلك في كنف احتفالات من الالمان بخروج الاتحاد السوفيتي من بلادهم واستقلال المانيا الشرقية لتنضم مع شقيقتها المانيا الغربية تحت راية واحدة وهي دولة المانيا الاتحادية

امسكت زينب برأسها "اه اشعر ان رأسي يؤلمني جدا لا اعرف لماذا"

ما بك يا اختي ؟ اتراك مريضة؟

- لا اعلم سيقتلني الالم
- الا ترين ان عليك زيارة الطبيب
- لا لا اظن الامر يستحق ذلك تكفي بعض المسكنات
- حسنا انظري كم تثير الشفقة هذه المشاهد اناس لا يعرفون بعضهم يتعانقون فحرا لسقوط هذا الجدار الذي صنع قهرهم لسنوات طوال تدمع العين حقا لصور كهذه
- هذا اكبر دليل على ما تفعله الحروب بالبشر وما تخلفه من قهر ولوعة في قلوب الناس كم خسر اولئك اللذين في الصور اعزاء ومحبين كم ذلوا وقهروا وكسرت قلوبهم من مرة مع كل فدق تعرضوا له على مدى نصف قرن طبيعي ان يتعانقوا فرحا برؤيتهم لأحجار ذلك الحائط الذي منعهم رؤية من يحبون لسنوات وهي تتساقط لتخترقه الشمس من جديد
- معك حق ما ابشع الحروب انها نافذة نرى منها الانسان في ابشع صوره وفي اضعف حال فليرحمنا الله من هذه الحروب وليجعلها بعيدة عنا
- انها ليست بعيدة فأختك ادى ضحاياها اخ رأسي يؤلمني اشعر بدوار واشعر بألم كبير في رأسي وكأنه سينشق لنصفين
- ما بك يا اختي ما قصة الم راسك المزمن الذي يلازمك دوما؟
- لا ادري اخ راسي انه وجع كبير
- مادام المسكن الذي اخذته لم يفدك فعليك زيارة الطبيب يا اختي ارجوك لا تترك نفسك هكذا فيحصل معك ما حصل مع زوجك او والدته لا سمح الله
- لا يا اختي لا تقلقي لن يحصل لي شيء من هذا القبيل فألم ر الراس ليس كمرض القلب ولا كالسل انه الم حاد لا غير سيرحل مع الوقت ربما بسبب كثرة التفكير او ربما هو ضعف في البصر لا تقلقي بشني يا اختي لا اريد زيارة أي طبيب
- حسنا يا اختي كما تريدين لكن على الاقل دعينا نخرج في فسحة ويرافقنا ولديك للاستمتاع قليلا اكن لم تغادري البيت منذ عزاء زوجك هيا يا اختي غيري ثيابك ولنجوب شوارع بغداد سويا

- ارجوك يا اختي لا اريد ذلك
- ليس لأجلك لكن لأجل اولادك اختي عليك ألا تجعلي ولديك يشعران بضعفك وعدم قدرتك على الاعتناء بهما يكفيهما خسارة والدهما انهما حزينين جدت وان اشفق عليهما لا يجب ان يبقيا هكذا ارجوك يا اختي
- حسنا كما تشائين لأجل اولادي سأتظاهر بالقوة

مرت الاشهر وتوالت الايام وصحة زينب تدهور يوما بعد يوم اكثر

***

كان يوم اغسطس من عام 1992..

ليلى :

- غير معقول
- ماذا حصل يا اختي؟
- لقد قامت القوات العراقية اليوم الثاني من اغسطس باجتياح الكيوت بعد يومين فقط من انسحابها من الاراضي الايرانية بالكامل وتسليمها الاسرى الايرانيين لعائلاتهم كي تنتهي ال حرب ببداية حرب جديدة اخرى
- شيء بديهي ففي سنوات الحرب زادت الكويت انتاج النفط عمدا فانخفضت اسعاره العالمية وهو ما تسبب في ضعف اقتصاد العراق نظرا لارتفاع اسعار النفط في العراق الذي جعل نسبة التصدير تتراجع وصدام قد هدد باحتلالها مرارا اذا لم تقم بتخفيض انتاجها واستمرت المفاوضات كي تنهار اليوم لا تستغربي فهو لم يكتف بثماني سنوات من الحرب ليبيد بعد ذلك قرية كردية بأكملها شمال العراق ويحتل الكويت الان التي قامت بمساعدته طيلة سني الحرب بالقروض وناقلات النفط كي تكون بهذا الاجتياح اول دولة عربية تجتاح دولة عربية اخرى
- ما باله رئيسكم ؟ شيء غير معقول
- ان عمى السياسة قد اصابه فحين يطغى الدكتاتوريون ينسون ان السياسة في خدمة الشعوب وبنسيانهم ذلك يرسمون ابشع صورة للإنسان في التاريخ اما عني فلم يعد يهمني شيء في الدنيا خاصة مهازل السياسيين اللذين لأجل تخليد التاريخ لأسمائهم يمحون حيواتنا من التاريخ ويحرموننا حق اخذ نصيبنا من الدنيا انا لا اخشى إلا على اولادي الجيل المظلوم الذي دفع طفولته وسيدفع شبابه ثمنا لهذه الحروب اشعر انني ظلمتهم بإنجابهم في زمن كهذا

وما كادت تقف حتى وقعت مغمى عليها فقالت ليلى صارخة

- اختي اختي ما بك ؟ ماذا حصل لك ؟

واتى ولديها يبكيان محاولان انقاذها ولم تستفق حتى اتت سيارة الاسعاف وحملتها من البيت الى المستشفى

....كانت ليلى جالسة مع الطفلين بصدد الانتظار وبعد ساعات خرج الدكتور من عيادته

قالت ليلى :دكتور ارجوك اخبرني أي مرض تشكوه اختي؟

انها مصابة ب...

- بماذا؟
- بشلل نصفي في الدماغ
- ماذا بشلل في دماغها لماذا وكيف كيف اصابها هذا المرض لقد كانت بخير أمتأكد يا دكتور ارجوك لا تقل هذا؟
- حالتها حرجة ويجب عليها ان تبقى في المستشفى اسف جدا سيدتي

جلست على الكرسي وأمسكت برأسها : ايمكن لها ان تشفى دكتور؟

- يجب ان تخضع لعملية وهذه طريقة العلاج الوحيدة

ذهب الطبيب وتركها جالسة على الكرسي تحاول تقبل الصدمة ايمكن ان يحدث بأختها هذا بين ليلتين منذ ايام قليلة فقط كانت بخير ماذا تراه أصابها ؟ اتراها مستعجلة للحاق بزوجها؟

دخلت الغرفة ببطئ وهي تنظر لأختها مستلقية على السرير الابيض لا تحرك ساكنا وهي اشبه بميتة تقدمت نحوها بدهشة وحزن واقتربت منها وجلست بجانبها وأخذت تمسح على رأسها وقد لمعت عيناها

- اهكذا تفعلين بنفسك يا اختي ؟ أبهذه السرعة كرهت الحياة وفرطت بعمرك ام تراك لم تقبلي العي ش بعد زوجك فأبيت إلا اللحاق به ؟اجيبيني؟

فتحت زينب عيناها ببطئ ونظرت الى اختها وقد بدت غائبة عن الوعي

- اختي هل استيقظت حمدا لله انك بخير
- اختي عزيزتي لا تقلقي ساكون بخير حتى وتان متت
- فليطل الله بعمرك ويبقك امدا طويلا
- فقط اريد منك ان حصل ومتت
- لا تقولي هذا يا اختي ارجوك
- اذا حصل ومتت اهتمي باولادي جيدا فانهما لم يبقى لهما احد ف يهذا البلد غيرك لا تتركيهم وحيدين بل اب وام كوني اما لهما
- لا تقولي هذا يا اختي ستخضعين للعملية وستعودين سالمة باذن الله
- ليلى لا تقلقي يا عزيزتي فأنا اساكون سعيدة في الحالتين ومن لا يوكن سعيدا بلقاء اعزاءه؟ ان لقاء "ابو العباس" سيعيد لي الحياة بدل ان يسلبها مني لكن اختي لي عندك طلب قبل ان ادخل العملية
- ماهو
- اريد ان تأتي لي بولدي اراهما واقبلهما ارجوك لعلني لا احظى بلقائهما بعد هذا
- لا لن يحصل ذلك يا اختي اطمئني

***

كانت زينب بصدد الدخول لقاعة العمليات تنقل على ذلك السرير الابيض وقفت ليلى امامها وقالت:

- اختي هاهما ولديك امامك حتى يقبلاك قبل دخولك العملية

مدت زينب بيدها ومسحت على خديهما وكانا يبكيان ويقولان "امي ارجوك قومي بخير" قالت مبتسمة:

- عباس رقية عزيزاي ادام الله صحتكما وفرحكما وجعل كل احلامكما محققة ائتمروا لاوامر خالتكما ولا تعذباها اختي حافظي عليهما"
- كانا يبكيان بشهقة ويودعان امهما على امل لقائها بعد العملية وهما لا يفهمان ما الذي حصل لها بالضبط ولم هي على هذا الحال
- رمت ليلى بنفسها على الكرسي باكية وضمت ولدي اختها داعية له في صدرها ان تقوم بالسلامة
- بعد اربع ساعات ولازالت ليلى مع الطفلين في مكانهم...خرج الدكتور من القاعة وقد نزع القبعة البيضاء من على رأسه كما يفعل الاطباء تأسفا على عدم نجاح عملية ما نظرت اليه يأتي الى المقعد بخطوات متثاقلة فوقفت وعيناها محمرتان بالدموع رفعت رأسها ونظرت اليه املة ان يقول لها "حمدا لله ان اختك استيقظت" فقالت بشهقة وانتظار

"دكتور ارجوك اخبرني ماذا حصل لاختي ؟ قل لي انها استيقظت وهي الان بخير"

- اسف جدا سيدتي فليتغمدها الله برحمته وليهبكم جميل الصبر والسلوان

وقعت على الكرسي وقد انفجرت بكاء وضمت الطفلين الباكيين بين يديها وتذكرت قول اختها "حين لا تكتب لنا الحياة مع من نحب فالافضل لنا الموت بعدهم عن حياة نواصله في بعدهم"

"كان علينا أن نصبر ونصابر وأن نخادع

ونراوغ ونتراجع ونكذب

وأن نعد...

تلك كانت دائما حكمة الشرق"

-امين معلوف-

تمت

2018/7/8